كشف الأسرار

تأليف

روح الله الخميني

قدم له

د. محمد أحمد الخطيب
كلية الشريعة ـ الجامعة الأردنية

دار عمار للنشر والتوزيع
عمان

كشف الأسرار

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

٢١٠ ار

مرو   روح الله خميني
كشف الاسرار / روح الله خميني ، تقديم
محمد الخطيب - عمان : دار عمار للنشر ، ١٩٨٧.

(   ) ص
ر.أ (١٩٨٧/٩/٤٣٩)

١ - الاسلام - فلسفة   أ - العنوان
ب - محمد الخطيب " تقديم "
(تمت الفهرسة بمعرفة مديرية المكتبات والوثائق الوطنية)


دار عمار عمّان - قرب الجامع الحسيني - هاتف ٦٥٢٤٣٧ ص ب ٩٢١٦٩١

كشف الأسرار

تأليف

روح الله الخميني

قدم له

د. محمد أحمد الخطيب

كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

ترجمه عن الفارسية

الدكتور محمد البنداري

علق عليه

سليم الهلالي

دار عمار للنشر والتوزيع
عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

● ملاحظة :

ما أشير إليه في التعليقات بحرف (خ)، فهو لخميني، أما بقية التعليقات فهي للمترجم والمعلق.

تقديـــــــم

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه، وبعد:

فقد توقفت كثيراً وأنا أكتب هذه المقدمة لهذا الكتاب، ليس إحجاماً عن الكتابة، ولكن لكثرة المفاجآت التي استوقفتني بين ثنايا الكتاب.

ولن أكون بعيداً عن الحق والحقيقة إذا أسميت هذا الكتاب بأنه الوثيقة الخطيرة التي ستزيل ـ إن شاء الله ـ الغشاوة عن كثير من أعين الناس الذين خدعوا بالشعارات البراقة، والهتافات الزائفة.

ولا أقول هذا الكلام جزافاً، فإن قارىء هذه الوثيقة لإمام الثورة الإيرانية! سيقف أمام اعترافات وحقائق لا يصدق أنها تصدر من إمام يدعي أن ثورته ثورة إسلامية.

هذا الكتاب أيها القارىء الكريم هو «كشف الأسرار» لـ «روح الله خميني»، وقد طبع باللغة الفارسية في طهران عام (١٩٤١م)، وتظهر أهمية هذا الكتاب في أنه يحوي تفصيلاً واضحاً وكاملاً لأفكار واعتقادات الخميني.

وحتى لا نُتَّهم بأننا نبتعد عن الحقيقة في ترجمتنا للنصوص الفارسية، فقد جئنا بصور عديدة للنص الفارسي، وخاصة في الأمور الهامة التي عُلِّق فيها على كلام الخميني، ليعلم القارىء الكريم أننا لم نجانب الحقيقة في أي فكر أو معتقد ألصقناه بالخميني.

وإذا عدنا إلى الكتاب، وما يحويه، سنجد الشيء العُجاب، وسأظهر في هذه

العجالة بعض هذه الأفكار.

١ ـ عندما يتحدث الخميني في كتابه عن موضوع: «طلب الحاجة من الأموات ليس شركاً»، يحاول أن يثبت أمرين في غاية الخطورة.

الأول: ادعاؤه بأنه أثبت بالبراهين الدامغة، والأدلة العقلية الثابتة، بأن الروح بعد خلاصها من الجسد إنما تظل باقية، وتعود إلى جسد آخر، ويحاول أن يثبت ذلك عن طريق أقوال فلاسفة اليونان، وبعض من اتبع أفكارهم ممن ادعى الإسلام، فها هو يستشهد بآراء الشيخ الرئيس (ابن سينا)، وصدر المتألهين (محمد بن إبراهيم الشيرازي)، الذي يقول بالحرف الواحد كما نقل عنه الخميني: «وهو يؤيد معاد الروح ومعاد الجسد معاً . . . وعندما تكتمل أرواحنا وتقوى، وتنتهي علاقتها بالجسد؛ تعود إلى ذاتها الحقيقية، وإلى مبدعها».

ولا شك بأن هذا الذي يحاول أن يثبته الخميني إنما هو ما يسمى بـ «عقيدة تناسخ الأرواح»، وهي عقيدة وثنية قال بها فلاسفة اليونان الذين يستشهد بهم، وقال بها أيضاً الباطنيون بجميع فرقهم ومذاهبهم، فقد اتفقوا على أن الروح لا تموت، وإنما الجسد هو الذي يموت، حيث تبقى الروح على حسب صلاحها أو خبثها، ترجع إلى الأجساد. وهكذا فإذا ارتقت مكانتها في هذه الأجسام فذلك هو النعيم، وإن هبطت فذلك هو العذاب.

وهذا يعني ضمناً أن هذه العقيدة لا تؤمن بالبعث ولا بالحساب، وهي هادمة لركن من أركان الإيمان، وهو اليوم الآخر، ومع الأسف، فإن من يحاول أن يظهر هذا المعتقد هو من يدعي الإسلام والحرص عليه.

ولذا تجد الخميني لا يسعفه شيء من القرآن أو الإسلام، فيستشهد بأقوال الوثنيين ومن سار على دربهم.

الثاني: وهو قوله: «إن طلب الحاجة من الحجر أو الصخر ليس شركاً»، وذلك

في معرض رده على من قال: إن طلب الشفاء من التربة شرك. والمقصود بالتربة هي التربة المقدسة عند الشيعة في النجف وكربلاء.

ولذا نجد الخميني يقول بالحرف الواحد: «لكن ذلك لايعتبر شركاً ولا كفراً إذا ما تمَّ الطلب على أساس أن الله قادر على أن يستجيب للطلب من خلال من تفانى من أجل دينه وخسر روحه من أجله تعالى» . . .

ثم يقول: «ومن هنا فهل يمكن أن يكون اللجوء - بعد اليأس من الأدوية - إلى تربة أريقت فوقها دماء قرابين على طريق الله، وطلب الشفاء منها شركاً أم هو توحيد وعبادة لله ؟. . لقد منح الله للتراب القدرة على إحياء الروح، وليس في مقدور أحد أن يقول بأن الله لا يقوى على أن يجعل التراب الذي لا روح له سبباً في إعادة الحياة؛ لذا فإنه سبحانه لو منح التراب الذي أريقت فوقه دماء الحياة الأبدية مثل هذه القدرة، فإن ذلك ليس ببعيد عن مشيئته. وبالإيمان بقدرة الله على صنع أي شيء، يمكن جعل شيء غير فعال فعالاً، أو نزع الفعل من أي شيء فعال».

وهكذا نجد خميني بتسويغاته الواهية، يحاول أن يظهر أن تربة الإمام قادرة على الشفاء، كما كانت النار التي وضع فيها إبراهيم عليه الصلاة والسلام برداً وسلاماً عليه، فقد اعتبر التربة التي دفن فيها إنسان عادي كمعجزة نبي من أنبياء الله، بل إن النبي معجزته قد انتهت في وقته، وتربة الإمام بقيت وستبقى ملاذاً لكل مستغيث بها؟!!

وكأنني بالخميني لا يريد إلا أن يضع كل معاني التوحيد والألوهية التي جاء بها الإسلام جانباً ليسوغ كل ضلالاته وانحرافاته، حتى وصل به الأمر ليقول: «في ضوء ما تقولون، فإنه ينبغي اعتبار جميع المسلمين مشركين؛ لأن جميعهم يسجدون لربهم على التراب والحجر والخشب».

أهكذا يسوغ من يدعي لنفسه الإمامة والعلم أمراً في غاية الخطورة بالنسبة لعقيدة المسلم! إن هذا لأمر عجيب؟!

٢ ـ في معرض إثباته أن بناء قبور الأئمة وتعميرها ليس فيها مخالفة، يستدل على ذلك برواية مروية في كتبهم عن الإمام جعفر الصادق، ونحن ننقلها بالنص، والقارىء الكريم يتبين حقيقة ما يؤمن به الخميني وأتباعه:

«ينقل الشيخ الطوسي عن أبي عامر قوله: إنني ذهبت إلى الصادق، وسألته ما هو أجر من يزور أمير المؤمنين ويبني قبره؟ فرد على سؤالي قائلاً: يا أبا عامر! لقد روى أبي عن جده الحسين بن علي بأن الرسول قال لأبي: إنك ستنتقل إلى العراق، وتدفن في أرضه. فقال: يا رسول الله! وما هو أجر من يزور قبورنا ويقيمها ويجدد العهد معها؟ فقال: يا أبا الحسن! إن الله جعل قبرك وقبور أولادك بقعة من بقاع الجنة، وصحناً من صحونها، وإن الله أدخل في قلوب المختارين من خلقه حبكم، وجعلهم يتحملون الأذى والذل من أجلكم، ويقومون بإعادة بناء قبوركم، ويأتون لزيارتكم تقرباً إلى الله وزلفى إلى رسول الله. وهؤلاء مشمولون بشفاعتي يا علي . . . إن من يبني قبوركم ويأتي إلى زيارتها يكون كمن شارك سليمان بن داود في بناء القدس. ومن يزور قبوركم يصيبه ثواب سبعين حجة غير حجة الإسلام، وتمحى خطاياه، ويصبح كمن ولدته أمه تواً. إنني أبشرك بذلك، وبشر أنت محبيك بهذه النعمة التي لم ترها عين، ولم تسمعها أذن، ولم تطرأ على بال أحد. ألا ان هناك تواقه من الناس يلومون زائري قبوركم كما يلومون المرأة الزانية. إن هؤلاء هم أشرار أمتي، والله لا يشملهم بشفاعتي».

وأود أن أعلق على أمور ذكرت في هذه الرواية المكذوبة على لسان رسول الله ﷺ:

أ ـ إنه ليس من الإسلام البناء على القبور، ولا جعلها مساجد، وقد نهي عن ذلك في أحاديث عديدة لرسول الله ﷺ، وأُمرنا بأن لا نتشبه ببني إسرائيل، حيث جعلوا قبور أنبيائهم مساجد.

ب ـ أن هذه الرواية جعلت قبور الأئمة أفضل من الأنبياء وقبورهم، بل هي بقعة من بقاع الجنة . . . وهل يقبل مثل هذا القول؟!

ج ـ ذكر عبارة: «قلوب المختارين»، وهل يعني هذا أن من لم يأت هذه القبور فهو ليس من المختارين؟!

د ـ اعتبر زيارة القبور كمن حج سبعين حجة، ويصبح كمن ولدته أمه تواً . . . وأي شيء يعادل الحج؟ وهل أصبحت زيارة قبر الإمام ركناً من أركان الإسلام؟!

هـ ـ وأخيراً اعتبر من يقاوم هذه الترهات شرار الأمة؟!

وهل يعقل أن يصدر هذا عن رسول الهدى والرحمة عليه الصلاة والسلام!؟

٣ ـ يقرر ما قالته «الجامعة الكبرى» وهو: «من أراد الله بدأ بكم، ومن قصده توجه إليكم، بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث».

ويقول: «وأنا لا أدري أي شيء استخلصه هؤلاء من هذه الفقرات البسيطة حتى يستدلوا بها على الشرك».

وأنـا أقـول: ولا أدري أي معنى استخلصه خميني من هذا النص يدل على التوحيد، بل هو صورة واضحة لما قالته الأديان المنحرفة ممن يدعون أنهم من أهل الكتاب؟!

٤ ـ ومن الأمور التي يقررها خميني أيضاً استشهاده بما ورد في «الجامعة الكبرى»: «وأشهد أنكم الأئمة المرشدون المهديون المعصومون»، أي أنه يعتقد بعصمة الأئمة كالأنبياء، ومن أدلته على ذلك ما استشهد به من كتاب «مرآة العقول» شرح «الكافي» ـ وهو أحد كتبهم المهمة ـ رواية مروية عن أبي جعفر قوله:

«إن الله تعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعليًّا وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورها إليهم، فهم يحللون ما يشاؤون، ويحرمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى».

ألا ترى معي أيها القارىء الكريم أن هذه الرواية التي استشهد بها خميني إنما

هي دليل على نظرة هؤلاء إلى أئمتهم ، حيث اعتبروا عليًا وفاطمة رضي الله عنهما أفضل من الأنبياء والمرسلين . . . لذلك فإن خميني يسترسل ويعلق على هذه الرواية بقوله :

«هل وجوب طاعة النبي وعلي وفاطمة هو شرك؟ إن الله يحتم طاعة النبي وعلي وفاطمة، ثم بعد ذلك يحللون ما يشاؤون، فهل يعني هذا سوى تفويض الأحكام؟».

وهل بعد هذا من شرك؟ أن نطيع مع الله إنساناً يحلل ما يشاء ويحرم ما يشاء، فيناقض ذلك قوله تعالى : ﴿اليومَ أكملتُ لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نِعمتي ورضيتُ لكُمُ الإسلامَ ديناً﴾. وهل بعد الكمال الإلهي من كمال؟!

٥ ـ اعترافه بأنه من المؤمنين بمبدإ (البداء) على الله عز وجل، أي ظهور رأي آخر في عمل ما أمر به جل وعلا، ومن تسويغاته لهذا المبدإ يقول:

«ورب العالمين منذ البداية كان ينوي بأن يجعل إمام ذلك العهد قائماً فيما إذا لم تقع واقعة كربلاء، لكنه منذ الأزل كان يعرف بأنها ستقع، ولذا فإن أي خلل لم يحدث في عزمه».

ومما يذكر أن هذا المبدأ هو من مبادىء بني إسرائيل، الذين كانوا يزعمون أنه بدا لله أمر ثم بدا له أمر آخر فغيره؟! تعالى الله عن ذلك علوًا كبيراً.

٦ ـ وعندما يتحدث خميني عن الإمامة يجعل عنوانين لهذا النص: «مخالفة أبي بكر لنصوص القرآن» و «مخالفة عمر لكتاب الله»، ومما قاله في حق عمر رضي الله عنه بالنص الحرفي : «وأغمض عينيه وفي أذنيه ترن كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية، والنابعة من أعمال الكفر والزندقة، والمخالفة لآيات ورد ذكرها في القرآن الكريم».

ومن مزاعمه في تغييرهما لمبادىء الإسلام يقول: «من جميع ما تقدم يتضح أن مخالفة الشيخين للقرآن الكريم لم تكن عند المسلمين شيئاً مهمًا جدًا . . . كما أنه لم يكن من المستبعد بالنسبة لعمر أن يقول بأن الله أو جبرائيل أو النبي قد أخطؤوا في إنزال هذه الآية، فيقوم أبناء السنة بتأييده، كما قاموا بتأييده فيما أحدثه من تغييرات في الدين

الإسلامي، ورجحوا أقواله على آيات القرآن».

كما أنه يجعل زيارة قبور الأئمة تشفي المرضى من أمراضهم، فيقول: «إننا لم نر قبر الرسول، لكننا سمعنا الكثير عن الأئمة، ونحن لا نجاور قبر النبي حتى نرى بأعيننا، إلا أننا نعلم بأن مئات الآلاف يزورون قبور الأئمة كل عام، ولعله في خلال كل بضعة أعوام يظهر شخص يريد له الله أن يشفى بجوار قبور هؤلاء الأئمة . . . وعلينا أن لا ننسى بأن النذر للنبي أو الإمام يكون صحيحاً ومشروعاً عندما يكون النذر للإله، ويوضع موضع التنفيذ، وآنذاك فإن النبي والإمام هما اللذان يعطيان ثوابه وإلا فإنه يعتبر باطلاً . . .».

٧ ـ ويورد رواية تقول: «إن جبرائيل كان يأتي بعد وفاة النبي لفاطمة بأنباء من الغيب، فيقوم أمير المؤمنين بتدوينها؛ وهذا هو مصحف فاطمة».

فيعلق خميني على هذه الرواية فيقول: «ليست هناك أية صلة بين النبوة التي تعتبر تكليفاً من الله بسن القوانين، وبين الإمامة التي هي مهمة حفظ القانون وتلقينه للناس، وبين رؤية الملائكة وتعليم شيء من علم الغيب . . . فإذا ما قام رب العالمين بإرسال الملائكة ليعزوا ابنته بوفاة أبيها، وأن يبلغوها بأنباء من عالم الغيب، فإن العالم لن يصاب بمكروه».

وبكل بساطة لا يرى خميني أي ضرر من القول بأن الوحي كان يتنزل على فاطمة بعد وفاة النبي ﷺ . . . وأي افتراء على الله بعد ذلك؟!

٨ ـ وأما تبريره للتقية فيقول: «وقد كلف الأئمة من قبل النبي بوجوب الحفاظ على أعراض الشيعة وأموالهم، ولذا فإنهم من باب التقية كانوا يصدرون أحياناً أوامر مخالفة لأحكام الله، حتى ينشب الخلاف بين الشيعة أنفسهم؛ لتضليل الآخرين، وتفادياً لوقوعهم في المأزق».

وهكذا؛ اعتبر خميني دعوة رسول الله ﷺ ما هي إلا للحفاظ على الشيعة حتى إنه يقول: «ولولا ذلك لضاعت جهود الحسين بن علي، وجهود رسول الإسلام؛ التي

بذلها من أجل تأسيس التشيع، وعلى فرض أن الله يمنح الأجر لقاء نفع ما، فإن النفع الذي يأتي من هذا العمل هو بقاء دين الحق، وأساس التشيع؛ الذي تتوقف عليه سعادة الدنيا والآخرة».

ويصل أخيراً إلى القول: «إن كل من له أقل قدر من التعقل يدرك أن حكم التقية من أحكام الإله المؤكدة».

٩ ـ تصل الضلالة بالخميني أن يتهم النبي ﷺ بالخوف والتهيب، فيزعم ويقول: «وهكذا يتضح من مجموع هذه الأدلة ونقل الأحاديث أن النبي كان متهيباً من الناس بشأن الدعوة إلى الإمامة. وأن من يعود إلى التواريخ والأخبار بأن النبي كان محقًّا في تهيبه إلا أن الله أمره بأن يبلغ ووعده بحمايته، فكان أن بلغ، وبذل الجهود في ذلك حتى نفسه الأخير، إلا أن الحزب المناوىء لم يسمح بإنجاز الأمر».

بل ووصلت زندقة الخميني أن يزعم بأن النبي ﷺ لم يبلغ الرسالة، فيقول: «وواضح بأن النبي لو كان قد بلغ بأمر الإمامة طبقاً لما أمر به الله، وبذل المساعي في هذا المجال، لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات والمشاحنات والمعارك، ولما ظهرت ثمة خلافات في أصول الدين وفروعه».

١٠ ـ افتراؤه على القرآن الكريم، فيدعي ويقول بأن المقصود بالآية الكريمة: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾، بأن حبل الله هو علي بن أبي طالب.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾، بأن الناس يوم القيامة يوقفون ويسألون عن ولاية علي بن أبي طالب . . .

ويأتي خميني بالعديد من الآيات ليزعم الكثير من هذه المزاعم.

١١ ـ يرى القارىء الكريم بين أسطر الكتاب عنصرية واضحة في ذكر وتمجيد الفرس والإيرانيين، ومن جملة ذلك قوله:

«ونترك الحكم في ذلك للضمائر الحية للإيرانيين الفرس، الذين دونت هذه الصفحات من أجل دينهم ومبادئهم ووطنهم».

ويقول في موضع آخر: «والآن، اسألوا مئة مليون شيعي، وأكثر من عشرة ملايين فارسي إيراني شيعي: لماذا يسجدون على تربة كربلاء؟!»....

و «وفي كل عام يتوجه مئات الآلاف من الإيرانيين إلى العراق والحجاز، ويجدون أن قبر الرسول يقام في وسط بلد سيء المذهب».

وأخيراً، فليعذرني القارىء الكريم على إطالتي في هذه المقدمة، وما أردت إلا إظهار الحقيقة كاملة أمام من يقرأ هذه الوثيقة الخطيرة التي تظهر الحق من الباطل، فلا تبقى الغشاوة على أعين الذين لا يزالون منخدعين بثورة سميت إسلامية ذرًّا للرماد في العيون.

وبعد؛ فهذه الأفكار أخي القارىء الكريم إنما هي أفكار الوثنية بثوبها الباطني القديم الجديد، فهي ما زالت كما كانت في الماضي تظهر بثوب مزخرف وفي داخله روائح نتنة؛ لا تنم إلا عن حقيقة صاحبه.

اللهم هل بلغت؟ اللهم فاشهد!

د. محمد أحمد الخطيب
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله أجمعين، ولعنة الله على أعدائهم إلى يوم الدين.

في هذه الأيام التي تضطرم فيها نيران الفتنة في أرجاء العالم، ويتسرب دخانها إلى أعين جميع سكـان المعمورة، وتفكر شعوب العالم في تجنيب أنفسها وبلدانها لسعـار هذه النيران الممتدة، والابتعاد عن فتنة الحرب المدمرة، وحيث إن الأقطار الإسلامية وجدت نفسها في مجابهة صعاب ومصائب كثيرة، وامتدت إليها أضرار هذه الحرب العالمية، ولم يكن لها فيها أي نفع أو فائدة . . . فقد كان على أبناء هذه البلاد أن يفكروا في سعادتهم وسعادة إخوانهم وأن يسعوا ـ بقلب واحد وخطى واحدة ـ للبحث عن مخرج من هذه الأيام السـود، أو أن يحجموا، على الأقل، وفي هذه الظروف الحرجة، عن بث الفتن والفسـاد، وأن لا يزيدوا بأيديهم من التعاسة التي تلم بهم.

لكننا مع الأسف أصبحنا نلاحظ ـ في هذه الأيام ـ ظهور عدد من الحمقى ممن يسعون ـ بكل طاقاتهم ـ لبث الفتنة والفساد والفرقة وإشاعة الفوضى في أعماق المجتمع.

ففي هذه الأيام التي يمد فيها العالم الملتهب يديه صوب الدين ورجال الدين ويطلب المعونة من القوى الروحية، فإن البعض من كتابنا يتخذون على عواتقهم مهمة شن الهجوم على الدين والتدين ورجال الدين؛ وبدون أن يستهدفوا غير إشاعة الفتنة، يقومون بتحبير الأوراق بأقلامهم المأجورة وبتوزيعها بين الجماهير . . متناسين بأن

إضعاف وشائج الناس بالدين والتدين ورجال الدين، إنما هو عمل إجرامي كبير، لا يساعد إلا على إفناء الأقطار الإسلامية.

ولم يكن في عزمنا أبداً أن نتناول هذه المسألة، إلا أن ما لمسناه في تلك الكتب والكتيبات من إجهاض للحق، جعلنا مضطرين على القيام بإلقاء بعض الأضواء على هذه الأخطاء والخطايا حتى يشخص القراء فيها مصدر فساد البلاد وتعاسة شعبنا، ويعرفون من أين ينبعان. وربما يساعد ذلك على ظهور أشخاص يفكرون في إيجاد العلاج، ويشعرون جيداً بأن الأقلام التي تسخر ضد الروحانية، إنما تساعد على إبادة البلاد ونسف دعائم استقلالها. وعلى القراء أن يقرؤوا جيداً الموضوع الوارد في أواخر هذا الكتاب، حول الحكومة والروحانية، وأن يزنوا ما ورد فيه بمعايير حيادية، حتى تتوضح لهم الأمور جيداً.

رجاء مشروع من القراء المحترمين

كثيراً ما يحدث أن يخلط السذج من الناس، بل ولربما آخرون سواهم، بين الكلمات المعسولة والأدلة المنطقية والعقلية في الكتابات والخطب؛ فقد حدث كثيراً أن خُدع أناس سذج بأقوال معسولة لمتحدث بارع، أو انبهروا بكلمات منمقة لكاتب بارع، فجعلتهم طيبتهم لا ينظرون إلى الحقيقة، ولا يلتفتون إلى الطبيعة الإنسانية، فيصدقون كل قول بعيد عن الواقع، لكونه يتضمن عبارات رقيقة، وأمثلة لطيفة بعيدة عن المنطق . . . فينالهم من ذلك ضرر كبير.

ومن هنا فإن الشيخ[1] الرئيس الفيلسوف الإسلامي الكبير[2]، يقول بأن من يصدق قولاً لا يسنده واقع يكون خارجاً عن طبيعته الإنسانية.

ولذا فإننا نطلب من القراء الكرام أن لا يعيروا اهتماماً للمقالات المكتوبة بعبارات مزوقة براقة، وأن يتركوا جانباً الأباطيل والتفاهات التي تتضمنها وأن يستخدموا حس الإدراك الذي منحه الله للإنسان لتمحيص أقوال الطرفين، وأن لا يتقبلوا من أحدهما أي

---

(١) هذه الكنية يطلقها الإيرانيون على الفيلسوف العربي ابن سينا. (المترجم).

(٢) بل ملحد من القرامطة الباطنيين، كما أثبت ذلك ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (٢ / ٢٦٦ - ٢٦٨).

وهكذا يكون ديدن الخميني وهجيره في توثيق الملاحدة وتزييف التاريخ، كما صنع في «الحكومة الإسلامية» (ص١٢٨)، حيث ترحم على النصير الطوسي؛ الذي أصدر فتوى بإباحة دماء المسلمين في بغداد عندما دخلها هولاكو التتري من قبل، ولكنها في نظر الخميني «خدمات جليلة للإسلام»!

وها نحن نرى الخميني نفسه اليوم يقدم هذه الخدمات الجليلة (!).

قول غير منطقي مهما كان صغيراً، حتى يتميز الحق من الباطل، وتتكشف الأكاذيب.

والرجاء الآخر هو أن يتجنب القراء الأفكار المغرضة، ولا يتأثروا بالصداقات والعداوات، وينظروا إلى ما يقوله الطرفان نظرة إنصاف وتجرد، ذلك أن النظرة المغرضة تبعد الإنسان عن الحقيقة، كما أن الصداقات والعداوات تحجب الحقائق عن الأنظار.

وإذا ما اتضح من أقوال الكتاب المذكورين بأنهم إنما يؤمنون بالله وبالقرآن، ولا يتمردون على أحكام العقل، ولا يخضعون لدوافع أخرى، فإننا - انطلاقاً من أحكام العقل، وبالاستناد إلى الآيات القرآنية - ندخل معهم في الحوار، ونقوم بتناول شبهاتهم في ضوء المبدأين المذكورين.

وإذا ما تبين وثبت بأنهم يؤمنون بالله وبالقرآن حقًا . . . فإنهم ينبغي أن يكونوا متقبلين دوماً لهذه الأحاديث.

ونحن نعد القراء الكرام بأننا سنثبت لهم بأن ما يذهب إليه أولئك . . . إنما هو خارج عن حدود العقل والقرآن، وأنه لا يدل إلا على خلل في الفهم والإدراك أو رغبة في بث الفتن.

من أين تنبع جذور هذه الأقوال . . . ؟

ولد محمد بن عبد الوهاب في عام (١٦٩٦)، في مدينة العيينة بنجد، ودرس في دمشق، واطلع من علماء الحنبلية على أفكار ابن تيمية المتوفى سنة (١٣٠٨م)، وتلميذه ابن قيم الجوزية المتوفى سنة (١٣٣١م)، فتقبلها . ومن هنا كان منشأ الوهابية .

وقام ابن عبد الوهاب بالسفر إلى بغداد ودمشق، حيث استكمل استيعاب المذهب الحنبلي، وعاد إلى موطنه، ودعا محمد بن سعود؛ الذي كان يأتمر على قبائل عتوب وعنزة إلى أن يتبع دعوته، فتقبل هذا الدعوة، وجعل هذا المسلك شعاراً لحكمه .

ولكي ينشر هذه الدعوة فإنه خاض المعارك مع المدن المجاورة، ثم نقل مركز حكمه إلى الدرعية، لكن سكان الرياض تمردوا على الدعوة، فقام دحام بن دواس أمير الرياض، بمحاربة ابن سعود لعدة سنوات .

وعندما خلف عبد العزيز والده سعود في تولي الإمارة . . . قام بمساع وحروب من أجل بث الدعوة الوهابية، فقام مرة بشن هجوم على مكة، ومرة على العراق .

وفي سنة (١٧٩٥) أو (١٧٩٦)، هاجم (١٥ ألف) وهابي مدينة كربلاء، فقتلوا وسلبوا ونهبوا خزينة سيد الشهداء الحسين بن علي وضريحه، واستولوا على ما وجدوا فيها من المجوهرات والنفائس؛ وعند انتشار هذا النبأ، قام فتح علي شاه بتجهيز جيش قوامه مائة ألف جندي، كما أعد سليمان باشا ـ والي بغداد ـ جيشاً جراراً . . . لكي يحارب الوهابيين في صحراء نجد، إلا أن إيران انشغلت في الحرب مع الروس، وحدثت في العراق فتنة الأكراد، فبقيت جذور الوهابية ممتدة، حتى بات عدد من

الكتاب ممن يحبون التظاهر بالتفتح الفكري، يتبعون الأفكار العامية لابن تيمية[1].

حيث إن هؤلاء يدعون بأنهم متنورون وينشدون التخلص من أعباء التقليد، ويتصورون أن نفض أوزار التقليد إنما يتحقق عن طريق التنصل من تعاليم القرآن والإسلام، والتنكر للدين والإساءة إلى رجال الدين، متناسين بأننا نعرف بأنهم إنما يسيرون وراء وحوش نجد، وحداة البعران في الرياض، ممن يعدون من أسوإ المخلوقات البشرية[2]، ويتنصلون مما يفرضه عليهم الشاه والإله، وغدوا آلة في يد غول الصحراء.

□ البواعث الأساسية لاعتراضات هؤلاء:

وحيث إن هؤلاء جوبهوا بمشاكل الوهابية التي أخذت تنتقل بين أيدي عدد من الجهلة، ولم يكن لديهم من المعرفة وقدرة التمييز ما يتيح لهم التصدي للرد، كما أنهم لما لم يريدوا أن يقعوا تحت طائلة عالم عليم ليتلقوا منه الإجابة على المشاكل البعيدة عن التعقل . . . لذا فإنهم اضطروا إلى التقليد الأعمى للوهابيين؛ الذين هم مجموعة من رعاة الإبل المجردين من أي علم ومدنية[3].

ولكن؛ وحيث إن هؤلاء لم يَحْلُ لهم السير وراء حفنة من سكان الصحارى الجهلة، ولم يكونوا راغبين في تقليد وحوش نجد، وكانوا في الوقت ذاته يخضعون لحب الشهرة والأنانية، فقد استطاعوا، بلباقة خاصة، أن ينسبوا هذه النظرية إلى أنفسهم، وأن يعلنوا أنفسهم السباقين في هذا المجال، فأخذوا يقدمون للجماهير حفنة من الأقاويل العامية، المنبعثة من رغبة في بث روح الفتنة، مرفقين ذلك بمجموعة من السباب

---

(1) يسمي الشيعة أهل السنة بالعامة، وبذلك تكون «الأفكار العامية لابن تيمية» هي أفكار أهل السنة، وانظرها في «منهاج السنة النبوية».

(2) فليتدبر الخميني وشيعته قول الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ [الحجرات: ١١].

والشتائم .

والشتائم ؛ متناسين بأن مثل هذه الأقاويل، ومئات من المسائل المشابهة الأخرى . . . كانت منذ ظهور الإسلام، وما زالت حتى الآن، مألوفة لدى العلماء الذين ردوا على ذلك بشكل واضح .

وقد قام عبد العزيز بن سعود الذي أوردنا ذكره من قبل، قام بجمع المسائل التي أثارها هؤلاء، مدوناً إياها في رسالة أرسل بها إلى الشيخ الأكبر الشيخ جعفر، المتوفى سنة ١٨٠٨م، والذي قام بالرد على تلك المسائل، مستعيناً بآراء ابن تيمية، ونشر ذلك في رسالة باسم «منهج الرشاد»، طبعت في النجف سنة ١٩٢٣م . وليس في هذه الرسالة من المسائل العلمية ما يستحق الذكر وصرف الوقت من أجله .

□ خطأ مضحك ووراء :

إن هؤلاء المغامرين يعزون تخلفهم عن شعوب العالم وتموقهم عن المسيرة الحضارية لأوروبا . . . إلى الدين وزعمائه، ويعتبرون التنصل من الدين وترك شعائره . . . سبيلاً للتقدم وللحضارة، هذا بصرف النظر عن أن الحضارة الأوروبية التي يتمناها هؤلاء ليس لها معنى حقيقي .

ونحن لا نريد الخوض في هذا الأمر، لأن الإثبات بكون صفة التوحش أقرب إلى أوروبا . . . إنما هو شيء خارج عن نطاق بحثنا، والعليمون يدرون بأن أوروبا ليست بعيدة عن الدين وشعائره، وعن احترام السيد المسيح وأمه مريم ؛ بل إنها تعتبر المسيح، العبد المقرب للإله، ابن الله .

وكثيراً ما تتناقل الصحف الإيرانية عن الصحف الأوروبية ما تنشره عن إقامة مراسيم الدعاء لكبار الشخصيات الأوروبية . ويقول المطلعون : إن كبار الإنجليز والأمريكان الحاليين يقومون في صباح كل يوم بإقامة مراسيم الدعاء التي يسخر منها كتابنا ويستهينون بها .

□ ارتكاب الأخطاء:

منذ أعوام طويلة يروج في صحراء نجد ومملكة الحجاز المذهب الوهابي، الذي يقدسه بعض كتابنا المغامرين، ويَعُدُّونَه مصدراً للإصلاحات وأعمال الخير، بل إنهم يسعون لترويجه وتقدمه إلى الحد الذي جعلهم يتخلون عن جميع الشعائر الدينية، ويستهينون بالنبي محمد ﷺ، لكننا لم نجدهم يرفضون خطوة على طريق الرقي والحضارة - حتى يشجعنا ذلك على استقدام خبير سعودي والاستعانة به في ترك الخرافات التي يتهموننا بها، لكي نلحق بعد ذلك بحضارة ذلك البلد الذي تخلى عن الدين[1].

وعلينا أن ندرك الآن؛ بأن وقوع هؤلاء المغامرين في الأخطاء، وسعيهم لإيقاع الآخرين فيها، إنما يعود إلى تصورهم بأن الإسلام الذي استولى في نصف قرن على نصف الكرة الأرضية، أخذ خلال ثلاثة عشر قرناً الماضية يسير نحو الهاوية، لأن الشعب أخذ يتوجه نحو الدين ونحو إقامة شعائره.

ولكن؛ بإلقاء نظرة على أحوال الحكام والقادة العسكريين والمتدينين في فجر الإسلام، وعلى الأحوال السائدة اليوم ... تتوضح جميع الأمور، وتتكشف كل الأحابيل.

لقد كان حكام الإسلام في تلك العهود يطبقون في أرجاء البلاد الأحكام الإلهية، يقطعون يد اللص، ويقطعون رؤوس المتمردين ومثيري الفتن، ويتجنبون الكفار والأجانب، ويمتنعون حتى عن تقليدهم في الملبس والمأكل وما إلى ذلك، ويعدون التشبه بهم من المحرمات. إنهم كانوا مستقلين في أعمالهم الوطنية وشعائرهم الدينية،

---

(١) نعم؛ لقد تخلوا - بحمد الله - عن تمجيد الأموات، وتقديس العتبات، وعبادة القبور من دون الله.
هذه الأمور الشركية دندن حولها الخميني في «الحديث الأول» من كتابه هذا، ويجعلها محض التوحيد، ولباب الدين، ليرضي شيعته القبوريين.

ولم تكن لهم صلات ومبادلات مع الأجنبي.

إن حكام الإسلام في تلك العهود لم يكونوا ليجلسوا ـ في بلاطاتهم ـ على فرش الحرير، لأن نبي الإسلام كان قد نهى عن استخدامه، لقد كانت روح الروحانية قوية ومتأصلة فيهم إلى الحد الذي أدى بقائد إسلامي كبير إلى أن يتجرع كمية من السم القاتل اعتقاداً منه بأن رب الإسلام والقرآن سيحميانه أمام أعداء الدين، وهذا هو ما حصل بالفعل، حيث قام ستون من جنود الإسلام بالهجوم على جيش الروم المؤلف من ستين ألفاً، فتغلبوا عليه، كما أن بضعة آلاف منهم قضت على سبعمائة ألف جندي من الرومان، وقام عدد معدود من المسلمين باحتلال إيران بأسرها.

لقد تم ذلك كله بفضل قوى الدين والإيمان به، وليس لأن أولئك كانوا يعدون الدين وشعائره، عاراً وخزياً.

فأي شيء فيكم يشبه ما كان عند أولئك؟ لقد كانوا يؤمنون بأن الموت والشهادة سعادة، وأن الشهداء ينعمون في الحياة الأخرى، بنعم الله وكرمه، ومن هنا قاموا بتلك الفتوحات الباهرة.

وخلاصة القول أنهم تمتعوا بقدر كبير من حب الدين، والإيمان بالغيب، والمودة بالنسبة للروحانية، أما نحن فمختلفون في ذلك كله، وسنبقى كذلك . . .

□ من هو المخادع؟

بوركتم أيها الأفاقون الأدعياء الذين تظاهرتم ـ في البداية ـ بحبكم للدين الحقيقي، واستخدمتم العبارات البراقة لتجلبوا أنظار الجماهير إليكم، لكنكم بعد عدة صفحات تقولون: «إن الدين هو ما يوحي به العقل، وإن ما يدركه عقلنا هو الدين بعينه».

لئن كان ما يدركه عقلكم وعقلنا هو الدين بعينه، فلماذا إذاً تذكرون اسم دين الإسلام واسم القرآن ونبي الإسلام؟ إنكم تلصقون عنوة تهمة التضليل بكبار رجال

الإسلام، لكنكم تلجؤون في مواضع عديدة من الكتاب، إلى التضليل. إنكم في بادىء الأمر تتشدقون بالدين، وتتباكون على الإسلام، وتلطمون الصدور من أجل القرآن، وتضعون أنفسكم في مصاف المتدينين ومحيي القرآن؛ ولكنكم بعد عدة صفحات ـ وبجرأة كبيرة ـ تقولون: «إن القوانين التي يعود عهدها إلى ألف عام لا تتفق ومتطلبات العصر، لأنها لا تحوي شيئاً عن قانون التسجيل العقاري والجمارك»[1]. لكننا سنوضح فيما بعد بأن رب محمد ﷺ، الواضع للقوانين، قد حدد لجميع العصور كل ما يتعلق بأمور التسجيل والجمارك، بل وكل ما يتعلق بأمور البشر.

فما الذي تعرفونه أنتم عن قانون الإسلام؟ إننا نعرفكم أكثر من الآخرين ونعرف سوابقكم. ما أدراكم أين هي قوانين الإسلام؟ ما الذي يمكن أن نقوله لمن لم يقرأ القرآن مرة واحدة في حياته ثم يأتي ليقول بأن جبرائيل لم يرد ذكره في القرآن؟ وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل لنفضح خيانات هؤلاء.

□ الدافع الأصلي للتحامل على علماء الإسلام:

إن حملة الأفكار الباطلة، ومرددي الأقوال النابية، يعلمون جيداً بأن الملالي وحدهم هم الذين يستطيعون أن يكشفوا أوراقهم، وأن يفضحوا أكاذيبهم، وأن الآخرين ليس لهم أي تخصص في هذا المجال، وحتى إن كان لديهم شيء من الاطلاع حول ذلك؛ فإن وضع حد للتسيب ليس من مهمتهم.

ولكي يحقق هؤلاء أهدافهم المشؤومة، فإنهم يتخذون من الافتراء والاتهامات والتعليقات ضد الملالي . . . أفضل وسيلة لذلك. فيسعون للتقليل من شأنهم، ومن

---

(١) هذه فرية بلا مرية، يرددها دعاة التقدم المبهورون بالغرب، ولكن يجب أن يعلم الخميني وهؤلاء أن الإسلام لا يقر نظام الجمارك «المكوس»، بل يعده من الكبائر.
فقد ثبت أن النبي ﷺ قال في شأن الغامدية التي زنت وتابت ورُجمت: «فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفِرَ له» [أخرجه مسلم: ١٣٠٩].

نفوذهم بين الناس، لكي يخلو الميدان لصولاتهم وجولاتهم، ويتمكنوا أن يتلاعبوا بكل طمأنينة وراحة بال، بأعراض وأموال مجموعة من المساكين المضطهدين. والتاريخ وحده يشهد بأن العلماء ورجال الدين هم وحدهم الذين قاموا منذ وفاة نبي المسلمين وحتى اليوم بالحفاظ على الدين، والوقوف في وجه التحلل والانعتاق من القيود. أما الآخرون؛ فمنهم من لا شأن له بذلك، ومنهم من لا يريد أن يكون له فيه شأن.

◻ لماذا أساء رضا خان معاملة العلماء؟

في خلال العشرين سنة الماضية، التي تعتبر فترة اضطهاد لإيران وللدين، رأيتم ورأينا أن العلماء هم الهدف الأعلى لرضا خان، وأنه لم يسىء إلى أحد بقدر إساءته إليهم. إذ إنه كان يعرف بأنه إن لم يضغط على حناجرهم، وإن لم يسكت أصواتهم بقوة السلاح، فإنهم سيكونون الوحيدين الذين سيقارعون أهدافه الشريرة، ويعارضون سياسته التي كان يريد اتباعها ضد مصلحة الوطن والدين. أما مسؤولو ذلك العهد، فإما كانوا عبيداً له، أو يؤيدون مقاصده، أو كانوا ضعاف النفوس، وجبناء، يفرون من الميدان بصرخة واحدة.

إنه أمضى فترة مع المرحوم (المدرسي)، وأجرى معه اتصالات خاصة، وأدرك بأنه لا يستطيع كسبه لا بالتطميع ولا بالتهديد، ولا بقوة المنطق، وتعرف منه على أحوال العلماء، وعرف ما ينبغي عليه أن يفعله لتنفيذ مخططات أسياده، فأخذ يوجه إليهم الضغوط، ويعرضهم للتعذيب والإهانات، لا سيما وأن الملالي الذين أخذت تتجه إليهم الأنظار آنذاك، قاموا عدة مرات بالانتفاضة والتحرك من أصفهان وتبريز ومشهد، لمقارعة الفساد، إلا أن تراخي الجماهير التي كانت الجهة المنفذة لأهداف العلماء . . . قد أحبط إقداماتهم.

وكان الملالي قد عرفوا، منذ الأيام الأولى لحكم رضا خان، بأنه معاد لمصالح البلاد، فقاموا علانية، وإن لم يستطيعوا فبصورة سرية، بالكشف عن مفاسده للناس.

إلا أن ما قامت به تلك الفئة من دعايات على صفحات الصحف، التي كانت

وصمة عار في جبين إيران، جعلت رجال الدين يصبحون محتقرين في أنظار الناس، حتى إن بعض رجال الدين أصبح لا يسمح لهم بركوب السيارة، ولو حدث وصعد أحدهم إلى مركبة أصابها مكروه أثناء السير . . . فإن هذا المكروه يعزى إلى وجود رجل الدين بين الركاب.

وقد حدث أن كنت في سيارة نفذ وقودها في الطريق، فما كان من سائق المركبة إلا أن قال: إن ذلك من نحس وجود رجل الدين هذا.

وهكذا؛ فإن الملالي المساكين كانوا قد سقطوا، وأصبح الميدان مفتوحاً أمام فرسان العصر الذهبي، وأصبحنا نشاهد أياماً سوداء سوَّدت صفحات التاريخ وأخزتها.

إذاً؛ فهذا هو جزاء شعب يَعُدُّ التحلل فخاراً، وينفصل عن الدين وشرائعه.

ثم لم يلبث أن ذهب رضا خان، وذهب معه عهد الدكتاتورية السوداء، وكان يتوقع أن يكون الشعب قد شخَّص أوجاعه، واتعظ بتجارب عشرين سنة حافلة بالتطاول على أمواله وأعراضه، وأن يقوم بمعاقبة أبطال العصر الذهبي، وأن يسحق أولئك الذين تنكروا للدين ولشعائره؛ إلا أنه ظل يغط في النوم متناسياً أيامه السوداء.

ولما لم ينتفض أبناء الشعب من أجل إحقاق حقوقهم، فإن بعض المغامرين وجد الفرصة للاعتداء على الملالي، وأصبح معادياً للدين والتدين، وجعل أحكام القرآن قرباناً للأهداف الشريرة، حتى يتمكن بذلك من جعل البلاد ساحة لنواياه الفاسدة، ومن إعادة تلك الأيام السوداء من جديد. ولو أردنا إطالة الحديث لخرجنا عن هذا الصدد.

لذا؛ فإننا ندخل إلى لب الموضوع، ونجيب على كل واحدة من **أقوال هؤلاء المتشبهين بالوهابيين وأمثالهم، حتى نفضح أكاذيبهم، ونكشف عن خياناتهم. وآنذاك؛ نطالب دولة إيران وشعبها الغيور بمعاقبتهم. وعندما يحين موعد قمعهم، فإن الكشف عن كل واحد منه أمر تقع مسؤوليته على عاتقنا**[1].

---

(١) إن حقد خميني على الوهابيين قديم، لذا لا نستغرب أعماله وزمرته في مكة المكرمة!

الحديث الأول:

التوحيـــــــد

■ السؤال الأول:

«هل طلب الحاجة من النبي والإمام، وطلب الشفاء من التربة، والسجود عليها، وإقامة القبب والأضرحة . . . يعتبر شركاً أم لا؟ فإن كان كذلك يُعَدُّ، وضحوه لنا، وإن لم يكن كذلك فالمرجوُّ أولاً بيان معنى الشرك لكي نتبين الفرق بين ذلك الشرك الذي حاربه الإسلام، وبين هذه الأعمال» . . .

□ الإجابة على السؤال الأول:

هذا السؤال يتفرع إلى عدة فروع، كما يلي:

١ ـ طلب الحاجة من النبي والإمام؛ هل هو شرك أم لا . . .؟

٢ ـ طلب الشفاء من التربة؛ هل هو شرك أم لا . . .؟

٣ ـ السجود على التربة؛ هل هو شرك أم لا . . .؟

٤ ـ إقامة القبب والأضرحة؛ هل هو شرك أم لا . . .؟

٥ ـ لو لم تكن هذه الأمور شركاً، إذاً؛ فأي شيء ذلك الذي يحاربه الإسلام والقرآن؟ وما هو معنى الشرك؟ نريد أن نعرف الفارق بين هذه الأمور وبين الشرك.

ونضيف من عندنا سؤالاً آخر على هذه الأسئلة، وهو: هل احترام القبور وتبجيلها

شرك أم لا[1] . . . ؟

◻ مقدمة لتوضيح الأمور:

إن الإجابة على هذه الأسئلة تتوقف على فهم معنى الشرك وأشكاله، وعلى معرفة آراء ومعتقدات العرب وغير العرب حتى ظهور الإسلام، حول ذلك، حتى نعرف أية أفكار ومعتقدات كان يحاربها القرآن[2]، ولذلك فإننا نتحدث بإيجاز عن ذلك، وإذا أراد القارىء مزيداً من التفاصيل فعليه أن يعود إلى كتاب «الملل والنحل»، وإلى كتب

---

(١) هذه الأمور المذكورة هي عظم الدين الشيعي ونخاعه، حيث يعظمون قبور أئمتهم، ويصلُّون إليها مستدبرين القبلة، مما لا يفعله الجاهليون مع أصنامهم.

ويشدون الرحال إلى مشاهدهم في مشهد وكربلاء والنجف، فيطوفون حولها، وينحرون الذبائح، ويطلبون من أصحاب القبور أموراً لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى.

بل إنهم يعدون الحج إليها وقصدها أفضل من الحج إلى البيت العتيق، فقد ألف «المفيد» أحد علمائهم، كتاباً سماه: «مناسك حج المشاهد».

وقال شاعرهم:

هي الطفوف فطف سبعاً بمغناها ... فما لمكة معنى مثل معناها
أرض ولكنما السبع الشداد لها ... دانت وطأطأ أعلاها لأدناها

قلت: والطفوف: جمع طف، وهي أرض كربلاء.

وأجاز الخميني كل هذا في كتابه الموسوم بـ «تحرير الوسيلة» (١ / ١٥٢ ـ ١٥٦).

(٢) حصر الخميني الشرك الذي حاربه الإسلام، وهدمه محمد عليه الصلاة والسلام في الربوبية؛ ليسلم له دينه الذي رفع قواعده على القبور الموهومة، والتوجه في العبادة لسلسلة الأئمة الاثني عشرية المعصومة.

وفساد هذه الأقوال من الضروريات النقلية والعقلية المعلومة، فقد ثبت بالنص القرآني المتواتر في سورة [العنكبوت: آية ٢٩]، و[لقمان: آية ٣١ و ٣٩]، و[الزخرف: آية ٤٣]، أن العرب كانت تقر بتوحيد الربوبية، لكنها اتخذت أصناماً تعبدها لتقربها إلى الله زلفى، فصرفوا لها توحيد الألوهية (العبادة)؛ كالخشية والرهبة والإنابة والذبح والنذر والحب . . . وكذلك تفعل الشيعة عند أصنامها؛ القبور والمشاهد. فتدبر.

«التاريخ والسير»[1].

◻ بيان شرك المجوس وذكر طوائفهم إجمالاً :

من إحدى مظاهر الشرك وضع مبدأين للعالم، أحدهما: النور، ويمثله الإله، وثانيهما: الظلام، ويمثله الشيطان . . . والمجوس كانوا يضعون الآلهة في المقام الأول، وينسبون إليها الخير والأمور الحسنة، ويعزون الشر والخبائث إلى الشيطان. وقد حدثت فيما بينهم ثمة خلافات حول منشإ الشيطان. فقد كانت (الكيومرثية) ترى بأن الشيطان هو وليد الأفكار السيئة للنور الذي يمثله الإله. أما (الزورانية) و (الزرادشتية) فقد كانت لهما آراء عجيبة في ذلك.

◻ بيان الديانة الثنويه :

إن أتباع هذا الدين يؤمنون بمبدأين قديمين أزليين؛ هما: مبدأ النور والظلمة، ويرون أن كلا المبدأين متساويان في القدم والخلود، لكنهما متفاوتان في الجوهر، والطبع، والفعل، والمكان، وفي الحيز، وفي الأجساد، والأبدان، والأرواح.

ومن دعاة هذه الديانة أتباع (المانوية) التي ظهرت على عهد (شابور بن أردشير)، وقام (بهرام بن هرمز) بقتل داعية هذا الدين . . . (ماني).

ثم عاد هذا الدين إلى الظهور على عهد المسيح، حيث أخذ ينادي بأن العالم هو وليد هذين المبدأين القديمين الخالدين، وأن هذين المبدأين متضادان في الروح والصورة والفعل والتدبير، ومتساويان في الحيز.

وكان دعاة هذا الدين يؤمنون بأن جوهر النور يتمثل فيما هو خير وفاضل وذو رائحة طيبة ووجه جميل ونفس محبة للخير وفيما هو حكيم ونافع، وأن الظلام يختلف عن ذلك

---

(١) يراجع بهذا الشأن: «الملل والنحل» للشهرستاني، و «دائرة المعارف» لفريد وجدي، و «مروج الذهب» للمسعودي، و «بيان الأديان» لأبي المعالي. (ج).

في جميع هذه الأمور. ويعتقدون بأن لكل من النور والظلمة خمسة مظاهر تمثل أربعة أجسام، وروح واحدة. والأجسام هي عبارة عن: النار، والنور، والهواء، والماء، أما الروح فتتمثل في النسيم الذي يتحرك في داخل هذه الأجسام. أما أجسام الظلمة فهي عبارة عن: الحريق، والظلام، والسم، والضباب، أما الروح فتتمثل في الدخان الذي يتحرك في هذه الأجسام. ولدعاة هذا الدين أفكار ومعتقدات غريبة أخرى، نحجم عن ذكرها.

□ بيان مزدك وأفكار المزدكية:

ظهر (مزدك) على عهد قبادا والد أنو شروان، ودعا قبادا إلى اعتناق دينه، فاستجاب هذا للدعوة، إلا أن أنو شروان اغتال صاحب هذه الدعوة.

لقد كان لدعاة هذا الدين أفكار غريبة، من ذلك أنهم كانوا يؤمنون بمبدأين قديمين، وقد نقل عن (مزدك) قوله: إن ربي جالس في العالم العلوي على الكرسي كما يجلس خسرو في العالم الدنيوي على العرش. وتوجد بين يديه أربع قوى هي: النظافة، والفهم، والحفظ، والسرور. كما يوجد بين يدي خسرو أربعة أشخاص، هم: رجل الدين والقاضي والقائد العسكري والمطرب. وهؤلاء الأربعة يسيِّرون أمور العالم من خلال سبعة تتمثل في: القائد، والإداري، والخبير، والقانوني، والطفل، وإن هذه السبعة تتمثل في من: يقرأ، ويعطي، ويستلم، ويربح، ويأكل، ويركض، ويقتل، ويضرب، ويفعل، ويستقبل، ويصنع. وكانوا يقولون بأن من يجمع هذه الصفات يصبح في الدنيا ربانيًّا وترفع عنه الواجبات.

وكانت المزدكية تضم طوائف أخرى هي الديصانية والمرقونية والكينونية والمؤمنين بالتناسخ. والحديث عن كل واحدة منها طويل، وكانت الطوائف المجوسية تقيم معابد للنار. وكان (فريدون) قد شيد أول معبد للمجوس في طوس، أعقب ذلك بناء معابد أخرى في بخارى وسجستان وفي شرقي الصين وفي فارس، وكان ذلك قبل ظهور زرادشت.

□ بيان معتقدات أهل الأهواء والنحل:

كان هؤلاء يعتمدون في ديانتهم على الفطرة والعقل والذهن، وتنتمي إلى هذه الفئة طائفة تسمى بـ (الدهريين) لا تؤمن بغير المحسوسات، وليس للعقل عليها أي تأثير.

وهناك طائفة أخرى تؤمن بمبدإ (المبدإ والمعاد) لكنها كانت تتعامل مع الفئات الأخرى حسب إدراكها. ويقوم بعض كتابنا المعاصرين بتقليد هذه الفئة، متصورين بأنهم جاؤوا بشيء جديد، متناسين بأن هذه الأفكار البالية يعود عهدها إلى ألف عام، وأن الأنبياء قد قضوا عليها.

□ بيان معتقدات (الحرنانيين) وأفكارهم:

وكان المؤمنون بهذه المعتقدات من المجوس الذي يجمعون بين تثليث النصارى وشرك الثنوية والإيمان بخمسة مبادىء. اثنان منهما هما: الحي والفاعل، ويتمثلان بالباري وبالنفس. والمبدأ الثالث هو (المنفعل) ويتمثل في الهيولى، والمبدآن الآخران هما: غير الفاعل وغير المنفعل، ويتمثلان في الدهر والخلاء، ولهؤلاء أيضاً آراء عجيبة نحجم عن ذكر تفاصيلها.

□ المعنى الآخر للشرك وبيان طوائف أخرى من المشركين:

المظهر الآخر للشرك يتمثل في عبادة أكثر من إله، ويتخذ شكل عبادة عدة آلهة، وستحدث عن ذلك فيما بعد، وأبرز هذه الفئة طائفتان كبيرتان تعرف إحداهما باسم (أصحاب الهياكل)، والأخرى باسم (أصحاب الأشخاص).

أ ـ معتقدات أصحاب الهياكل:

ويعتقد هؤلاء بأنهم لا يرقون إلى مرتبة عبادة الإله الأكبر، وأنهم في هذه العبادة بحاجة إلى وسيط يعبدون ويتقربون عن طريقه إلى الرب الأكبر. ومن هنا فإنهم كانوا يؤمنون بالأرواح المجردة التي اعتبروها المدبرة لما في هذا العالم. وعندما أرادوا عبادة

هذه الأرواح، ووجدوا بأنها غير مرئية، وقالوا بأنهم بحاجة إلى عبادة موجودات يرونها بأم أعينهم؛ لذا فإنهم اتجهوا إلى الهياكل، أي: إلى النجوم السيارة، وعدُّوا كل واحد من الروحانيين مرتبطاً بواحدة من هذه الأنجم، وعدُّوا الهياكل أجساداً للأرواح، وقالوا: إن العلاقة بين الأرواح والأبدان مثل العلاقة بين النفوس والأجسام البشرية، وربطوا حياة النجوم بحياة الأرواح، وقالوا: إن التقرب إلى الأجسام هو تقرب إلى الأرواح، وإن عبادة الكواكب هو عبادة لأرواحها التي تقربهم إلى الإله الأكبر. ومن هنا فإنهم وضعوا مراسيم خاصة للكواكب السيارة السبعة، فعينوا:

أولاً: منازلها ومحطاتها وأسماءها.

ثم قاموا ثانياً بتعيين مواعيد طلوعها واختفائها.

وثالثاً: صلاتها ببعضها في ضوء طباعها وأشكالها.

وقاموا رابعاً بتقسيم ساعات الليل والنهار بموجبها.

وخامساً: تعيين المدن والأقاليم بالاستناد إليها.

ثم قاموا بوضع أدعية وأوردة لها، وصاغوا على شكل كل كوكب خاتماً، ووضعوه في أصبعهم في اليوم والساعة المخصصين لذلك الكوكب، وأدوا مراسيم عبادة كل واحدة منها في وقته المحدد، وطلبوا منها الحاجات، وعينوا كل كوكب لحاجة من الحاجات. واعتبروا هذه الكواكب آلهة وأسياداً، وأسموا الإله الأكبر برب الأرباب، وإله الآلهة، واعتبر البعض منهم الشمس . . . إله الآلهة. وكان السحر والتنجيم والكهنوت والعزائم والأوراد . . . من أبرز علوم هؤلاء.

ب ـ معتقدات أصحاب الأشخاص:

وكان هؤلاء يقولون: إن الروحانيين هم آلهتنا، وإنهم واسطتنا لدى الإله الأكبر، وأنهم لا يُرون، وإننا لا نستطيع أن نتحدث إليهم ونخاطبهم، ولذا فإن التقرب إليهم لا يتم إلا عن طريق الكواكب. وإن لهذه الكواكب شروق وغروب، وإننا لا نستطيع أن نراها ونتحدث إليها دوماً، فالتقرب إليها إذاً غير متيسر دوماً، ومن هنا فإنهم صنعوا

أشكالاً وأصناماً على هيئة هياكل للسيارات السبعة، وأخذوا يعدونها حتى تقربهم إلى الهياكل المذكورة، والهياكل تقربهم إلى الروحانيين . . . والروحانيون الذين هم صغار الآلهة، يقربونهم إلى الإله الأكبر، وكان كل صنم يصنع من فلز يناسب واحداً من تلك الكواكب، ثم راحوا يقدمون فروض العبادة لهذه الأصنام، لكي تكون الشفيعة لهم لدى الإله، وكانوا يراعون في ذلك الساعة والدقيقة ودرجة الاتصال، وكانوا يسألونها قضاء حاجاتهم، ولم يكونوا ينسبوا إلى الإله الأشياء الرديئة والمؤذية، ويقولون: إن الإله أكبر من أن يخلق مثل هذه الأشياء، ولهم كذلك أفكار ومعتقدات كثيرة أخرى لا نتطرق إليها هنا.

□ آراء العرب في الجاهلية:

للعرب، منذ الجاهلية وحتى ظهور الإسلام، آراء كثيرة، فقد كانت طائفة منهم تدين بالدهرية، وترى أن الطبع هو المحيي، وأن الدهر هو المفني، وتعتقد أن الموت ما هو إلا تركيب وتحلل للعناصر، وتقول: إن ما يجمع هو الطبع، وإن ما يهلك هو الدهر.

وكانت هناك طائفة أخرى تؤمن بالإله ومبدإ الخليقة، إلا أنها تنكر المعادة وبعثة الرسل.

أما الطائفة الثالثة فإنها تؤمن ـ إلى حد ما ـ بالإله وبالمعاد، إلا أنها تتنكر للرسل، وتعبد الأصنام. وكانت إحدى شبهاتها تدور حول بعثة الرسل، فيما هناك طائفة كانت تؤمن ببعث الأجساد بعد الموت، ومن أشعار هذه الطائفة:

أأترك لذة الصهباء يوماً لما وعدوه من لبن وخمر
حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

□ جذور أفكار العرب وكيفية ظهورها:

في أوائل سلطنة شابور ذي الأكتاف، أصبح عمرو بن لحي كبير قومه في مكة،

وأصبحت له سيطرة على الكعبة، وعند سفره إلى الشام، التقى قوماً يعبدون الأصنام، فسألهم عن أحوالهم، فرووا له حكايتهم، فأعجب بما عندهم، وطلب منهم أن يعطوه هبل، فنقله من الشام إلى مكة، وأقامه في الكعبة، ودعا الناس إلى عبادته، حتى باتت عبادة الصنم في مكة شائعة، وحتى أصبحت كل طائفة من العرب تصنع لنفسها صنماً تعبده وتجعله وسيطاً وشفيعاً لدى الإله الأكبر، وتطلب منه حاجتها.

□ الطوائف العربية وأصنامها:

وكانت للقبائل العربية أصنام، هي كما يلي:

ود، سواع، يغوث، يعوق، نسر، اللات، العزى، مناة، هبل، إساف، وكانت قبيلة كلب تعبد «نائلة الود»، وكان سواع يعود لهذيل، ويغوث يعبد من قبائل مذحج وقبائل اليمن، ونسر يعبد من قبل ذي كلاع، أما قبائل همدان فكانت تعبد يعوقاً، وبنو ثقيف تعبد اللات، وبنو كنانة وبعض من بني سليم تعبد العزى، والأوس والخزرج وغسان تعبد مناة، أما هبل؛ وهو صنم كبير، فقد تم نصبه على سطح الكعبة، كما قام عمرو بن لحي بوضع إساف ونائلة في الصفا والمروة، أما بنو ملكان من كنانة فقد كان لهم صنم يسمى أسعد.

وكانت هناك قبائل عربية لها معتقدات أخرى، ففئة منها يهودية، وفئة أخرى نصرانية، والثالثة صابئية، وفئة تعبد الملائكة، وأخرى تعبد الجن.

□ معتقدات النصارى:

بعد أن صعد المسيح إلى السماء، نشبت بين الحواريين خلافات حول ذلك، وكانت الخلافات تنصب حول نقطتين؛ الأولى: كيفية نزول المسيح وصلته بأمه. والثانية: حول صعوده واتصاله بالملائكة.

فيما يخص نزول المسيح؛ تروج بين المسيحيين ثمة أقوال ومعتقدات تقترن أحياناً بالخرافات، ولا داعي لذكر ذلك هنا. لقد وضع هؤلاء، للإله ثلاثة أقانيم، وكانوا

يرون أن للإله جوهر واحد وثلاثة أقانيم، والأقنوم لفظة سريانية تعني الأصل، وأطلقوا على أقنوم الوجود اسم (الأب)، وعلى أقنوم العلم اسم (الابن)، وعلى أقنوم الحياة اسم (روح القدس). وكانوا يعتقدون بأن العلم قد تجسد فأصبح المسيح ابن الله الأوحد، ثم انقسم النصارى إلى اثنين وسبعين فرقة، أكبرها ثلاثة؛ هي:

الملكانية: وتعتقد بأن المسيح هو كل الوجود، وأنه أزلي أبدي، وأن مريم قد ولدت هذا الإله الأزلي، وتحسب المسيح ابن الله، وغير مخلوق، بل ترى أنه من جنس أبيه.

والنسطورية: وترى أن الأقانيم الثلاثة لا زائدة على الذات، ولا متحدة معها. وبعض منها يرى أن الإله هو الأقانيم الثلاثة، وبعضها الآخر يعتبر المسيح إنساناً وإلهاً، ويعُدُّ اللاهوت والناسوت متحدين.

واليعقوبية: وتؤمن بالأقانيم الثلاثة كما هي، لكنها كانت تعتقد بأن اللاهوت قد انقلب إلى الناسوت، إذاً فإن الله أصبح مسيحاً والمسيح هو نفسه الله، وقد بدا متجسداً.

وتوجد بين هذه الفئات فئات لها معتقدات غريبة أعرضنا عن ذكرها، وهذه هي نظرة إجمالية في معتقدات البشر من عرب وغير عرب حتى ظهور الإسلام.

□ من كان الإسلام والقرآن يحاربان؟

نستعرض هنا آيات من القرآن الكريم، مع ذكر رقم السورة والآية، ثم نبين الفارق بين المراسيم والتقاليد التي يمارسها الشيعة، بل وجميع المسلمين والمتدينين، وبين ما يحاربه القرآن والإسلام، حتى نكشف بذلك غاية أو جهالة هؤلاء المتسيبين في المجتمع، وحتى يعرف الجميع من هو الكاذب وخائن الشعب والوطن، ونترك الحكم في ذلك للضمائر الحية للإيرانيين الفرس[1] الذين دونت هذه الصفحات من أجل دينهم

---

(١) أبى الخميني إلا أن يؤثر التعصب القومي الذميم على دين الله السمح، فنسب بني وطنه إلى قوميتهم =

ومبادئهم ووطنهم، ثم تترك لهمة الشباب الغيارى من المتدينين أمر معاقبة أولئك الذين لم يبخلوا بشيء من أجل العبث بمقدساتهم الدينية، حتى تُخمد بذلك نيران الفتنة التي انبعثت من معابد فارس وعلى أيدي زرادشت ومزدك، ولو أبدينا تهاوناً في ذلك، فإننا سنجد بأن هؤلاء الحثالات سيقومون بإضرام نيران معابد المجوس ودعوتكم جميعاً إلى مبادئهم.

إننا شخصنا تماماً مراكز الأفكار السامة، وأمعنا النظر جيداً في أهدافهم، ووضعنا أيدينا على جذور دوافعهم، وعرفنا منذ أمد بعيد بأن هذه التوافه تقطر من أدمغة ضيقة متحجرة في مقابل أحاسيس أربعمائة مليون متدين، وإننا سنقوم في مستقبل قريب، بفضح هؤلاء لكي نحيط الشعب والدولة علماً بأفكارهم.

□ نماذج من الرد على الدهريين:

لما كان معظم الإيرانيين والعرب والهنود، آنذاك، من عبدة الأصنام، وكان الدهريون والطبيعيون قلة، فإن الآيات القرآنية ضد الدهريين كانت قليلة أيضاً، ومعظمها تدور حول عبدة الأوثان، ومع ذلك فقد وردت آيات في الرد على هؤلاء، نكتفي بإيراد نماذج منها فحسب:

تقول الآية [٢٣] من سورة الجاثية:

﴿وقالوا ما هِيَ إلا حياتُنا الدُّنيا نموتُ ونَحْيا وما يُهْلِكُنا إلا الدَّهْرُ وما لَهُم بذلكَ مِن علمٍ إنْ هُم إلا يظُنُّونَ﴾.

وقد نزلت هذه الآية في الرد على طائفة من عرب الجاهلية، ممن كانوا يؤمنون بذلك، ويمكن الرجوع إلى آراء هذه الفئة التي كانت تدعو الناس إلى العودة إلى الفطرة وإلى التأمل في ذلك.

= الفارسية، ولو قال: الضمائر الحية للإيرانيين المسلمين. لكان خيراً له، وقد تكرر منه ذلك مراراً. «دعوا عنكم عبية الجاهلية فإنها نتنة».

□ نماذج من الرد على القائلين بوجود إلهين:

في القرآن آيات كثيرة في الرد على المشركين من المؤمنين بوجود إلهين أو أكثر، ومن ذلك الآية [٢٢] من سورة الأنبياء، حيث تنص على ما يلي:

﴿لو كانَ فيهما آلهةٌ إلا الله لَفَسَدتا فسُبْحانَ الله ربِّ العرشِ عمَّا يَصِفونَ﴾.

ثم الآية [٢٤] التي تقول:

﴿أمِ اتَّخذوا مِن دونه آلهةً قلْ هاتوا بُرْهانَكُم﴾.

كما أن سورة التوحيد والآيات الأخيرة لسورة الحشر وسواها من الآيات الأخرى ... قد جاءت بنفس المضمـون، وفي تقديس رب العالمين والرد على الثنوية والمزدكية، ويمكن الرجوع إلى آراء هؤلاء، وكذلك إلى الآيات الأخرى في دحض المشركين.

□ آيات في الرد على عبدة الكواكب:

هنالك آيات كثيرة في ذكر الشرك في العبادة، والشرك بصورة عامة، وفي دحضهما، من ذلك الآيات [٧٦ - ٧٨] من سورة الأنعام:

﴿فلما جَنَّ عليهِ الليلُ رأى كَوكباً قال هٰذا ربي فلمَّا أفَلَ قال لا أُحبُّ الآفِلينَ . فلما رأى القمرَ بازِغاً قال هٰذا ربي فلمَّا أفَلَ قال لئِنْ لم يهْدِني ربِّي لأكونَنَّ من القومِ الضَّالِّينَ . فلمَّا رأى الشمسَ بازغةً قال هٰذا ربِّي هذا أكبرُ فلمَّا أفَلَتْ قال يا قومِ إنِّي بريءٌ مما تشركونَ﴾.

□ في الرد على عبدة الأوثان:

وقد علمنا بأن معظم المشركين العرب كانوا من عبدة الأوثان، وفي القرآن آيات موجهة إلى هؤلاء وإلى دحض معتقداتهم، وفي معظم الآيات ثمة توبيخات موجهة إليهم. من ذلك الآية [١٩] من سورة يونس:

﴿ويعبُدونَ مِن دونِ الله ما لا يضُرُّهُم ولا ينفَعُهم ويقولونَ هٰؤلاءِ شفعاؤنا عندَ الله قُلْ أتُنبِّئونَ الله بِما لا يعلَمُ في السَّماوات ولا في الأرضِ سُبحانَه وتعالى عمَّا يُشرِكونَ﴾.

وكذلك الآية [٣٧] من سورة الأنبياء:

﴿وإذا رآكَ الذينَ كَفَروا إنْ يتَّخِذونَكَ إلا هُزُواً، أَهٰذا الذي يذكُرُ آلِهتَكُم وهُم بذِكرِ الرحْمٰنِ هُم كافِرونَ﴾.

والآية [٤٣] من السورة نفسها:

﴿أم لهُم آلهةٌ تمنَعُهُم من دونِنا لا يستَطيعونَ نصرَ أنفسِهم ولا هُم منَّا يُصْحَبونَ﴾.

والآيتان [٩٨ و ٩٩] من السورة إياها:

﴿إنَّكُم وما تَعْبُدونَ من دونِ الله حَصَبُ جهنَّمَ أنتُم لها وارِدونَ. لو كانَ هٰؤلاءِ آلهةً ما وَرَدوها وكلٌّ فيها خالِدونَ﴾.

□ آيات تذكر أسماء أوثان العرب:

قلنا: إن كل قبيلة من العرب اتخذت لنفسها وثناً تعبده، وقد ذكرنا أسماءَ تلك القبائل وأوثانَها، ونورد هنا آيات ذكرت بصراحة أسماء الأوثان:

من سورة نوح الآيتان [٢٢ و ٢٣]:

﴿ومَكَروا مَكْراً كُبَّاراً. وقالوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم ولا تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُواعاً ولا يَغوثَ ويَعوقَ ونَسْراً﴾.

والآيتان [١٩ و ٢٠] من سورة النجم:

﴿أفرأيتُمُ اللاتَ والعُزّى. ومَناةَ الثالثَةَ الأُخرى﴾.

□ آيات نزلت في النصارى:

الآية [٧٣] من سورة المائدة:

﴿لقد كَفَرَ الذينَ قالوا إنَّ الله ثالثُ ثلاثةٍ وما مِن إلهٍ إلا إلهٌ واحدٌ﴾.

والآية: [١٧١] من سورة النساء:

﴿يا أهْلَ الكتابِ لا تَغْلوا في دينِكُم ولا تقولوا على الله إلا الحقَّ إنَّما المسيحُ عيسى بنُ مريمَ رسولُ الله وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه فآمنوا بالله ورسلِهِ ولا تقولوا ثلاثةٌ انْتَهوا خيراً لكُم إنَّما الله إلهٌ واحدٌ سُبحانَه أن يكونَ له ولَدٌ﴾.

والآية [١٩] من سورة المائدة:

﴿لقد كفَرَ الذينَ قالوا إنَّ الله هو المسيحُ ابنُ مريمَ﴾.

والآية [٣٠] من سورة التوبة:

﴿وقالتِ اليهودُ عُزَيْرٌ ابنُ الله وقالتِ النَّصارى المسيحُ بنُ الله﴾.

وهنالك آيات كثيرة في هذا الباب أصفحنا عنها للإيجاز.

□ حجج المشاغبين:

إن المشاغبين يقومون؛ إما عن غباء، أو عن قصد ورغبة في التضليل، بإيراد جزء من آية قرآنية، ليثبتوا بها أكاذيبهم.

إننا نورد تلك الآية وما سبقها وتبعها من الآيات لنفضح هؤلاء الخونة ونثبت بأن هذه الآيات جاءت لدحض عبدة الأوثان والنصارى أيضاً.

سورة الزمر الآيات [٢ ـ ٨]:

﴿إنَّا أنزَلْنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ فاعْبُدِ الله مُخْلِصاً له الدين. ألا لله الدين الخالصُ والذينَ اتَّخَذوا مِن دونِهِ أولياءَ ما نعبُدُهم إلا ليُقَرِّبونا إلى الله زُلْفى إنَّ الله يحكُمُ بينَهم فيما هُم فيهِ يَخْتَلِفونَ . إن الله لا يَهْدي مَن هو كاذِبٌ كفَّارٌ. لو أرادَ الله أنْ يَتَّخِذَ ولداً لاصْطَفى ممَّا يَخْلُقُ ما يشاءُ سُبحانَه هو الله الواحِدُ القَهَّارُ. ذلك الله ربُّكم له المُلْكُ لا إله إلا هو فأنَّى تُصْرَفونَ﴾.

وعلى القراء أن يقرؤوا هذه الآيات ويقارنوا بين معتقدات عرب الجاهلية ممن كانوا يعبدون الله لكي يقربهم إلى الرب الأكبر، وبين معتقدات النصارى الذين يعتبرون المسيح ابن الله . . . حتى يتَّضِحَ لهم بأن هذه الآيات قد نزلت عقب آيات في الرد على مشركين يؤمنون بأكثر من إله واحد، وعلى النصارى الذين جعلوا للإله ولداً[1].

◻ الفرق بين العبادة والتواضع :

لقد عرفنا الآن المعتقدات والأفكار الباطلة التي يحاربها القرآن والإسلام، ورأينا أنهما يدحضان القائلين بتعدد الآلهة وعبدة الأوثان والكواكب[2]، وها هو ذا القرآن يخاطب الكفار في سورة الكافرين، ويلخص لهم الأمور في آيات قصيرة، فيقول:

﴿قُلْ يا أيُّها الكافِرونَ . لا أعبُدُ ما تَعْبُدونَ . ولا أنتُم عابِدونَ ما أَعْبُدُ﴾ . . إلى أن يقول: ﴿لكُم دينُكم وليَ دينِ﴾ .

وعلينا هنا أن نميز بين العبادة والتواضع، لكي يتبين أيهما كفر وشرك، والقرآن والإسلام قد حارباهما؟ وأيهما إيمان وخير، والقرآن والإسلام قد أمرا به؟

إن القراء الكرام، الذين يعرف معظمهم العربية، يعرفون أن العبادة من العبودية، ومعناها أن يكون هناك معبود يعبد؛ سواء أكان إلهاً كبيراً أم صغيراً، وقد كان المشركون هم كذلك، ولهم معتقدات وآراء واضحة في هذا الخصوص، أما التواضع فهو شيء آخر.

وإذا استعرضنا الأغراض التي تستعمل فيها هاتان اللفظتان بالفارسية والعربية

---

(١) لو تأمل الخميني سياق الآيات وسياقها ببصره وبصيرته، لوجدها في بيان عقائد الجاهليين الذين اتخذوا من دون الله أولياء، وبخضوعهم العبادة التي لا تصرف إلا لله، زعماً منهم أنها وسائل تقربهم إلى الله، وهذه الدعوى الجاهلية هي نفسها حجة عباد القبور من الشيعة والصوفية، كما شرحها الخميني في كتابه الذي بين يديك.

(٢) كلا؛ وقد تقدم دحض هذه الفرية الخمينية.

لاتّضحت الأمور تماماً.

فالعقلاء في العالم قد يلتقون في آناء الليل وأطراف النهار، وفي الشوارع والأزقة، بأصدقاء ومعارف لهم، فيتبادلون معهم التحيات، وهم عندما يبدون التواضع أمام هؤلاء فإن ذلك لا يعني أبداً العبادة[1]، ولا يعني أن ذلك الصديق معبود، بل إن التواضع يعتبر من أكبر الخصال الإنسانية، ومن يتصف به بصورة أبرز يكون موضع استحسان أكبر، وفي الوقت الذي تدين فيه شعوب العالم عبادة غير الله، وعبادة الموجودات الأخرى . . . فإنهم يدينون بالاحترام لزعماء الدين، وجميع أفراد العائلة البشرية، يثنون على تواضع رجال الدين وسموهم، فهل يمكن القول بأنهم كفار ومشركون. وما دامت لفظة التواضع لم تُمْحَ من قواميس العالم، وما دام البشر لا يتعاملون مع بعضهم بعضاً مثل الحيوانات، فإنهم لن يخرجوا من دائرة الشرك، ولا يبلغون مرحلة التوحيد.

فكيف يتعامل الوهابيون ودعاتهم القليلون في إيران مع بعضهم بعضاً عند اللقاء؟ هل هم لا يبدون أي تواضع أو احترام لبعضهم الآخر، ويتقابلون كالحيوانات[2]؟ أم أنهم يتبادلون فيما بينهم الاحترام المتعارف بين بني البشر[3]؟ فهل

---

(1) هذا قياس مع الفارق؛ فهو فاسد، لأن التواضع أمر، والعبادة أمر آخر، وهل عبادة القبور ودعوة أصحابها لكشف الشدائد وجلب الفوائد يعدُّها الخميني تواضعاً، أم أنه يريد أن يسمي الأشياء بغير أسمائها!!

(2) لا يخفى هذا الأمر على الخميني وشيعته، فإن تحية هؤلاء السنيين بينهم سلام كما شرعت في الإسلام، ليس فيها سجود وطأطأة ودعاء للأموات، الذين لا يملكون ضرًا ولا نفعاً ولا حياةً ولا نشوراً.

(3) هذا التعميم الخميني باطل، فإن التحية الإسلامية التي قوامها إفشاء السلام أو المصافحة عند اللقاء أو الالتزام عند القدوم من سفر لا تلتقي مع غيرها من التحيات الوضعية؛ الانحناء، أو السجود، أو تقبيل الأرض بين الأيدي . . . إلخ. وهذه الأمور كلها يعدها الإسلام شركاً إذا صرفت لغير الله، وهو ما تفعله الشيعة عند أعتاب القبور والمشاهد والعياذ بالله.

يعني أنهم بذلك قد أبدوا فروض العبادة لبعضهم بعضاً وعبدوا غير الله إلهاً وأصبحوا مشركين؟

□ **ما يقوله القرآن حول ذلك:**

إن أكبر مظاهر التواضع وأسمى آيات الخضوع هو قيامنا بالسجود، وهو أمر لا نجيزه لغير الله، لأن الإله قد نهى عن ذلك.

والسجود الذي يُعدُّ في الشريعة الإسلامية أسمى مظاهر الاحترام وأبرزها، إن لم يكن كعبادة فإنه ليس بالشرك[1]، بل إنه قد يكون أحياناً إطاعة لأوامر الله وواجباً، وقد تكرر في القرآن ذكر سجود الملائكة لآدم، ونذكر هنا نموذجاً من ذلك:

فالآية [٣٢] من سورة البقرة تقول:

﴿وإذ قُلْنا للملائكةِ اسجُدوا لآدمَ فسَجَدوا إلا إبليسَ أبى واسْتَكْبَرَ وكان مِن الكافِرينَ﴾.

إن الذين يقولون: إن إبداء التواضع لغير الله هو ضرب من الشرك، لا بد أن يكونوا من أعوان إبليس، ولا بد أن يَعُدُّوا جميعَ الملائكة كفاراً ومشركين، ويقولوا: إن الملائكة بذلك يكونون قد دُعوا إلى الشرك[2].

---

(١) لا يعرف السجود في الإسلام إلا كعبادة.

(٢) إن احتجاج الخميني بسجود الملائكة لآدم ليثبت مشروعية السجود للقبور، لا يقول به إلا من سفه نفسه للوجوه الآتية:

أ ـ أن يكون السجود على أصله اللغوي وهو التواضع والخضوع.

ب ـ أن يكون على صفة سجود الصلاة.

ج ـ أن يكون انحناء مساوياً للركوع.

ومعلوم أن اللفظ الواحد إذا تعددت معانيه ولم نستطع تحديد أحدها بنص ظاهر بَطَلَ الاستدلال به.

وثمة أمر آخر، وهو أن سجود الملائكة لآدم، وكذلك سجود إخوة يوسف له من شريعة مَن قبلنا، وهو

وقد يقال: إن سجود الملائكة لآدم كان بأمر الإله، وإنه لم يكن شركاً، وإن الاحترام للإنسان لم يكن بأمر الله، بل هو شرك.

وللرد على ذلك نقول أولاً: لو أن سجود الملائكة كان من باب عبادة آدم وتأليهاً له، وكان شركاً . . . لما أمر به الله، لأن ذلك يُعَدُّ شركاً لا يقره العقل، وهو إن لم يكن عبادة، فإنه ليس بالشرك، حتى وإن لم يأمر الله به.

وثانياً: إن إبداء التواضع والاحترام للعلماء والكبار لا يحتاج إلى أمر أو إيعاز، بل إن عقل الإنسان هو الذي يهديه إلى مثل هذه الأمور، لذا فإن أحداً في العالم لا ينتظر أمراً من ربه لكي يقدم مراسيم الاحترام للآخرين[1]. ولئن يكن الله قد نهى عن نوع من التواضع، فإن إطاعته في ذلك واجبة، حتى وإن لم يكن ذلك شركاً، كما أننا بدورنا لا نجيز السجود للآخرين، حتى وإن كان ذلك على سبيل الاحترام[2]، ولئن قام أحدهم بالسجود أمام شخص كبير، كإعراب عن الاحترام، فإننا نعدُّه مخطئاً، ونعدُّ ذلك خروجاً عن طاعة الله، لكننا لا نعتبر القائم به مشركاً وكافراً[3].

وثالثاً: ونحن إذ نبدي التواضع والاحترام أمام المؤمنين والأنبياء والأئمة، بصفتهم مثلنا العليا في الإيمان والكمال، فإن ذلك بأمر من الله.

وكما ورد ذلك في الآية [٥٩] من سورة المائدة:

= ليس شرع لنا عند المحققين من أهل الأصول.

ووجه أخير أن سجود الملائكة لآدم سجود تكريم وليس عبادة، أوضحها حديث معاذ عندما قدم من الشام.

ومن رام الزيادة فعليه بالجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١ / ٢٩٣ - ٢٩٤).

(١) التحية في الإسلام أمر تعبدي، كما لا يخفى على من شدا شيئاً من علم الكتاب والسنة.

(٢) لا يجوز السجود لغير الله، كما ثبت عن النبي ﷺ في حديث معاذ عندما قدم من الشام.

(٣) ثمة فرق شاسع بين من سجد لغير الله ولم نعد عمله شركاً أو كفراً، ومن تذلل لإخوانه وعطف عليهم، فإن الأول حرام، والأخير واجب؛ فمثال الخميني دليل على فساد فطرته.

﴿يا أيها الذينَ آمَنوا مَن يرْتَدَّ منكُم عن دينِهِ فسوفَ يأتي الله بقومٍ يحبُّهم ويحبُّونَه أذلَّةٍ على المؤمنينَ أعِزَّةٍ على الكافرينَ﴾.

☐ شاهد آخر من أقوال الإله:

نورد الآن آية من القرآن الكريم لكي ندلل على أن طريق التقولات أمام المرجفين مسدود تماماً، فقد قالت الآية [١٠١] من سورة يوسف:

﴿ورَفَعَ أبويْهِ على العرشِ وخرُّوا له سُجّداً وقال يا أَبتِ هٰذا تأويلُ رؤيايَ مِن قبلُ قد جَعَلَها ربِّي حقًّا﴾.

لقد نزلت هذه الآية في لقاء يعقوب وأولاده بيوسف؛ إذاً فإمّا أن نَعُدَّ النبي يعقوب وأولاده . . . كفاراً ومشركين ونخطىء الله الذي اختار للنبوة شخصاً مشركاً، أو أن نَعُدَّ السجود بمثابة لون من الاحترام كان شائعاً آنذاك ولم ينه عنه الله[1].

إن هناك آيات نهت بشدة عن التخلي عن التواضع، فقد قالت الآية [٣٩] من سورة بني إسرائيل: ﴿ولا تَمْشِ في الأرضِ مَرَحاً﴾. وقالت الآية [١٧] من سورة لقمان: ﴿ولا تُصَعِّرْ خدَّكَ للنّاسِ ولا تَمْشِ في الأرضِ مَرَحاً إنَّ الله لا يُحِبُّ كُلَّ مُختالٍ فَخورٍ﴾.

ومن بين حكم لقمان حكمة تقول: ﴿يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بالله إنَّ الشركَ لَظلمٌ عظيمٌ﴾.

ولو كان التواضع شركاً فإنَّ لقمانَ الحكيمَ يكون بوصيته هذه قد سلك طريق الخطإ وقال كلاماً منافياً[2].

---

(١) بلى؛ نهى عنه على لسان رسوله ﷺ كما تقدم.

(٢) وهل التواضع المذكور في وصية لقمان لابنه يعني السجود؟! ولكن الخميني يأبى إلا أن يحرف آيات الله، ويصرف معانيها الحقة لينصر باطله.

◻ احتكام إلى القراء:

إننا نحتكم إلى القراء، ونسألهم أيهما نختار ونتقبل؛ هل نتقبل خطأ الإله الذي دعا إلى السجود لآدم وأسمى المشركين ـ وهم الملائكة ـ بالمطيعين، وكفر ووبخ إبليس الذي أبى السجود ـ الذي يعدونه شركاً ـ وأبعده عن نفسه، واختار للنبوة يعقوب ـ وهو المشرك ـ وعدَّ المؤمنين الذين أبدوا التواضع أمام المؤمنين مقربين إليه، ونقول بشرك الملائكة والرسل وجميع عقلاء العالم، ونعدُّ إبليس ـ من بين الموجودات كلها ـ موحداً، لكونه سجد لله وحده[1]؟ أم لا نتقبل ما قاله ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وحفنة من سواه نجد المجردين من أي علم ومعرفة ودراية وتقوى؛ ممن يقلدهم الآن حفنة من كتاب المقالات الأغبياء ونقوم بتخطئتهم[2]؟

إننا استكمالاً للحديث نقوم فيما يلي بإيراد كل واحدة من أقوال الوهابيين وأتباعهم، ونرد عليها واحدة فواحدة.

---

(١) هذه الأسئلة بيَّنا فسادها، وأن بناء الخميني الهش الذي أقامه عليها يريد أن ينقض.

(٢) وهل هذه الاستنتاجات الخمينية قال بها ابن تيمية ومدرسته السلفية، أم أنها تبرع من خيال الخميني المتعطن في حسينيات النجف وقم وكربلاء؟

لا يشك ذو علم بآراء ابن تيمية أن الأخير هو الواقع.

■ السؤال الأول الإجابة عليه:

السؤال الأول هو: «هل طلب الحاجة من الرسول والإمام يُعَدُّ شركاً»؟ لا بد أن القراء بعد معرفتهم بمعنى الشرك هم سيجيبون على هذا السؤال. فلا تغدو الإجابة بحاجة إلى كلام كثير. لكننا مع ذلك نقدم الإجابة عليه حتى تتميز قولة الحق عن الأراجيف . . .

بالطبع؛ فإن طلب الحاجة من الرسول والإمام وأي شخص غير الإله على اعتبار كونه إلهاً، يعدُّ شركاً، وهذا شيء يحكم به العقل والقرآن، أما إن لم يكن الأمر كذلك، فنظام العالم كله قائم على طلب الحاجة من الآخرين، بل إن أسس الحضارة تنهض على التعاون، ولو أن طلب الحاجة - على الإطلاق - كان شركاً، فإن العالم كله يكون مشركاً، بل إن بناء الحياة يكون قائماً على الشرك، لقد كان على الرسل أن يعيشوا، وقد طلبوا من البشر قضاء بعض الحاجات، وبالتعاون استطاعوا تسيير قافلة الحياة[1].

□ ما هي أعمال الإله؟

تقولون: إن طلب الحاجة ليس شركاً، بل إن الشرك هو المطالبة بما يخرج عن الطاقة البشرية، وبعبارة أخرى: هو طلب أمور ربانية من غير الإله.

وردًا على ذلك نقول: يجب أولاً أن نفصل بين العمل الإلهي وغير الإلهي، حتى يتضح بأن كل عمل عادي ليس هو بالعمل غير الإلهي، وأن كل عمل غير عادي ليس

---

(١) يأبى الخميني إلا أن يقع في التناقض مرات ومرات، ويبطل ما بناه من مقدمات، فطلب الحاجة من الرسول وغيره تختلف اختلافاً كثيراً عن تبادل التعاون بين الأمم والأفراد.
وهل الرسول وغيره يقضي حاجات البشر، ويكشف الشدائد ويجلب الفوائد؟!
وهل الأمور التي تطلبها الشيعة وأضرابهم من القبور تعاون وتبادل مصالح؟
إن طلب الشفاء والعون والمدد والنصر . . . إلخ، أمور لا يقدر عليها إلا الله، بصريح القرآن والسنة . . . فلماذا يصر الخميني على طلبها من القبور؟!

عملاً إلٰهيًا.

إذا كان العمل الرباني ـ حسب البرهان والوجدان ـ هو كل عمل يؤدى دون أن يستمد فاعله المعونة من سواه، وبعبارة أخرى فإن العمل الإلٰهي هو أن يكون فاعله مستقلاً تماماً فيما يقوم به وليس بحاجة في إنجازه إلى غيره، وأن العمل غير الإلٰهي هو على العكس من ذلك، مثلاً فإن الله عندما يخلق أو يعطي الكسب أو المرض أو الصحة، فإنه لا يستعين في ذلك بقوة أخرى، ولا أحد يتدخل في أعماله هذه، أو في جزء منها، وإن قدرته وقوته ليستا مستمدتين من الآخرين.

أما غير الله فإذا ما قام بعمل، سواء أكان عاديًا سهلاً أو غير عادي وصعباً، فإن قدرته في إنجاز ذلك ليست منه، وأنه لا يفعل ذلك بقدرته هو.

إذاً فإن أيًا غير الله يؤدي عملاً مهما كان صغيراً، ويعدُّهُ عملاً ربانيًا، فإنه يكون ـ بحكم العقل والقرآن ـ مشركاً، أما إذا قام أحد بطلب شيء من أحد ـ على اعتبار ان رب العالمين قد منحه هذه القوة بصفته عبداً محتاجاً إلى الله، وأنه في عمله هذا غير مستقل ـ فإن ذلك لا يعَدُّ عملاً ربَّانيًا، ولا يعتبر شركاً، كما أن طلب الحاجة ليس هو الآخر بالشرك.

□ شهادة من القرآن على ذلك:

قد يقال: إن طلب إنجاز أعمال غير عادية من أحد ـ بأي شكل كان ـ إنما هو شرك. ورداً على ذلك نقول: إنه لا يوجد ثمة دليل على ذلك، وأن العقل يحكم بعكس ذلك، وخير دليل على ما نقول هو ما جاء في الآيات [٣٨ ـ ٤٠] من سورة النمل:

﴿قال يا أيُّها الملأُ أيُّكُم يأتيني بعرشِها قبلَ أن يأتوني مُسْلِمينَ . قالَ عِفْريتٌ من الجنِّ أنا آتيكَ بِهِ قبلَ أن تقومَ من مقامِكَ وإنِّي عليهِ لقويٌّ أمينٌ . قالَ الذي عندَه علمٌ مِنَ الكتابِ أنا آتيكَ بِهِ قبلَ أن يَرْتَدَّ إليكَ طرفُكَ فلمَّا رآهُ مُسْتَقِرًا قالَ هٰذا مِن فضلِ ربِّي﴾.

والآن ؛ نسأل القراء: هل إحضار عرش بلقيس من منزل بعيد وقبل أن يرتدَّ الطرف أمر غير عادي أو هو أمر عادي؟ فإن كان عملاً غير عادي ـ أو على حد قول أولئك عملاً إلهيًّا ـ فإن سليمان الذي هو رسول الله ، ويحظى برضاء الله ، يطلب بموجب الآية [٣٨] من الموجودين حوله أن يقوموا بهذا العمل الاستثنائي ، الذي طلب الرسول العظيم من الجن أن يقوموا به .

والآن ؛ فإما أن تعدوا سليمان مشركاً، وتدينوا الله الذي اختار هذا المشرك للنبوة ، أو أن لا تعدوا المطالبة بأداء مثل هذه الأعمال غير العادية . . . شركاً، وأن تعرضوا عن مثل هذه الادعاءات الجوفاء .

□ شهادة أخرى من أقوال الله :

إن رب العالمين يذكر في قرآنه قصصاً عجيبة عن عيسى بن مريم ، وينسب إليه أموراً أعلى من قدرات الإنسان ، نذكر فيما يلي نماذج منها، حتى نلقم المروجين حجراً. فهو يقول في الآية [٤٨] من سورة آل عمران :

﴿ويُعَلِّمُهُ الكتابَ والحِكْمَةَ والتوراةَ والإنجيلَ ورسولاً إلى بني إسرائيلَ أنّي قدْ جِئْتُكُم بآيةٍ مِن ربِّكُم أنّي أخْلُقُ لكم مِن الطينِ كهَيْئةِ الطيرِ فيكونُ طيراً بإذْنِ الله وأُبرِئُ الأكْمَهَ والأبْرصَ وأُحيي الموتَى بإذنِ الله وأُنَبِّئُكُم بما تأْكُلونَ وما تَدَّخِرونَ في بيوتِكُم﴾[1].

إن ما قاله عيسى إنما هو أمر غير عادي ، وعلى حد قول هؤلاء : إنه عمل رباني ، وإن قيام بني إسرائيل بمطالبته بذلك إنما هو شرك . وبناء على ذلك ، فينبغي عدُّ المسيح ـ من خلال أقواله هذه ـ مدعياً للألوهية ومشركاً، وأن نعدَّ بني إسرائيل المطالبين بالشفاء

---

(١) تناسى الخميني بداية الآية : ﴿ويعلّمه﴾، وكذلك ﴿بآية من ربكم﴾، وكذلك ﴿بإذن الله﴾ التي ذكرت مرتين ، وكل هذه الألفاظ تدل على أن عيسى لم يكن يفعل ذلك من أمره ، بل هو أمر رباني ، ولكن الخميني لا يرعوي!

. . . مشركين، وأن نخطىء الله الذي اختار للنبوة نبيًا مشركاً يدعي الربوبية، حتى تكون صحيحة أقوال حفنة من وحوش نجد من سكنة الصحراء[1].

◻ طلب الحاجة من الأموات ليس شركاً:

يقولون: «إن طلب الحاجة من الأموات شرك؛ لأن الرسول أو الإمام بعد موته إنما هو جماد، ولا يرجى منه لا نفع ولا ضر».

وفي الرد على ذلك نقول: لا؛ إنهم لم يحددوا لنا أبعاد الشرك والكفر حتى نعدَّ ما يريدونه هم شركاً.

وبعد أن تبين أن الشرك هو طلب الشيء من غير رب العالمين على أساس كونه إلهاً؛ فإن ما دون ذلك ليس بالشرك، ولا فرق في ذلك بين حي وميت. فطلب الحاجة من الحجر أو الصخر ليس شركاً، وإن يكن عملاً باطلاً[2]. ثم إننا نطلب المدد من الأرواح المقدسة للأنبياء والأئمة ممن قد منحهم الله القدرة[3].

وقد ثبت بالبراهين الدامغة والأدلة العقلية الثابتة بأن الروح ـ بعد خلاصها من الجسد ـ إنما تظل باقية، وأن إحاطة الأرواح بهذا العالم تكون بعد الموت بشكل أعلى وأكثر، والفلاسفة يعتبرون تبدد الأرواح وزوالها أمراً محالاً.

إن هذه المسألة تعتبر من المسائل الفلسفية الحتمية التي ثبتت لدى العلماء وكبار فلاسفة ما قبل الإسلام وما بعده. كما أن جميع الشعوب ـ من يهود ونصارى ومسلمين

---

(١) لا يزال يكرر التنابز، وكان سكنى الصحراء يخرج من الإسلام، والمكث في مشهد وقم والنجف يقرب إلى الله زلفى.

أيها الخميني! وهل الضياء الذي أفعم الوجود أريجه، انبثق إلا من أم القرى ومن حولها؛ الضاربة بجرانها في وسط الصحراء؟!

(٢) إن لم يكن هذا هو الشرك بعينه، فإنه لا يوجد مشرك على وجه الأرض على حد زعم الخميني!

(٣) المدد والنصر والعون من الله وحده؛ كما ثبت بالبراهين الدامغة والأدلة النقلية الثابتة.

ـ يعدون ذلك من الأمور الواضحة، ومن ضرورات أدياتهم. بل إن خلود الروح وبقاءها أمر ثبتت صحته لدى دعاة الفلسفة الروحية والإلهية في أوروبا.

وحيث إن هذا الكتاب لا يتسع لتناول هذا البحث لتفصيل؛ فإننا نكتفي هنا بنقل آراء[1] بعض كبار الفلاسفة الموثوق بآرائهم، ويستطيع من يشاء مراجعة كتب تلك الفئة للتأكد من صحة ما نقول.

□ آراء فلاسفة ما قبل الإسلام[2]:

أ ـ رأي ثاليس المالطي:

ومع أن لفلاسفة ما قبل الإسلام أقوالاً غامضة يعسر فهمها على المتأخرين، إلا أن مسألة خلود الروح وبقاء النفس قد وردت عندهم بصراحة.

فثاليس المالطي؛ وهو أحد أساطين الفلسفة السبعة، بعد أن يبين أن الله أبدع عنصراً صوّر به جميع المخلوقات والمعالم، يقول:

إن لهذا العنصر سمة حسنة وأخرى غير حسنة، سمته الحسنة تتمثل في الجسم، وغير الحسنة في الجرم. فالجرم يفنى والجسم لا يفنى، الجرم قذر وظاهر، والجسم لطيف وباطن، وفي النشأة الأخرى فإن الجسم ظاهر والجرم زائل.

ويتضح من هذه الأوصاف بأن القصد من الجسم الذي هو باطن ولطيف وباق، هو الجسم المثالي الموجود في عالم البرزخ، كما أنه يعتبر العقول والأنفس مرتبطة بعوالم أخرى، ويقول: إن البقاء هو في النشأة الأخرى[3].

---

(١) يراجع في ذلك كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني. (خ).

(٢) ويأبى الخميني إلا أن يستمد إلهاماته الشيطانية من مشكاة الفلاسفة الذين ضربوا رقماً قياسيًّا في الابتعاد عن منهج الرسل، سواء أكانوا قبل الإسلام أو بعده.

(٣) يراجع بهذا الشأن كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني، وكتاب «نفس الأسفار». (خ).

ب ـ رأي الفيلسوف المالطي أنكيسماس:

في كلمات هذا الفيلسوف الكبير الغامضة، إشارات صريحة، إلى بقاء النفس، حتى الشريرة منها والخبيثة، فهو يقول:

إن جميع آثار الحياة هي من عالم العقل، وإن بقاء هذه الآثار يكون بقدر ما فيها من إشعاعات العقل، وإن ما يحدث لهذا العالم من فساد يعود في الواقع إلى جزئه السفلي الثقيل، وإن هذا الجزء هو القشر، والقشر يرمى بعيداً . . . دوماً.

ثم يقول بأن العالم الجسماني تكثر فيه القذارات، وأن من يلتصق به لن يبلغ العالم العلوي، ومن يعرض عنه يرقى إلى الأعلى . . . حيث عالم بالغ اللطافة، دائم الحبور.

ج ـ رأي الفيلسوف الكبير أنبذقلس:

هذا الفيلسوف كان يعيش على عهد النبي داود، وعنه أخذ لقمان الحكيم الحكمة، وآراؤه أكثر وضوحاً من آراء سواه.

إنه يعزو جميع الخلافات والتناقضات إلى العالم المادي، ويعزو التآلف والمحبة إلى دوافع روحانية.

وكان يقول: إن كل نفس سفلى هي القشر للنفس العليا، وإن النفس النامية هي القشر للنفس البهيمية، وإن ذلك القشر هو العقل، وإن النفس تعود إلى علمها بواسطة الباب، وإن النفس الجزئية هي من النفس الكلية، وإن النفس الجزئية مقبلة من العالم الأعلى، وإليه تعود.

د ـ رأي فيثاغورس الحكيم:

كان هذا الفيلسوف يعيش على عهد سليمان وأخذ الحكمة عنه، وتقوم آراؤه على الرمز، وتنهض على أسس رياضية.

يقول: إن الإنسان بحكم الفطرة حقيقة قائمة أمام جميع العوالم، وإنه عالم صغير، وإن عالمه كبير، وإن النفس قبل اتصالها بالجسد، أبدعت من تأليفات عددية أولية، إذاً، فإن التهذيب الخلقي لو تجرد من ارتباطاته الخارجية، فإنه يكون بذلك قد اتصل بعالمه الأصلي، وانخرط في سلك عوالم الغيب، ويتخذ شكلاً أكثر جمالاً وتكاملاً من ذي قبل.

وكان الفيلسوفان (خرنيوس) و (زينيون) يؤيدان أفكار فيثاغورس إلا أنهما كانا يقولان بأن النفس لو تطهرت من القبائح، فإنها تمضي إلى العالم الأعلى، حيث مسكنها المناسب لها.

هـ ـ رأي الفيلسوف الكبير سقراط:

إن سقراط تعلم الحكمة من فيثاغورس وسالادوس، وعكف على دراسة الإلهيات والأخلاقيات، وانشغل بأمور الزهد ورياضة النفس وتهذيب الأخلاق، فأعرض عن الدنيا، واعتزل في غار، ونهى الناس عن عبادة الأوثان والشرك بالله، فأوغروا قلب السلطان على قتله، ودسوا له السم.

والمعروف أن لهذا الفيلسوف آراء حكيمة جيدة في باب الإلهيات وعلوم ما قبل الطبيعة وما بعدها. يقول سقراط في باب الروح:

إن الروح الإنسانية كانت موجودة قبل وجود الأبدان، وإن الاتصال بين الروح والبدن كان من أجل استكمال الحياة، وإن الأجسام هي قوالب للأرواح، وإن الأبدان تنعدم فيما بعد، وتعود إلى الأرواح إلى عالمها.

و ـ رأي الفيلسوف العظيم أفلاطون:

هذا الفيلسوف الكبير من أساطين الحكمة الإلهية، ويعرف بالتوحيد والحكمة، ودرس الحكمة على سقراط، وعندما قتل سقراط مسموماً خلفه من بعده، ومن أساتذته طيماووس.

له في باب الإلهيات آراء مثبتة، فهو يقول: إن الروح كانت في عالم آخر مسرورة فيه، وكان كل ما فيها يدل على البهجة والسرور، ثم نزلت إلى الدنيا لكي تستفيد ـ بواسطة الأدوات ـ من الأشياء التي لم تكن موجودة في ذاتها. ومن هنا فقد تساقطت أجنحتها . . . ونبتت لها ـ هنا ـ أجنحة أخرى جعلتها تطير إلى عالمها.

ز ـ رأي أرسطوطاليس:

أرسطو بن نيقوماخوس من سكان أسطاجرا، ويعد من كبار فلاسفة العالم، وتعود إلى هذا الرجل الكبير التعاليم المنطقية، وقواعد علم الميزان؛ التي تؤلف الأساس لجميع العلوم، وحيث إنه وضع أسس علم المنطق، فقد عرف بالمعلم الأول، وقد انحنى الشيخ الرئيس أمام تعاليم هذا الفيلسوف الكبير، وقال: إن قواعد المنطق التي وضعها أرسطو لم تبق إبهاماً لدى أحد، وإن أفكاره السديدة لم تتعرض لأي تحريف أو تشويه. ويقال: إن ديكارت وبعض كتابنا المحترمين قاموا بإيجاد ثورة في عالم المنطق، إلا أن الذين لهم دراية في هذا المجال يعرفون مدى معلومات ديكارت في هذا العلم وفي الإلهيات.

ومن المؤسف أننا تهاونا في أمر علوم كنا متخصصين فيها، ولم يكن الأوربيون ليصلوا إليها بعد ألف عام، فالذي لديه كتب مثل منطق «الشفاء»، و«كلمة الإشراق»، و«الحكمة العليا» للملا صدر الشيرازي، لا يمكن أن يكون له شأن بمنطق الأوربيين وحكمتهم، إن هؤلاء يعتقدون بأن من يتقدم في المسار الطبيعي لبلاده، إنما يتقدم في مجالات الحكمة الإلهية أيضاً، إلا أننا ينبغي أن نعتبر ذلك ناشئاً من أخطائنا الكبرى، بل ونعتبره من غوغائيات كتاب المشرق الإسلامي.

يقول أرسطو حول بقاء الروح: إن الروح الإنسانية بعد أن تكتمل من حيث القدرة على العلم والعمل تصبح آية من آيات الله، وتغدو مشبهة به. وتصل إلى حدود الكمال، وإن هذا التشبه يكون حسب طاقتها واستعدادها واجتهادها، وهي إذ تفارق هذا الجسد فإنها تتصل بالروحانيين والملائكة المقربين، وتكتمل لديها المباهج واللذاذات، أما

الأرواح الخبيثة، فيصبح قول العكس فيها.

وهناك فلاسفة وحكماء آخرون نحجم عن ذكرهم، وننتقل إلى فلاسفة الإسلام ...

☐ أفكار فلاسفة الإسلام:

نعلم أن المسلمين، من فلاسفة وغير فلاسفة، يعترفون ببقاء الروح بعد الموت، ولا يؤمنون بزوالها، ونستعرض فيما يلي أفكار عدد من كبار هؤلاء الفلاسفة:

أ ـ الفيلسوف الكبير الشيخ الرئيس[1]:

الشيخ الرئيس أبو علي حسين بن عبد الله بن سينا من أهل بخارى وحياته ودراسته وتأليفاته مقرونة بالعجائب المحيرة.

في السادسة عشرة قام بتأليف كتابه «القانون».

وينقل عن لسانه قوله: «عندما بلغت الرابعة والعشرين تصورت أنه لا يوجد في العالم علم لا أعرفه».

ويقال: إنه كان ينجز في اليوم خمسين صفحة من كتبه التي يؤلفها، وذلك دون الاستعانة بأي مرجع.

إن هذا الفيلسوف الذي تثبت كتبه مقامه السامق في العلم، يثبت في معظم مؤلفاته عدم تلاشي الروح بتلاشي الجسد، بل واستحالة تلاشيها، ويقول في ذلك:

وحيث إن الروح الناطقة التي هي موضوع الصور المعقولة، غير مقيمة في الجسم إلى الأبد، بل إن الجسد هو آلة في يدها، لذا فإن موت الجسد لن يلحق بها أي ضرر، بل إنها تظل قائمة كما هي، مستفيدة في ذلك من الكينونات الأخرى.

---

(١) انظر تعليق رقم (٢) ص (١٧)

ب ـ رأي الحكيم الأكبر الشيخ شهاب الدين:

الشيخ أبو الفتوح يحيى بن جنش المعروف بشهاب الدين السهروردي هو صاحب المؤلفات النفيسة، وباعث حكمة أفلاطون. من مؤلفاته المشهورة كتاب «حكمة الإشراق»، الذي أثبت طول باعه في الفلسفة الإشراقية. هذا الحكيم الإشراقي[1] يتحدث بإسهاب عن حالة الروح بعد الموت، وعن طبقاتها، ويضع لكل طبقة حكماً معيناً، ويتحدث عن انعتاق الروح من ربقة الجسد، والاتصال بعالم النور المحض، ثم يعطي تفصيلات مسهبة حول هذا الموضوع[2].

ج ـ رأي الفيلسوف الإسلامي (صدر المتألهين):

محمد بن إبراهيم الشيرازي أكبر فلاسفة الإلٰهيات ومؤسس القواعد الإلٰهية وباعث حكمة ما بعد الطبيعة، هو أول من وضع فلسفة المبدإ والمعاد على أسس ثابتة كبرى، وأثبت بالبراهين العقلية مسألة معاد الجسد، وأوضح الأخطاء التي وقع فيها الشيخ الرئيس فيما يخص علم الإلٰهيات، ووام بين الشريعة السمحاء والحكمة الإلٰهية.

لقد تحدث هذا الفيلسوف العظيم في مؤلفاته بإسهاب كبير عن خلود الروح، وعن حالات ما بعد الموت، وهو يؤيد معاد الروح ومعاد الجسد معاً، ويقول عن عودة الروح[3]:

عندما تكتمل أرواحنا وتقوى وتنتهي علاقتها بالجسد، تعود إلى ذاتها الحقيقة، وإلى مبدعها، فإن ذلك يكون بالنسبة لها سعادة وبهجة لا توصفان ولا تقارنان باللذات

---

(١) لفظة تطلق على طائفة من أصحاب الحكمة، المماثلين لأفلاطون؛ ممن يؤمنون بإدراك الحقائق عن طريق الإلهام. (المترجم).

(٢) حكمة الإشراق. (خ).

(٣) الأسفار الأربعة.

الحسية.

ويقول في نفس الفصل: إن وجود الجسد يكون مصحوباً بالموت والهجران، وإنه كلما ازداد التعلق بالمادة، فإن الإدراك يكون أكثر نقصاناً، وإن معظم الناس ينسون أنفسهم بسبب استغراقهم داخل أجسادهم المادية فلا يستشعرون بذاتهم أبداً.

هذه هي آراء وأفكار فلاسفة ما قبل الإسلام، ولما كانت أفكار فلاسفة أوربا مهمة بالنسبة للكثير من القراء، فإننا نستعرض منها بإيجاز:

□ أفكار الفيلسوف الفرنسي ديكارت:

فلاسفة الروح من الأوروبيين فكروا منذ قرون بدراسة علم النفس. في بادىء الأمر أثبت فلاسفة اليونان ـ بالبراهين ـ خلود الروح وبقاءها. وما زال الفلاسفة الأوربيون يثبتون حتى اليوم ـ بالتجارب الحسية ـ بقاء الروح في هذا العالم، ويعتبرون ذلك أمراً محسوساً.

لقد كان ديكارت يؤمن بالروح العقلانية، وكان يعنى بالأمور الخاصة بكيفية تمازج الروح بالجسد، ومن أقواله:

إن الروح شيء، والجسد شيء آخر، إذاً فلا يمكن التصور بأن تكون الروح تابعاً للجسد، لأن الجسد فان والروح خالدة.

والذين اتبعوا خطوات ديكارت كثيرون، مع أنهم يخالفونه في مسألة الروح العقلانية بالجسد، ومع أن ديكارت يحتل في مجالات الفلسفة مكانة مرموقة لدى الأوروبيين، إلا أنهم يقولون عنه بأنه لم يخرج بمسألة خلود الروح عن الإطار الخيالي والفكري إلى عالم الحقيقية والوجود. إلى أن قام علماء الروح في العصر الحديث بإثبات وجود الروح وتمييزها عن الجسد وبقائها بعد الموت، عن طريق تحضير الأرواح، حتى بات هذا الرأي مقبولاً الآن في أوربا وأمريكا.

وحتى أولئك الذين كانوا يبدون تحمساً للمادية، أصبحوا يؤمنون بالروح،

ويؤيدون بجدية مسألة بقاء الروح، وأصبحت تنقل عن علمائهم أقاصيص وحكايات غريبة، عن الأرواح.

وفريد وجدي، صاحب «دائرة المعارف»، والمؤمن بالتنويم المغناطيسي، وبتحضير الأرواح، يورد أسماء اثنين وأربعين عالماً بريطانيًا وفرنسيًا وأمريكيًا وألمانيًا وإيطاليًا . . . من المؤمنين بالحكايات الخارقة، وعلى من يريد الاطلاع على هذه الحكايات الغريبة أن يراجع الكتب التي تناولت هذا الموضوع، ويقرأ القضايا التي تطرق إليها الفلاسفة الأوروبيون لكي يؤمن بصحة بقاء الروح.

□ شواهد من القرآن على بقاء الروح:

مع أن بقاء الروح بعد الموت هي من الأمور المسلم بها لدى جميع المتدينين والعقلاء والفلاسفة، بل وحتى المؤمنين منهم بالتناسخ، لكننا مع ذلك نورد هنا شواهد على ذلك من القرآن حتى لا يبقى أثر من الشبهة حول ذلك لدى أحد.

فقد قالت الآية [٤٣] من سورة الزمر:

﴿الله يَتَوَفَّى الأنفُسَ حينَ موتِها والتي لم تَمُتْ في منامِها فيُمْسِكُ التي قَضى عليها الموتَ ويُرسِلُ الأخرى إلى أجَلٍ مُسَمّى إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يَتَفَكَّرونَ﴾.

وقالت الآيتان [٩٩ و ١٠٠] من سورة المؤمنون:

﴿حتّى إذا جاءَ أحَدَهُمُ الموتُ قالَ ربِّ ارْجِعونِ . لعلِّي أعمَلُ صالحاً فيما تَرَكْتُ كلّا إنها كلمةٌ هو قائلُها ومِن ورائِهم بَرْزَخٌ إلى يومِ يُبْعَثونَ﴾.

وقد جاء في الآية [١٤٩] من سورة البقرة:

﴿ولا تقولوا لِمَن يُقْتَلُ في سبيلِ الله أمواتٌ بَلْ أحياءٌ ولكن لا تَشْعُرونَ﴾.

وقالت الآية [١٦٣] من سورة آل عمران:

﴿ولا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلوا في سبيلِ الله أمواتاً بل أحياءٌ عندَ ربِّهم يُرْزَقونَ﴾.

وقالت الآيتان [٤٥ و ٤٦] من سورة المؤمن:

﴿وحاقَ بآلِ فرعونَ سوءُ العذابِ . النارُ يُعرَضونَ عليها غُدُوًّا وعشيًّا ويومَ تقومُ الساعةُ أدْخِلوا آلَ فرعونَ أشدَّ العذابِ﴾.

وقالت الآية [١٣] من سورة الممتحنة:

﴿قد يَئِسوا من الآخرةِ كما يَئِسَ الكُفَّارُ من أصحابِ القُبورِ﴾.

□ الاحتكام إلى قراء هذه السطور:

بعد اطلاع القراء الكرام على الاكتشافات الروحية لفلاسفة أوروبا، والتوصل إلى التنويم المغناطيسي، والوقوف على أفكار كبار فلاسفة ما قبل الإسلام وما بعده . . . عليهم أن يحكموا: هل يحق لنا أن نتجاهل أفكار الآلاف من كبار العلماء والفلاسفة، ونتنكر لآرائهم العقلية والحسية الحاسمة، ونعرض عن آراء الأنبياء وأتباعهم الذين يتألفون من ملايين المتدينين، ونترك جانباً آيات القرآن الكريم التي تعلن بصراحة عن الخلود الأبدي للروح، ونتقبل أفكار ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ومن يتبعهما ويقلدهما من الإيرانيين الذين تجردوا من العقل والحكمة، وأخذوا يقلدونهما تقليداً أعمى . . .؟ أم نَعُدُّ ابن تيمية[1] ومن يتبعه . . . أفراداً خارجين عن طريق العلم والمعرفة والدين، ونسقط عنهم حقوقهم الدينية والدنيوية . . ؟[2].

□ خدمة للدين:

يقول هؤلاء: إننا لو أردنا خدمة الدين حقًّا، فإن علينا أولاً أن نتخلص من هذه الأكاذيب، حتى تصبح ـ بذلك ـ معالم الطريق واضحة.

---

(١) رحمك الله يا شيخ الإسلام! فإنك لم تزل شجىً في حلوق الفرق الباطنية من شيعة اثني عشرية، أو نصيرية، أو إسماعيلية.

(٢) ومن أنت أيها الأنوك حتى تصنع هذا؟! وأنى لك هذا؟! فإن الله يدافع عن الذين آمنوا.

لقد تبين الآن من هو الكاذب والمخادع والخائن، واتضح بأن هدف هذه الأقلام المسمومة من خدمة الدين هو أن نعرض ـ نحن المعنيين بالدين ـ عن الدين والمبادىء، وننظر بصغار واحتقار إلى الذين استشهدوا على طريق الله، وأصبحوا ـ باعتراف فلاسفة العالم والقرآن ـ خالدين يتنعمون بعزة الله ونعمائه، وأن نسلمهم إلى النسيان، وأن نخنق روح التضحية والفداء والشهامة والشجاعة في المتفانين، وأن ننبذ الإيمان بأقوال القرآن المطابقة لنظام الكون والحياة الفردية والاجتماعية حتى نكون بذلك قد خدمنا الدين.

□ السؤال الآخر والإجابة عليه:

السؤال الآخر الذي يطرحه هؤلاء هو: «هل طلب الشفاء من التربة شرك؟».

إن الإجابة على هذا السؤال تتوضح من خلال ما يحمل الشرك من معنى. فقد عرفتم بأن الشرك هو أن يكون مع الله أحد، أو عبادة أحد أسوة بعبادة الله، أو طلب الحاجة من أحد على أساس كونه قوة مستقلة مؤثرة وإلهاً. فالشرك إذاً هو طلب الشفاء من أحد على أساس كونه إلهاً أو شريكاً للإله أو له استقلالية في التأثير. لكن ذلك لا يُعَدُّ شركاً ولا كفراً إذا ما تم الطلب على أساس أن الله قادر على أن يستجيب للطلب من خلال من يتفانى من أجل دينه[1]، وخسر روحه من أجله تعالى[2].

□ شهادة من كتاب الله:

لو أن طلب الشفاء يُعَدُّ ـ بصورة مطلقة ـ شركاً، فإن الله نفسه يكون قد دعا إلى الشرك عندما قال في الآية [٦٩] من سورة النحل:

﴿يخْرُجُ من بُطونها شرابٌ مُخْتَلِفٌ ألوانُهُ فيهِ شفاءٌ للنّاسِ إنَّ في ذلكَ لآيةً لقومٍ

---

(١) هذه هي الواسطة الجاهلية التي زعم المشركون أنها تقربهم إلى الله زلفى.

(٢) يعُدُّ الخميني من قتل في سبيل الله أنه خسر روحه . . . أليس هذا قول من لم يستضىء بنور الوحي المنزل على رسول الله ﷺ، فإن الأخسرين هم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

يتفكّرون﴾.

إننا إذاً لو طلبنا الشفاء من العسل الذي تحدث عنه الله هنا، فإننا نكون من المشركين[1]، ويكون الله الذي أرسل رسله لنشر التوحيد قد فتح بنفسه باب الشرك ودعا إليه، إن المروجين هم الذين يفسرون ذلك حتى يصموا المتدينين بالخرافات.

□ خداع وتضليل:

هنا يلجأ الكتاب إلى فرية عجيبة؛ فيقول: «إن تربة الإمام تشفي كل مرض وتقي من كل بلاء، إذاً فالأفضل أن تغلق أبواب المستشفيات والصيدليات وكليات الطب».

للإجابة على هذه المغالطة نقول: إن ادعاءاتكم وترويجاتكم هذه مردها إلى أنكم لا تعرفون فوائد استعمال هذا العلاج الرباني[1].

إن اللجوء إلى العلاج الإلهي، والتوسل بالأمور الغيبية؛ يتم عندما تعجز الطبيعة والوسائل الطبيعية عن أداء مهمتها، وعندما لا يكون لعلاج الأطباء والأدوية أي أثر، فإن الله يفتح طريقاً للأمل أمام عباده الذين عليهم أن لا ييأسوا من رحمة الله، وأن لا يضعوا كل ثقتهم بالطبيعة والآثار الطبيعية، وأن لا ينسوا ربهم وخالقهم.

إن الله لا يريد بآيته الكريمة هذه أن يوقف مسيرة الطبيعة، وأن يخل بسنة الطبيعة؛ لذا فإن اللجوء إلى الطبيب، والتوسل بالطبيعة، لا يتنافى واللجوء إلى رب الطبيعة، فالطبيعة هي من مظاهر قدرة الله جل وتعالى، وإن الله هو الذي أعطى للأدوية ما نلمس من مفعول، ومن هنا؛ فهل يمكن أن يكون اللجوء ـ بعد اليأس من الأدوية ـ إلى تربة أريقت فوقها دماء قرابين على طريق الله وطلب الشفاء منها ـ شركاً أم هو توحيد وعبادة لله؟ قولوا؛ هل هذا هو الأفضل، أم التمسك بالطبيعة، والتغاضي عن الأعمال الغيبية الإلهية، واليأس من قدرة الله ورحمته غير المتناهية؟

---

(١) هل التداوي بالعسل يعد طلباً للشفاء من العسل، أم أنه من الأسباب المشروعة للتداوي بنص القرآن والسنة، ولكن طلب الشفاء يكون من الله؛ ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء: ٨٠].

□ العلاج النفسي:

إن كبار الأطباء القدامى، مثل الشيخ الرئيس[1] أبي علي بن سينا، كانوا يؤمنون بنوع من العلاج النفسي الذي يكون في كثير من الأحيان أفضل من العلاج الطبي. ويؤيد هذا الأمر كبار الأطباء الأوربيين الذين يعتقدون بأن المريض إن ردد عدة مرات قائلاً: «إنني شفيت»، فإن ذلك سيعينه على الشفاء فعلاً، وأنه لو آمن بشفائه فإنه سيشفى بالفعل.

وهذا يعود إلى قوة التأثير النفسي في الجسم، وإلى تبعية البدن للروح؛ حتى إن بعض كبار الفلاسفة[2] يرى بأن الصحة والمرض هما من عند الروح.

وعلى فرض أن هذه النظرية لم تتأيد بعد، فإن مسألة العلاج الروحي عن طريق تعزيز معنويات المريض قد ثبتت في أوروبا، والعارف بأمور التنويم المغناطيسي يعلم مدى تأثير الروح في هذا العالم. يقول أحد العلماء:

«فيما كنت أرقد في إحدى المستشفيات للعلاج، كنت أتفقد المرضى وأدعو لهم، وكان كبير أطباء المستشفى - وهو أوروبي وله دين غير ديننا - يشجعني على ذلك، ويقول لي: قم أنت بعملك، ونحن أيضاً نقوم بعملنا...».

نستنتج من ذلك كله، بأن الإيمان بالروح، والثقة بأن الشفاء يكمن في هذا الأمر أو ذاك، يساعد كثيراً في تحقيق الشفاء؛ ولذا فإن إبعاد الناس عما له صلة بالروح وصرفهم عن الروحيات إنما يعتبر خيانة للجنس البشري.

□ التربة واهبة للحياة:

نأتي هنا بشهادة من القرآن الكريم لكي يعلم الجميع بأن الله يمنح آثار الحياة

---

(١) «الشفاء»، كما ورد في «الأسفار». (خ).

(٢) صدر المتألهين في «الأسفار». (خ).

للتراب الذي يدوسه الأحياء، فقد جاء في الآية [٩٦] من سورة طه:

﴿قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها﴾.

تقول الآية: إن موسى قال للسامري: كيف أحييت البقرة؟ فقال: إنه رأى ما لم يره سواه، أي: إنه تناول قبضة من التراب من تحت أقدام النبي، ونثرها على البقرة، فعادت إليها الحياة.

لقد منح الله للتراب القدرة على إحياء الروح. وليس في مقدور أحد أن يقول بأن الله لا يقوى على أن يجعل التراب الذي لا روح له سبباً في إعادة الحياة؛ لذا فإنه سبحانه لو منح التراب الذي أريقت فوقه دماء الحياة الأبدية مثل هذه القدرة، فإن ذلك ليس ببعيد عن مشيئته[1].

وبالإيمان بقدرة الله على صنع أي شيء؛ يمكن جعل شيء غير فعال ... فعالاً، أو نزع الفعل من أي شيء فعال.

لقد جاء في الآية [٦٩] من سورة الأنبياء:

﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾.

إننا نرى أن الله هو المدبر لهذا العالم، حيث إن جميع ذرات الوجود خاضعة له، وهو بإرادته القوية؛ إذ يبطل مفعول النار الحامية، فإنه بإرادته القوية يمنح القدرة للتراب ... أيضاً.

ولو كنتم لا تؤمنون بذلك فعليكم أن تطلبوا أن يُحذف من القرآن ما قيل عن جعل

---

(١) هذا خاص بالتربة الحسينية كما زعم الخميني في كتابه «تحرير الوسيلة» (١ / ١٤١)، وهذه التربة تخترق الحجب السبع، وترتفع على الأرضين السبع، وهذه الخاصية ليست لأحد حتى قبر النبي ﷺ!

النار برداً وسلاماً، وعن إحياء الموتى، وعن نطق النمل، وما إلى ذلك[1]؛ حتى تستطيعوا بذلك خداع السذّج، وفرض أفكاركم المسمومة على المجتمع.

وإذا كان لكم كلام في القرآن، فإننا على استعداد لمناقشتكم بتعقل وحكمة، وليس بمثل هذه الأقوال الصبيانية[2].

□ نظرة إلى معجزة الأنبياء:

لقد أوجد هؤلاء المروجون حججاً تافهة لإنكار المعجزة، ويستدلون في ذلك إلى الآية الشريفة التي تقول: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لنفسي نَفعاً ولا ضرًّا﴾، ويقولون: لو كان للمعجزة حقيقة، لأعاد الرسول البصر إلى ابن مكتوم الذي كان فاقداً للبصر، ولكان في وسع أمير المؤمنين أن يشفي عقيلاً.

وقبل أن نجيب على ذلك نتساءل: هل يمكن أن تتم النبوة بدون معجزة؟ والمقصود بالمعجزة هو ظهور دلالات نستدل منها أن ما يقوله النبي غير صادر من ذهنه البشري، وأن أقواله وأفعاله ليست من عندياته، بل من عند الله خالقنا وخالق العالم، وأن طاعة ذلك أمر واجب ومحتم.

إن العقل الذي هو هبة من الله يحتم عدم تقبل الدعاوى التي يعوزها الدليل والبرهان، ومن يفعل ذلك يكون خارج الإطار الإنساني، كأن يأتي شخص ويدعي أنه مبعوث من عند الله، ويحمل معه رسالة يطلب من الجميع أن يؤمنوا بها، ويتبعونها، ولا يبخلوا من أجلها بالغالي والنفيس، وأن يؤذوا من يخالفه في ذلك، ويدفع بالشباب إلى مقابلة نيران العدو بصدورهم، وذلك دون أن يسأله أحد: بأي دليل جاء برسالة من عند الله، وتحدث إليهم باسمه؟ وهل ما يتحدث به إليهم هو حديث سماوي؟ فهل يأمرنا العقل أن نؤمن بمثل هذا الشخص، وأن نقتنع بما يقول . . .؟

---

(١) هذه معجزات ثبتت للأنبياء، لكن الخميني يأبى إلا أن يجعلها عامة للقاصي والداني.

(٢) لله در من قال المثل العربي: «رمتني بدائها وانسلّت».

◻ شواهد من أقوال القرآن الكريم:

يبدو أن هؤلاء لم يقرؤوا القرآن، بل إنهم عبثاً يتشدقون بالدين، ويلصقون أنفسهم بالقرآن، ولكي يخدعوا العوام من الناس، فإنهم يتنصلون من أقوال القرآن الذي يأتي بصراحة، بكلام مخالف لما يقولونه، متناسين بأن هناك من يفضحهم.

ونأتي هنا على ذكر آيات القرآن الكريم، لنثبت بأن الرسل أثبتوا دعواتهم بين الناس عن طريق المعجزات، وأن أحداً لم يتبع نبيًّا من الأنبياء عبثاً وبدون تعقل، فقد جاء في الآيتين [٣١ و ٣٢] من سورة القصص:

﴿وأَنْ أَلْقِ عصاكَ فلما رآها تهتزُّ كأنَّها جانٌّ ولَّى مُدْبِراً ولم يُعَقِّبْ يا موسى أَقْبِلْ ولا تَخَفْ إنَّكَ مِن الآمِنِينَ . آسْلُكْ يدَكَ في جيبِكَ تَخْرُجْ بيضاءَ من غيرِ سوءٍ وآضْمُمْ إليكَ جناحَكَ مِن الرَّهْبِ فذانِكَ برهانانِ من ربِّكَ إلى فرعونَ وملئِهِ إنَّهم كانوا قوماً كافرينَ﴾.

والآن، إما أن يقال بأن هذه الأعمال أمور عادية، وليست بالمعجزة، أو القول بأن ما قاله الله لموسى إنما هو لغوٌ لا موجب له.

وحول المسيح تقول الآية [٤٣] من سورة آل عمران:

﴿أنِّي قد جِئْتُكُم بآيةٍ من ربِّكُم أنِّي أَخْلُقُ لكُم من الطينِ كهَيْئَةِ الطيرِ فأنفُخُ فيه فيكونُ طيراً بإذنِ الله وأُبرِئُ الأكْمَهَ والأبرصَ وأُحْيِي الموتى بإذْنِ الله﴾.

ربما يقال: إن إحياء الأموات ونفخ الروح في الطير ليس بالمعجزة، أو أن يكون المسيح قد أقدم على عمل لا داعي له ولا موجب[1].

إن القرآن الكريم يعلن في مواضع عدة عما فيه من إعجاز، ويشير إلى أن جميع

---

(١) ذكر الخميني فيما سبق من كتابه هذا أن هذه الأعمال التي قام بها عيسى غير معجزة، وهنا يذكر أنها معجزة ـ وهو الحق ـ ولكن الخميني يأبى إلا التلاعب حتى في النُّصوص القرآنية الصريحة، ومن ثم يرمي بها غيره . . . نعوذ بالله من الاعتساف وهوى يحجب القلب عن الإنصاف.

الإنس والجن لا تستطيع أن تأتي بمثله. وأمة الإسلام تحمل في يدها اليوم هذا البرهان الإلهي، وتعلن إلى جميع أفراد العائلة البشرية بأن هذا البرهان إنما هو برهان على نبوة نور محمد، وأن من يأتي بمثله فإننا نطيعه ونسترد كل أقوالنا.

وتقول الآية [٩٠] من سورة بني إسرائيل:

﴿قُلْ لئِنِ اجتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلِهِ ولو كان بعضُهُم لبعضٍ ظهيراً﴾.

وتقول الآية [١٦] من سورة هود:

﴿أم يقولونَ افْتراهُ قُلْ فأْتوا بعشرِ سورٍ مثلِه مُفْتَرَياتٍ وادعوا مَنِ استطَعْتُم من دونِ الله إنْ كُنْتُم صادقينَ﴾.

وتقول الآية [١٧] من السورة نفسها:

﴿فإنْ لم يَسْتَجيبوا لكُم فاعْلَموا أنَّما أُنْزِلَ بعلمِ الله﴾.

إذاً؛ فخير لكتاب تلك الوريقات المخزية أن يحذفوا هذه الآيات من القرآن حتى يصبح ما يقولون . . . صحيحاً.

□ الرد على تقولات المروجين:

يتضح الآن أن الآية: ﴿قُلْ لا أملِكُ لنَفْسي نفعاً ولا ضَرّاً﴾ لا ترمي إلى نفي المعجزة التي هي من آيات النبوة، بل هي دليل على صدقها، وأنها ترمي إلى إفهام الناس بأن أحداً لا يملك لنفسه القيام، مستقبلاً، بعمل ما، وأنه بدون المعونة الغيبية الإلهية لا يستطيع أن يتصدى لأي عمل، ولا أن يفعل شيئاً بدون معونة الله، ولا أن يكون مصدراً لنفع أو ضرر.

أما إذا كان يريد ـ حسب قولكم ـ أن يقول بأنه لا يملك لنفسه أي نفع أو ضر فإننا لا نستطيع حتى اعتباره جماداً، لأن الجماد يملك ـ على الأقل ـ قدرة البقاء متماسكاً،

وهو أمر له فيه نفع .

ونحن نعرف بأن الإنسـان ـ كائناً من كان ، ومهما كان ـ يستطيع بشكل أو بآخر أن يقدم نفعاً ، وذلك عن طريق قيامه بأعمال طيبة ، وبطرحه أفكاراً وآراء جيدة ، كما يستطيع بأعمال وتصرفات وأفكار مرفوضة وفاسدة أن يضر ويسيء[1] .

وأنتم تقـولون : إن الله أمر رسول الإسلام أن يقول : إنني لا أستطيع أن أعمل شيئاً ، لا عملاً طيباً ، ولا أن أطرح أفكاراً خيرة ، وأن يبلغ ذلك للعالم كله .

وهذا معناه بأن ما يصيب العالم من سوء أو مكروه إنما هو من عند الله ، وأن ثمة يداً مقتدرة تكمن خلف ذلك ، وتمتلك قدرة النفع والضر .

ولكن اعلموا بأن موسى عندما يلقي بعصاه لتصبح حية تسعى ، فإن ذلك ليس بفضل قدرته ، وأن المسيح إن أحيا الميت وشفى الأكمه والأبرص ، فإن ذلك ليس من قدرته ، وأن محمداً ﷺ إذا ما قام بحكم الآية الشريفة القائلة : ﴿اقتربتِ الساعةُ وانشقَّ القمرُ﴾ . . . بشق القمر إلى نصفين ، فإن ذلك كله يكون بقدرة من الله . . . وليس بقدرة هؤلاء الأنبياء . إذ إنهم جميعهم من البشر ، والوحي الإلٰهي أمامهم مفتوح ، وبإذن من الله وقدرته يقومون بأداء أعمال خارقة تفوق طاقة البشر .

أما القول بأن عدم القدرة على شفاء أم كلثوم دليل على أن المعجزة شيء كاذب . . . فإن ذلك كلام أطفال يبعث على السخرية ، إذ إن معناه أن المريض إن لم يلجأ إلى الطبيب من أجل العلاج فإن الطب لا يكون حقيقة واقعة ، وإلا فإن المذكور كان قد نال الشفاء .

إن هؤلاء المخرفين يتصورون بأن المعجزة إن كانت حقيقة واقعة ، فإن الرسول

---

(١) ما شأن الأعمال الطيبة والأفكار النيِّرة التي طرحها الرسول بالآية الكريمة التي تحدد بشرية الرسول ﷺ ، وأن ما يأتيه من الآيات هو من عند الله وحده لا شريك له . . . ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾؟

أو الإمام عليه أن يتجول هنا وهناك، ويعلن على رؤوس الأشهاد بأنه يقوم بالمعجزات والكرامات.

إن المعجزة دليل النبوة، والكرامة دليل الإمامة، إنهما قربى للإله وليسا لعباً.

إنكم تتصورون بأن الإله إن أراد أن يقوم بعمل خارق للعادة عن طريق نبي أو إمام، فإن عليه أن يقلب الأمور فوق بعضها بعضاً، وأن يوقف عجلة الطبيعة، وأن يخل بنظم الحياة البشرية، وإلا فإنكم تنكرون قدرة الإله، وتقولون بأن الله الذي خلق بقدرته السماوات والأرض لماذا لا ييسر لقمة البشر بدون كدهم وتعبهم حتى يكفيهم هذه المشقة ويريحهم من عناء ذلك؟ ما دام الأمر كذلك، فالأجدر أن نقول بأنه لم يخلق ـ أصلاً ـ هذه السماوات والأرض.

◻ رأي في الغيب:

إن هؤلاء المشاغبين يقولون: إن القرآن قال في مواضع عديدة بأن النبي لا يعلم الغيب، فلماذا إذاً ينسب المتدينون إلى النبي العلم بالغيب؟ لعل الجواب على هذه الفرية يتضح من خلال الأقوال السابقة، لكننا نكشف هنا عن أخطائهم، حتى نفضح أكاذيبهم.

إن رجال الدين لا يقولون إن النبي أو الإمام يقول الغيب من عنده، أو بدون إرادة من الله، إنه بشر مثلنا، ولو سدت في وجهه أسباب الغيب فإنه لا يغدو عالماً به. وهناك آيات كريمة تشير إلى أن النبي بشر لا يعلم بالغيب. إن القرآن يقول: إن النبي ـ بأمر من الله ـ يعلم بالغيب، ويكشف ما خفي من الأمور، وينبىء بالمستقبل.

◻ شواهد من القرآن:

في القرآن آيات نزلت عن علم النبي بالغيب، نورد البعض منها لكي تتوضح الأمور للقراء، وينفضح الأدعياء، فقد قالت الآية [٢٦] من سورة الجن:

﴿عالِمُ الغيبِ فلا يُظْهِرُ على غيبِه أحداً . إلا مَنِ ارتَضى من رسولٍ فإنَّه يَسْلُكُ

من بينِ يديهِ ومِن خلفِهِ رصداً﴾ . .

والآية [٤٣] من سورة آل عمران تتحدث عن معجزات المسيح ، فتقول :

﴿وأُنبِّئُكُم بما تأكُلونَ وما تدَّخِرونَ في بيوتِكُم إنَّ في ذلكَ لآيةً لكُم إن كُنتُم مؤمنينَ﴾ .

وجاء في الآية [٣] من سورة التحريم :

﴿وإذْ أسرَّ النبيُّ إلى بعضِ أزواجِهِ حديثاً فلمَّا نبَّأتْ به وأظهَرَهُ الله عليهِ عَرفَ بعضَه وأعْرَضَ عن بعضٍ فلما نبَّأها بهِ قالتْ مَن أنبأكَ هذا؛ قال نبَّأني العليمُ الخبيرُ﴾ .

فهل ترتؤون رفع هذه الآيات من القرآن حتى تصدق أراجيفكم أو أن تعترفوا بأخطائكم حتى يزول الزلل والخلل؟

□ شواهد من أقوال فلاسفة العالم :

لا مجال هنا في خوض مسائل تقوم على الفلسفة الإلٰهية وفلسفة الطبيعة ، ولا الكشف عن أسرار الآيات والجذور الحقيقية للغيب؛ لذا فإننا نكتفي بأقوال عدد من كبار فلاسفة علم الروح قديماً وحديثاً ، شرقيين وغربيين ، وعلى من يريد التوسع في معرفة البراهين العقلية أو الحسية للفلسفة أن يرجع إلى المصادر القديمة والحديثة في هذا الشأن ليطلع على أسس تفكير كتّاب تلك الأوراق المشينة ، ويطلع على أغراضهم الخبيثة .

وإليكم الآن أقوال بعض كبار فلاسفة العالم :

أ ـ رأي الفيلسوف الكبير الشيخ الرئيس :

يقول شيخ فلاسفة الإسلام أبو علي بن سينا في الباب العاشر من كتاب «الإشارات» ـ وهو من أهم مؤلفاته ـ . . . :

«ولو جاءك نبأ عن متعبد بأنه تحدث عن الغيب فصدقه ، ولن يكون عليك من

العسير الإيمان به ، إذ إن لذلك أسباباً معلومة» .

ثم يمضي في الفصول الستة عشر للكتاب في البرهنة على هذا الرأي ، ويقول في إحدى تعقيباته :

«إذا ما تقلصت الانفعالات الحسية ؛ فإنه ليس من المستبعد أن تسنح للروح فرص مفاجئة ، تتخلص فيها من عبء التخيل، وتحلق فيها نحو التسامي ، وتتأثر بعالم الغيب، وتتقبل مؤثراتها . وقد يحدث هذا خلال النوم أو في حالة المرض.

ثم يقول بعد ذلك :

«إذاً ، فالروح إذا ما قويت في الجوهر، وأحاطت بكل ما حولها، فإنه ليس من المستبعد أن تعترضها مثل هذه الحالة عند اليقظة» .

وفي باب الكرامات والمعجزات يأتي الشيخ الرئيس على أمور نذكر البعض منها . فهو يقول :

«لو علمت بأن متعبداً له القدرة على القيام بعمل أو تحريك شيء أو الإتيان بحركة تخرج عن طاقة الآخرين، فلا تنكر عليه ذلك ، فلو طويت طرق الطبيعة لوجدت إلى هذا الطريق سبيلاً» .

ب ـ أفكار الفيلسوف الإشراقي الكبير شهاب الدين :

هذا الحكيم الكبير الذي جمع بين الفلسفة والرياضة الروحية ، يعتبر من كبار علماء الروح ؛ يقول في المقالة الخامسة من كتاب «حكمة الإشراق» :

«إن الإنسان عندما تتحرر حواسه الظاهرية من الانشغال بالتخيل ، فإنها تتجه نحو الأمور الغيبية» .

ثم يقول بعد ذلك :

«وإن ما يتلقاه الكاملون من الغيب ، وما يتلقاه الأنبياء والأولياء وسواهم من الغيب ؛

يكـون أحيانـاً على شكل أشياء مدونة، ويكون أحياناً صوتاً مسموعاً، قد يكون رقيقاً أحياناً، ومرعباً أحياناً أخرى. وقد يشاهد هؤلاء صورة لموجود حيناً، أو صورة إنسانية جميلة حيناً آخر . . . وهي تخاطبهم بوضوح، وتنبئهم عن الغيب وعن الكرامات والمعجزات».

يقول هذا الحكيم:

«إن إخوان التجريد، أو الذين بلغوا درجة الكمال، يحصلون على مكانة خاصة في العلم والعمل والرياضة الروحية، وتصبح لهم القدرة على إيجاد موجودات لها نفس قائمة بالشكل الذي يريدونها لها».

ويقول في فصل آخر:

«اعلم بأن تجليات العالم العلوي لما كانت متصلة بالنفوس، فإن العالم المادي يصبح طيعاً لها، ويصبح الدعاء مستجاباً في العالم العلوي، ويكون النور العلوي الذي يتدفق من ذلك العالم العلوي على النفوس . . . إكسيراً للقدرة والعلم، ويصبح العالم بواسطته مطيعاً له، وتصبح النفوس المجردة ـ بواسطة ذلك النور ـ قادرة على الهيمنة.

ج ـ أفكار الفيلسوف الإسلامي صدر المتألهين:

يقول هذا الفيلسوف والحكيم الإسلامي العظيم عن حكمة الإشراق: فإن المعجزات والكرامات تقوم على ثلاثة أسس، تجتمع كلها عند النبي؛ الأولى: تتمثل في خصوصية الروح التي تخضع لها الأجسام والمواد العنصرية، فتأخذ صورة لتجعل منها صورة أخرى وهذا أمر ممكن.

والخصوصية الثانية تتمثل في قوة الروح التي هي قوة معنوية، وذلك بأن تكون الروح في حالة من الصفو التي يزيد من ارتباطها بالعقل إلى أن تفيض عليها العلوم العقلية.

أما الخصوصية الثالثة، فتتمثل في تنامي قدرة قوى التخيل وتتصل ـ في عالم

الوعي ـ بعالم الغيب المثالي، ثم تدخل في الأجزاء المتصلة بعالم الغيب، وتتخذ كيفيتها.

د ـ أفكار فلاسفة الروح الأوربيين:

أحدث التنويم المغناطيسي رجة كبرى في العالم، فاحتبست أنفاس الماديين، وفي مستقبل قريب سيزيح العلم جميع الحجب، ويجعل عالم الأرواح وحياتها الخالدة تقتلع إلى الأبد جذور المادية من هذا العالم، فترفع آنذاك خطوات كبرى على طريق الكشف عن أسرار العالم الخفية، فتصبح المعجزات والكرامات والوقوف على الغيبيات، التي تعتبر في نظر الماديين أساطير خرافية ـ من الأمور الواضحة في دنيا العلم اليوم، ومن بديهيات دنيا العلم في الغد.

والأمور التي يتفاخر ويتباهى بها علماء الروح الأوربيون اليوم، قام رسول الإسلام، وأئمة الشيعة، بالإعلان عنها قبل ثلاثة عشر قرناً . . . وحيث كان الظلام يسود العالم، ولا سيما جزيرة العرب.

إننا نحن أمة القرآن، نعلن للعالم، نطق دنيا الجمادات والنباتات والحيوانات، وننتظر من العلم أن يرفع الخطوة التالية، ليكشف بذلك اللثام عن هذه الحقيقة.

لقد كنا بالأمس نقول: إن الله وهب رسله نعمة العلم بالغيب، وجعلهم يعرفون بما هو مكنون، وقد لمستم ذلك اليوم . . . في الطبيعة، فرحتم تشككون بما أدركه الأنبياء، وبما ألهمهم به الله.

إن الفرق بين المعجزة وسواها يتمثل في قدرة أصحاب المعجزات والكرامات على الإتيان ـ بدون التوسل بالطبيعة ـ بأعمال، إما يعجز الآخرون بأن يأتوا بمثلها، أو لا يأتون بها بدون الاستعانة بالطبيعة.

هـ ـ ما يقوله فريد وجدي في دائرة المعارف:

إن دائرة المعارف وسواها من المؤلفات الأخرى التي كرست لهذه الموضوعات،

تضم حكايات كثيرة عن الغيب والتنويم المغناطيسي، وبعد أن يروي فريد وجدي حكايات غريبة عن ذلك يقول:

«إن هذه المشاهدات، وملايين أخرى من مثيلاتها، مدونة في كتب الطب. وهذا لا يتعلق ـ بالطبع ـ بكون النائم يفقد قدرة الحس، بل إن هناك أموراً أخرى مثل التنبؤ بالغيب، ورؤية الأمور البعيدة، ومعرفة أسرار القريبين والبعيدين، والتحدث عن أمور قد لا يتقبلها الإنسان».

ومن الأمور التي يرويها فريد وجدي في «دائرة المعارف»: «أن لويس ـ وهو منوم معروف ـ نوَّم امرأة أمام الناس، وقال لها: اذهبي إلى بيتك وانظري ماذا يجري هناك. قالت المرأة: أجد شخصين يقومان ببعض الأعمال. قال لويس: ضعي يدك على جسم أحدهما، فضحكت المرأة، وقالت: فعلت ما أمرتني به، وقد استولى عليها الخوف، فسأل لويس عمن يعرف مكان منزل السيدة، وطلب منه أن يذهب إلى هناك ليتبين جلية الأمر، فلما ذهب وجد سكان المنزل في فزع، سألهم عن السبب، قالوا: إنهم رأوا في المطبخ شبحاً يتحرك، ويضع يده على أحد الموجودين».

ومثل هذه الحكايات كثيرة في أمثال هذه الكتب، وشعوب الغرب وفلاسفتها الروحيون أصبحوا اليوم يعتبرون هذه القضايا من الأمور الواضحة.

□ الاحتكام إلى القراء:

فبأي شيء تحكمون ـ أنتم القراء ـ على ذلك؟ فهل يجوز لنا أن نعرض عن شواهد القرآن البينة حول المعجزات والتنبؤ بالغيب، ونتجاهل أقوال كبار فلاسفة العالم، المسندة بالبراهين الدامغة، وآراء فلاسفة أوروبا المعاصرين، وما نقل عن ملايين المسلمين والنصارى واليهود حول معجزات الرسل، وننبذ ما جاء في آيات القرآن، ونضع تحت أقدامنا أقوال مشاهير العالم، ونصدق حفنة من شذاذ الآفاق؟ أم لا نؤمن بهذه الأقوال المغرضة، ونعمل على اجتثاث جذور الفساد التي تحاول تصديع الوحدة الإسلامية والأخوة القرآنية والتضامن القومي والوطني، وأن نحكم قبضات الانتقام على

حناجر هؤلاء الجهال حتى لا يعودوا إلى مثل هذه التفاهات، ولا يمدوا أيديهم القذرة إلى أقوال الإله والرسل والأولياء، ويسيؤوا إلى روح الوحدة، وإلى أحاسيس الملايين.

□ جذور إنكار المعجزة:

إن أبا الفضل كلبايكاني مؤلف كتاب «الفرائد» الذي ألفه لترويج البابية والبهائية ... ينكر وقوع المعجزة، والأباطيل التي يستند إليها هؤلاء الأدعياء مستقاة من هذا الكتاب.

إن أبا الفضل كلبايكاني ينكر الكرامات والمعجزات، لأن يدي (الباب) أو (البهاء) كانتا قاصرتين عن ذلك. وحيث إن المذكورين كانا أقل شأناً من الأناس العاديين، ويتضح ذلك من كتبهم وأقوالهم، ومن مناظرة (الباب) مع نظام العلماء التبريزي المحفوظة في كتب التاريخ[1]، فإنهما أنكرا المعجزات إنكاراً تامًّا، حتى لا يقوم أحد بطلب المعجزة منهما.

إن كتاب تلك المقالات ممن يريدون التنصل من تبعات التقليد الرجعي، راحوا يروجون ما يشاؤون حول كبار رجال الدين وأوليائه؛ فهم أحياناً يقلدون ابن تيمية ووحوش نجد، وأحياناً أخرى يتبعون (الباب) وأبا الفضل كلبايكاني. ومن يريد الاطلاع على ما كتب في الرد على الوهابية وعلى الافتراءات الأخرى ... عليه أن يرجع إلى كتاب «الفرائد» لمرزا أبي الفضل، وكتاب «منهج الرشاد»، حتى يطلع على ما يستند إليه أولئك ويقيم أقوالهم.

---

(١) يراجع كتاب «هدية المهدية» للأردكاني. (خ).

■ سؤال آخر والرد عليه:

السؤال الآخر هو: هل السجود على التربة شرك أم لا . . . ؟ لقد توضحت أبعاد الإجابة على هذا السؤال . . . من قبل، ولذا نكتفي بالتحدث عن ذلك بإيجاز.

بعد توضيح معاني الشرك والعبادة نقول: إن من يسجد على التراب أو أي شيء آخر على أساس التأليه والعبادة . . . فإنه يكون مشركاً وكافراً، أما إذا تم السجود على تراب أو قبر من أجل الله وإطاعة أمر الله، فإن ذلك ليس كفراً، بل هو توحيد وتعبد للإله[1]

والآن، اسألوا مائة مليون شيعي وأكثر من عشرة ملايين فارسي إيراني شيعي[2] لماذا يسجدون على تربة كربلاء؟ هل هم يعتبرون الحسين إلهاً أم ابناً للإله؟ هل تعتبرونه مستقلاً في التأثير فتعبدونه؟ ولو وجدتم بين أطفال الشيعة ونسائها الساذجات من يدعي ذلك، فإننا نذعن لكم ولما تقولون.

أما تبين لكم - أنتم الذين نشأتم في مجتمع شيعي - بأن السجود على التربة الحيدرية إنما هو سجود للإله، ولمجرد الحصول على ثواب أكثر من الله، فعليكم آنذاك **أن تسحبوا اتهامكم الذي وجهتموه إلى الشيعة - بالتبعية لأهل السنة والوهابيين - وأن تتوبوا إلى الله**. والله يقبل توبة التائبين، وأعلنوا عن ذلك على صفحات الصحف، حتى نعرف أنكم تحررتم من معتقداتكم هذه[3].

إن (شريعت سنكلجي) قد ألح في التنديد بأهل المنبر، وأصر حتى آخر عمره على أفكار لم يكن يؤمن بها، وترك وراءه أثراً سيئاً، والعلماء وحدهم يعلمون بذلك،

---

(١) وبناء على ذلك فإن عباد الأصنام - عند خميني - هم موحدون، لأنهم لا يعبدون الأصنام بل يتخذونها وسيلة لتقربهم إلى الله.

(٢) ومرة أخرى ينسب بني وطنه من الإيرانيين إلى القومية الفارسية!

(٣) هل التبعية لأهل السنة كفر وضلال . . . وإذا كان الوهابيون في نظر الخميني وحوشاً وكفرة . . . فماذا يكون أهل السنة؟! . . . نترك الإجابة للمخدوعين من أهل السنة، الذين ظنوا أن الخميني تبرأ من الحقد الرافضي . . لكن ما كل الظنون تكون حقًا.

ولذا فإن أوراقه مكشوفة في الوسط العلمي والديني، وإننا لا نعتبر أمثال هذا الشخص أحراراً في التفكير، وندينهم أمام محكمة الإنسانية والحرية.

□ شواهد من القرآن:

قد تقولون: إن السجود على التربة ـ أيًا كان ـ إنما هو شرك، وللإجابة على ذلك نقول:

أولاً: إن معنى الشرك معلوم لدى جميع العلماء، وليس لكم أي مجال للتقولات حول ذلك، والجميع يعلمون بأن السجود على شيء ـ اتباعاً لأوامر رب العالمين ـ ليس بالشرك، بل هو طاعة وتوحيد.

ثانياً: في ضوء ما تقولون، فإنه ينبغي اعتبار جميع المسلمين مشركين، لأن جميعهم يسجد لربه على التراب والحجر والخشب، ويجيز الكثيرون السجود على الفرش والمعادن والأشياء الأخرى. **وأبو حنيفة ـ الإمام الأكبر لأهل السنة ـ كان يجيز السجود على القاذورات**[1].

إذاً: فينبغي اعتبار جميع المسلمين مشركين، واعتبار من يعرض منهم عن الصلاة متعبداً.

وثالثاً: إن هناك آيات كثيرة تدعو الناس إلى السجود، كما في الآية [٧٦] من سورة الحج: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا اركَعوا واسْجُدوا واعْبُدوا ربَّكُم وافعَلوا الخيرَ لعلَّكُم تفلِحونَ﴾.

أما إذا ما أخذنا بأقوالكم فإن الله يكون قد أمر عباده بالتخلي عن الإيمان والتمسك بالشرك.

---

(١) هذا لا يثبت عن أبي حنيفة، وكان على خميني أن يذكر المصدر الذي نقل عنه، وعلى فرض ثبوته، فلعل ذلك كان على افتراض تعذر مكان طاهر، أو أنه كان يحول بين موضع السجود والقاذورات التي تحته مكان طاهر.

ورابعاً: إننا أشرنا إلى معظم الآيات التي تشير إلى أن الله أمر ملائكته لكي يسجدوا لآدم كما أوردنا الآية التي تقول بصراحة إن يعقوب وأولاده سجدوا ليوسف، وبناء على ما تقولون أنتم فإن جميع الملائكة ويعقوب وأولاده، بل وجميع الأنبياء والأولياء هم مشركون، لأنهم جميعاً ـ وبأمر الله ـ سجدوا لشيء من أشياء هذا العالم، كالتراب والحجر والخشب.

فالأجدر إذاً أن نرفع كلمة التوحيد من قاموس العالم، ونشطب بخط الشرك على جميع أعمال سكان العالم، حتى تكون حملتكم على الشيعة في مكانها، ولكي يصبح أتباع علي وأولاده من رعيل المشركين[1].

□ أكاذيب وخداع:

إننا نعلم بأنكم تعرفون بأن السجود على تربة الحسين ليس شركاً، ولئن كنتم ـ حسب قولكم ـ رجال عمل ودعاة إصلاح، وإذا كان صحيحاً بأنكم تسعون وتعملون من أجل الدين وإصلاح المجتمع، أفلم تكن هنالك، إذاً، خطوة أعلى من هذه، تتبعونها على طريق إصلاح أمور البلاد والشعب، حتى تقومون بشن مثل هذه الحملة على مسألة بسيطة تتمثل في سجود الناس لله على التراب والحجر، لكنكم تلزمون الصمت تجاه المصائب التي تضر بمصالح البلاد وبالدين، بل إنكم تضرمون نيران الفساد والتسيب.

أنتم الذين تدعون بأنكم تعبدون الواحد الأحد، وتحاربون الشرك . . . ولا تقولون شيئاً عن ذلك الكتاب الذي كتب بلغة الجن غير المفهومة، وتصفون زرادشت ذلك المشرك وعابد النار . . . بأنه طاهر ويعبد الإله، ولا تدحضون أراجيفه، في وقت تدّعون فيه بأنكم تسعون إلى تحرير الجماهير من القيود التي يكبّلون بها، دون أن

---

(١) تالله إن الصبيان في الكتاتيب تعلم أن هذا تحريف للحق، وتزيين للباطل . . .
هل الصلاة التي هي عماد الدين، والتي تميز المسلم عن المشرك، أصبحت في نظر الخميني كسجود للقبور وتقبيل الأرض تحت أقدام المشايخ؟!

يدروا، وتدّعون بأنكم لا تنشدون سوى الحق؛ فماذا حدث حتى صرتم تسيرون وراء خبيث ماكر، يقول بأن الله لم يعين للناس واجباً يقومون به، وأنه وضع في أيديهم أسلحة الموت المخيفة ليقتتلوا فيما بينهم، وأنه لم يحدد للبشر طريق الخير والشر، ولم يضع بيهم قانوناً عادلاً.

فتبًا لذلك الإنسان الذي ينسب إلى رب العالمين الذي أساس عمله العدل والرحمة . . . أعمالاً غير حميدة لا تصدر إلا عن خائن.

يا من تدعي طاعة الله ومحبته، إن كنت صادقاً في ذلك، فلماذا تتبع أهواء وآراء مجنون أبله، أعمت بصيرته المشروبات الروحية، وتخدر مخه بدخان الأفيون؟ لماذا تخادع وتماري وتحاول باسم القرآن إيجاد التكتلات؟

■ سؤال آخر والرد عليه:

السؤال الآخر الذي يطرحه هؤلاء هو: هل إقامة القبب والمراقد هو شرك أم لا ؟ . . .

الإجابة على هذا السؤال تتضح من تحديداتنا السابقة للشرك، حيث علمنا بأن إقامة القبب والمراقد والأضرحة من أجل عبادة الأوثان والأئمة والأنبياء إنما هو شرك، وأن من يتردد على تلك المواقع لأداء فرائض تلك العبادة إنما هو كافر، أما إذا كان الهدف من ذلك هو الاحترام، أو لاستراحة الأشخاص الذين يؤمون تلك المواقع والمراقد، أو للقيام بعبادة الله . . . فإن ذلك ليس بالشرك، بل إنه عبادة للإله وطاعة له.

إنكم تعلمون بأن مئات الآلاف من الشيعة يقومون في كل عام بزيارة قبر النبي وقبور الأئمة والأولياء، ونحن نسمح لكم بأن تسألوا أي شيعي اثني عشري، كبيراً كان أم صغيراً، رجلاً كان أم امرأة . . . أن تسألوه: هل يمضي إلى كربلاء والمدينة لعبادة الرسول والإمام، أو أنه يعدُّهما بمنزلة الإله، أو آلهة على الأرض. فإن فعل ذلك فإننا نسحب أقوالنا ونؤمن بتعاليم معلمكم، وندخل دينكم. وإذا ما تبين العكس من ذلك لكم وللقراء الإيرانيين الذين هم من الشيعة الخلَّص[1] . . . فسوف يحق لنا أن نقول آنذاك بأنكم مخادعون تسعون وراء تحقيق أغراض معينة.

إنكم تقومون دوماً بعمل أو ألاعيب سبقكم إليها الآخرون، لأنكم لا تملكون قدرة المبادرة والابتكار. إنكم تصورتم بأن ترويج هذه الأباطيل بين الناس في إيران، وعلى أساس أنها من مبتكراتكم أمر يسير جدًّا، وأن الضجيج حولها سيكون في إيران قليلاً جدًّا، وأن أحداً لا يستطيع التصدي لما ستروجون وتطرحون. ولم تتصوروا بأن يظهر أحد ويكشف للمجتمع عن مصادر أقوالكم وجذورها، ويبين للجميع بأن ما ترددونه

---

(١) إذا كان الإيرانيون هم الشيعة الخلص، فما هي منزلة الشيعة من غير الإيرانيين؟ . . . ألا يدل ذلك أن الخميني رجل عنصري، يريد أن يبعث أمجاد الفرس والمجوس.

بعضه من شتات الوهابيين، وبعضه الآخر من الوهابيين، وبعضه الباقي عبارة عن شتائم وسباب لكبار علماء الدين . . . إلا أنكم صببتم ذلك كله في قوالب ساحرة وكلمات أخاذة وبراقة. لكننا مع ذلك استطعنا أن نعرف بأن جذورها ومصادرها تتصل بجمع من أهل الهوى والنحل الذين كانوا يقولون بوجود الله والمعاد وعدم وجود أية شرائع أخرى أو أي حدود للأحكام.

ومع أن هؤلاء أخذوا هذه الأباطيل عن أصحاب الهوى والنحل وكانوا مناوئين لزرادشت، إلا أنهم في الوقت ذاته يبدون مؤيدين له، وهذا نابع بالطبع من سخفهم وضحالتهم؛ لأنهم في الواقع لا يعرفون ماذا يقولون وماذا يفعلون، وإن كانوا زرادشتيين حقًا، فأي دين هذا الذي يتبعونه؟ وإن لم يكونوا كذلك، فلماذا يتمسكون به وبأفكاره؟

◻ شواهد على أقوالنا من القرآن:

لئن كانت مثل هذه الأمور ليست بحاجة إلى الشواهد، فإن عدم ورود نهي بشأنها من قبل الإله أو القرآن . . . خير دليل على ثبوتها.

إن من يريد أن يشيد لنفسه بيتاً أو عمارة أو حديقة لا يلجأ إلى القرآن لكي يجد ما يوعز به حول ذلك، كما أن القرآن لم يتضمن أي شيء عن ذلك. وما دام الدين لم يحل دون القيام بأعمال التشييد والبناء؛ فإن كل فرد يستطيع أن يشيد لنفسه ما يشاء ووفق ما يشاء. ومع ذلك؛ فإن الله أوصى بشأن ذلك، ونورد هنا آية من القرآن لنغلق باب الحديث عن الموضوع.

قالت الآية [٣٢] من سورة الحج:

﴿ومَن يُعَظِّمْ شعائِرَ الله فإنَّها مِن تَقوى القُلوبِ﴾.

وأكبر تعظيم لشعائر الله أن تكون مواضع العبادة مورد احترام وتبجيل. وأنتم تعلمون بأن مئات الآلاف من المسلمين يقومون كل يوم بعبادة الله ومدحه وثنائه وأداء الصلوات وطلب الحاجة منه، فما أجدر أن تقام لمواقع العبادة قبب شامخة، أو مسجد

فخم، ينجذب الناس إليه، ليقدموا فروض الطاعة لربهم، ويؤدون الصلاة، وليس هذا من الشرك في شيء.

فقد قالت الآية [٣٦] من سورة النور:

﴿في بيوتٍ أَذِنَ الله أن تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فيها اسمُه يُسَبِّحُ له فيها بالغُدُوِّ والآصالِ..﴾.

وما من شك في أن التسبيح والابتهال يجري صباح مساء للإله في هذه البيوت، وأن الواردين إليها ينصرفون إلى الله، وقد أذن الله أن تكون هذه البيوت مرتفعة وفخمة وعظيمة، والجميع يعرفون كم لهذه العظمة من أثر في النفوس، وأنه يجعل الداخلين إليها يشعرون بالخشوع والتواضع، مع أن عظمة الإسلام والقرآن ورجال الإسلام إنما يتمثل في الواقع فيما تحمله من عظمة ومآثر وتعاليم كفيلة بإشاعة النور والسعادة الأبدية.

وحيث إن أعيننا تنقل إلى القلب صوراً من العظمة، وتدرك من عظمة البنيان عظمة صاحبه، فإن الإسلام اهتم بالبيوت التي تقام فيها العبادة، وتجسد فيها عظمة الشعائر الدينية، وأدخل ذلك ضمن تعاليم القرآن؛ حتى تتجلى معالمه تجاه دنيا الغرب الغارق في المظاهر، والخالي من القيم الإنسانية.

ومن هنا فإن المباني الإسلامية المقامة في العالم قد جلبت بعظمتها وفخامتها أنظار الغربيين، ومن يريد معرفة تفاصيل ذلك عليه أن يراجع كتاب «الحضارة الإسلامية».

□ لم نُقِمْ وحدنا القبب والمراقد:

لقد ظن هؤلاء المشاغبون بأن إقامة القبب والأضرحة هي من اختصاص الشيعة وحدهم، ومن هنا فإنهم هاجموا ذلك، لكن هذا تصور باطل، فإن جميع المسلمين، والفرق الدينية، يقيمون مثل هذه القبب والأضرحة الفخمة، إذاً فينبغي اعتبار جميع المسلمين، من الشيعة وأهل السنة، بل وجميع الفرق الدينية، مشركين وكفاراً، وحصر

التوحيد بحفنة من رعاة الإبل المحرومين من الحضارة، وزمرة من شذاذ الآفاق من السائرين خلف هؤلاء.

في كل عام يتوجه مئات الآلاف من الإيرانيين إلى العراق والحجاز، ويجدون أن قبر الرسول يقام في وسط بلد سيء المذهب، تعلوه قبة، وفيه ضريح فخم، كما أن ثلاثين ألف مصري وهندي ويمني وعراقي وإيراني وأفغاني ومن رعايا الأقطار الأخرى ـ وجميعهم من أهل السنة وبينهم قلة من الشيعة ـ يقومون بزيارة قبر الرسول، ويؤدون نفس الشعائر التي يؤديها الشيعة.

والجميع شاهد في العراق القبتين العظيمتين للشيخ عبد القادر وأبي حنيفة، وسمع باحترام أهل السنة لهذين المرقدين[1]. إذاً فينبغي القول بأن أبناء الشعوب الإسلامية ـ من كل فئة ومذهب ـ هم كفرة ومشركون وعبدة للأوثان، وأن ما أقيم في هذا المجال إنما هو وثنية وعبادة للأوثان.

وبعد هذا كله، فإن الكعبة ليست سوى جدران صخرية، والحجر الأسود ليس سوى صخرة سوداء، والصفا والمروة ليسا سوى جبلين صغيرين . . . إلا أن أكثر من مائة ألف مسلم يطوف حول الأحجار في كل عام، ويقبلونها، ويهرولون حفاة بين الصفا والمروة، ومع ذلك فإن أحداً من هؤلاء لا يُعَدُّ عابداً للحجر والصخر، بل إن هذا العمل يعَدُّ عبادة للإله.

إذاً، فالأجدر بكم أن تطالبوا بهدم الكعبة، والاتصال بالإله بدون حاجة إلى الكعبة والحجر الأسود والجبل.

إنني خلال قراءتي لكتاب «التوحيد في العبادة» تأليف (سنكلجي)، صادفت هذه العبارات التي تقول:

---

(١) من الثابت عند أهل السنة تحريم مثل هذا الفعل بالنصوص الحديثية القطعية، مهما كانت صفة القائم به، سواء أكان سنيًّا أم غيره، فالخطأ خطأ.

«وحيث إن وضع الخاتم في الإصبع شرك، فقد خلعته، وألقيته في طريق الحج».

فسخرت من تفكيره السقيم، فلماذا إذاً يمضي هذا الرجل إلى مكة، ويطوف حول الحجر، هل يعتبرها آلهة أم أنه يرى الإله في ذلك البيت وذلك الحجر؟ فإن يقولوا: إن الطاعة أمر من الله؛ فإنّ إطاعة هذه الأمور من أوامر الله أيضاً، وإلا فإن أحداً لا يعبد حجراً أسود ولا يطلب الحاجة من خاتم صنع من الياقوت والعقيق.

□ حجج هؤلاء:

من الحجج الواهية التي يتمسك بها هؤلاء قولهم: إن القبور ينبغي أن لا ترتفع عن الأرض أكثر من أربعة أصابع. وللإجابة على ذلك نذكر ما يلي:

١ ـ حجتكم من هذه الضجة التي تثيرونها هي أن الناس لم يطيعوا أمر الإمام الذي قال: إن ارتفاع القبر عن الأرض ينبغي أن لا يزيد عن الأربعة أصابع.

حسناً، إن كنتم حقّاً متدينين منزهين تتباكون على أوامر الإمام غير المطاعة، فلماذا لا تقولون شيئاً عما يجري في طهران (مركز الشيعة) من معاصي؟ لقد كان عليكم أن تقولوا كلمة في السفور، وحفلات الرقص، وإقامة المسابح للفتيان والفتيات، وتناول المسكرات، ومعاملات الربا التي تقوم بها البنوك والشركات.

إن سكوتكم يعني أن هناك أيادي معينة خلف ذلك، وما نعرفه عن سلوككم في قم وطهران هو الذي يجعلكم تعرضون عن ذلك.

٢ ـ لقد كان من المتوقع أن لا تعيروا لهذه الأمور أهمية، وأن لا تكتبوا عنها شيئاً (وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد)، فما الذي حدث حتى أصبحتم تلطمون الصدور على هذه الأمور، لعل الذين أقاموا هذه القباب كانوا مثلكم لا شأن لهم بالأمور المذكورة، لكنهم أقدموا على ذلك بأمر من القرآن، واحتراماً للشعائر الدينية.

٣ ـ إن مخالفة أمر الإمام لا تعتبر شركاً، وعلى فرض كوننا قد عارضنا ذلك، فإننا

لسنا بالمشركين والكفار، بل مثل بقية المتمردين.

٤ ـ على فرض أن إقامة القبور أمر غير مستحب، فما علاقة ذلك ببناء القباب والمساجد والصحن والرواق؟ إننا نعرف أن الصحن والرواق والمسجد والقبة والضريح . . . أن هذه ليست قبوراً. ولو طلب منكم أحد وضع اليد على قبر الرسول وتلاوة دعاء معين لما فعلتم ذلك دون شك. إذاً؛ فإن جعل القبور ترتفع بمقدار أربع أصابع عن الأرض لا علاقة له بإقامة القباب. إن كنتم تقولون بأنكم فهمتهم المسألة على هذا النحو، فإننا نقول بأننا لم نفهمه على هذه الشاكلة.

٥ ـ إن هذه الضجة التي تقيمونها لا تنشأ من فهمكم لما ورد في القرآن من أخبار حتى يجعلكم ذلك تبدون مثل هذا التدخل في مثل هذه الأمور. إن التخصص في أمور كهذه يحتاج إلى أعوام طويلة، وتدخلكم في الاجتهاد، هو تماماً مثل تدخل الحلاق في الأمور الميكانيكية والكهربائية أو المقارعة في علم الاجتماع والمغناطيس. إن خطأكم ينشأ من كونكم تتصورون بأن العلم الصحفي الذي تمارسونه منذ مدة، يتناسب مع فن الاجتهاد.

٦ ـ وردت عن أهل السنة(١) والشيعة روايات(٢) عن التشجيع على بناء قبور الأئمة وتعميرها. نذكر هنا واحدة منها ـ ذلك أن هؤلاء شأنهم شأن البهائيين يذكرون شطراً من الجملة، ويتركون شطرها الآخر الذي لا يتفق وأفكارهم ـ حتى يتضح من هو الذي يبث الأراجيف.

ينقل الشيخ الطوسي عن أبي عامر ـ واعظ أهل الحجاز ـ قوله: إنني ذهبت إلى الصادق عليه السلام، وسألته: ما هو أجر من يزور أمير المؤمنين ويبني قبره؟ فرد على

---

(١) أين الروايات التي وردت عن أهل السنة؟! . . ولماذا اقتصر الخميني على نقل روايات الشيعة فقط؟!

(٢) يراجع في ذلك كتاب ومزار الوسائل وطهارة الجواهر و رسالة ومنهج الرشاد. (خ).

سؤالي قائلاً: يا أبا عامر! لقد روى أبي، عن جده الحسين بن علي؛ بأن الرسول قال لأبي: إنك ستنتقل إلى العراق، وتدفن في أرضه. فقال: يا رسول الله! وما هو أجر من يزور قبورنا ويقيمها ويجدد العهد معها؟ فقال: يا أبا الحسن! إن الله جعل قبرك وقبور أولادك بقعة من بقاع الجنة، وصحناً من صحونها، وإن الله أدخل في قلوب المختارين من خلقه حبكم وجعلهم يتحملون الأذى والذل من أجلكم، ويقومون بإعادة بناء قبوركم، ويأتون لزيارتكم تقرباً إلى الله وزلفى إلى رسول الله، وهؤلاء مشمولون بشفاعتي يا علي . . . إن من يبني قبوركم، ويأتي إلى زيارتها، يكون كمن شارك سليمان بن داود في بناء القدس. ومن يزور قبوركم يصيبه ثواب سبعين حجة غير حجة الإسلام، وتُمحى خطاياه ويصبح كمن ولدته أمه توًّا. إنني أبشرك بذلك، وبشر أنت محبيك بهذه النعمة التي لم ترها عين، ولم تسمعها أذن، ولم تطرأ على بال أحد. إلا أن هنالك توافه من الناس يلومون زائري قبوركم، كما يلومون المرأة الزانية، إن هؤلاء هم أشرار أمتي والله لا يشملهم بشفاعتي . . .

لقد أوردنا هذه الحكاية الطويلة لنوضح أمرين:

الأمر الأول: هو أن هدفهم من الجمع بين هذه الحكاية وبين التوصية بجعل القبور على ارتفاع أربعة أصابع من الأرض يعود إلى:

أولاً: القبر يبنى في بداية الأمر على ارتفاع أربعة أصابع، إلا أنه في الخطوات التالية من البناء يمكن مد هذا الارتفاع إلى الحد المناسب.

ثانياً: طبقاً لهذه الرواية، فإنه لا مانع من إقامة البقعة والصحن، وإن ذلك ليست له أية علاقة ببناء القبور، بل إن ثوابه مثل ثواب بناء القدس.

أما الأمر الثاني: فإن الأشخاص الذين يلومون زيارة القبور، وصفوا في هذه الرواية بالحثالة؛ فقد جاء فيه: «ولكن حثالة من الناس يعيِّرون زوار قبوركم . . . إلخ». والحثالة في اللغة هي مخلفات الحنطة والشعير التي لا نفع فيها والتي ترمى بعيداً. وهذا التعبير هو الذي أورده هذا الكاتب المفتري عندما قال بأن علينا أن نزيح حثالة يعود

عهدها إلى ألف عام، ولكن في ضوء ما قاله رسول الإسلام بهذا الصدد، فإن هؤلاء الذين يتحدثون عن الحثالة، هم أنفسهم الحثالة؛ التي ينبغي أن تزاح من طريق المسلمين.

أما ما أشاروا إليه من أن عليًّا قال: «كل قبر رأيتموه يرتفع عن الأرض سووه مع الأرض، وكل تمثال رأيتموه أبيدوه». فإن الكاتب قد وقع بشأنه في الخطإ؛ إذ إن نص القول هو: «ولا قبر مشرفاً إلا سوَّيته».

إن التســوية هنا تعني التعديل، وإلا كان ينبغي أن يقول: «المحو» وليس «التسوية»، والكاتب لا يعرف العربية، كما أنه سرق هذه التفسيرات من كتب الآخرين.

هذا بالإضافة إلى أن عبادة الأوثان كانت ما تزال قائمة في ذلك العهد، بحيث إن المؤرخين يقولون بأنه كانت توضع فوق القبور تماثيل وصور تعبد. ولذا فإن التسوية حتى إن كانت تعني التخريب، فإن ذلك إنما يعني تلك الأنماط من القبور؛ التي ورد ذكرها في هذه الرواية، إذ إنه عندما صدر هذا الأمر، كانت ثمة قبور للمسلمين موجودة في الحجاز والعراق، ولم يصدر شيء بشأن هدمها. وكان النبي قد دفن منذ البداية في بقعة وحجرة معينة، كما أن عمر وأبا بكر قد دفنا أيضاً في نفس البقعة، إذاً فقد كان الأجدر هدم هذه الحجرة، حتى لا يكون لديكم أي احتجاج على مثل هذه الأمور.

إننا لن نتحدث أكثر من ذلك في هذا الشأن، ويكفي القراء ما فهموه من الموضوع إلى هذا الحد[1].

□ فقرات من «زيارة الجامعة الكبرى»:

من الأمور التي يحاولون أن يدينون بها المتدينين هي قولهم لنا: إنكم تقرؤون في كتاب «الجامعة الكبرى» ما يلي:

---

(١) ننصح القراء الكرام بقراءة كتاب العلامة محمد ناصر الألباني «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد».

من أراد الله بدأ بكم، ومن قصده توجه إليكم، بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث.

ثم يعدُّون ذلك شركاً لا ينافيه في العالم أي شرك، وأنا لا أدري أي معنى استخلصه هؤلاء من هذه الفقرات اليسيرة، حتى يستدلوا من ذلك على الشرك.

لقد كان عليهم أن يفسروا معنى العبارات حتى تتبين مواضع الشرك فيها.

لقد أوضحنا من قبل بأن الشرك يتمثل في القول بإلهين أو في عبادة ربين أو عبادة وثن أو كوكب على أساس أن كلاًّ منهما إله أو صورة للإله.

والآن، لنجد أية واحدة من العبارات المذكورة تدعو إلى الشرك حتى نقوم بترك هذا الكتاب جانباً.

لقد جاء في الفقرة الأولى: «من أراد الله بدأ بكم»، وهذا أمر طبيعي جدًّا، إذ إنها تعني بأن من يريد معرفة الله أو طاعته وعبادته؛ فإن عليه أن يأتي إليكم ليتعلم دروس الدين وأصول العبادة، وأن لا يقوم قبل توجيهات الله ورسوله بالعبادة.

إنكم تقولون: إننا نعبد الله كيفما يروق لنا، وإنه لا مانع من أن تكون الصلاة عشر ركع، وقمنا بالإمساك في رمضان عن كل ما نريد، وإننا لو تلقينا دروس الدين وأصول التدين على يد أحد فإن ذلك شرك. فلو قيل لكم مثلاً بأن طلب الصحة يتطلب الاستعانة بتوجيهات الطبيب، أفلا يعني ذلك بأنكم إن أردتم الصحة فإن عليكم أولاً أن تستشيروا الطبيب؟ فلماذا إذاً تفسرون هذا الكلام البسيط حسب أهوائكم، وتضعون للأمور افتراضات غير مقبولة، أو تتصورون الأمور كما يتصورها الشاه والوزير، فتقولون من باب الكذب والخداع: «من له عمل عند حاكم المدينة فعليه أن يرى حارسها أولاً ...»، فإلى من وجهتم أنتم السؤال، ومن ذا الذي أجابكم بمثل هذا الجواب؟

من الأمور الطريفة لديكم هي أنكم تضعون أجوبة غير معقولة تختلقونها وتنسبونها إلى رجال الدين، ثم تأخذون بالدفاع عنها. أما من الذي قال بمثل هذه الأمور ...

فهو أمر غير معروف؛ إلا أننا نقول بأن من يريد أن يعرف الله ويفهمه حسب إدراكه، وأن يتعلم أصول عبادته، فإن عليه أن يذهب إلى واحد من العلماء تلقى من رسول الله هذه الدروس ـ بواسطة أو بدون واسطة ـ . . . فهل تعتبرون ذلك شركاً، وترون أننا في كلامنا نكون على باطل؟ الأجدر بكم أن تخلوا الطريق أولاً لكي يعمل من يشاء ما يشاء وبدون حساب، كما يقول بذلك سيدكم.

□ شواهدنا من القرآن الكريم:

تقول الآية [٢٧] من سورة الحج:

﴿وأَذِّنْ في الناسِ بالحَجِّ يأتوكَ رجالاً وعلى كلِّ ضامرٍ يأتينَ من كلِّ فَجٍّ عميقٍ﴾.

فهل تقولون: إن الحجيج إذا ما ذهبوا إلى إبراهيم فإنهم مشركون؟ وإن الله يكون قد دعا الناس بذلك إلى الشرك؟ وإنه أمر إبراهيم أن يدعو الناس إليه قبل قيامهم بالحج . . . ؟ وهذا هو الشرك بعينه.

إننا نقول ردًّا على ذلك: إن الناس كانوا مكلفين، في تلك الأيام التي كانوا يريدون أن يلبوا فيها دعوة الله، أن يمضوا أولاً إلى إبراهيم، وأن يمضوا على عهد نبي الإسلام . . . إلى هذا النبي، وعلى عهد الأئمة يذهب إلى هؤلاء أولاً. ومن هنا فقد جاءت بعد تلك العبارة عبارة: «ومن وحد قبل عنكم» . . . أي: إننا نكون قد تعلمنا التوحيد منكم.

□ عدم أمانة الكاتب:

إن هذه العبارة تجسد المعنى، وتوضح أبعاد التوحيد جيداً، ولكن الكاتبَ الخائن يتعمد عدم ذكر ذلك، فمن هو الخائن والجاني الآن؟

الواقع أن من يريد أن يتعلم معنى التوحيد، وأن يخرج من الشرك، عليه أن يتوجه نحوكم، لأنكم تأتون من العبادات جزءاً منها، وتسقطون الباقي، وتقومون بتفسير كلمة واضحة المعنى بالشكل الذي يحلو لكم، ثم تلقون على عاتق رجال الدين أوزار أمور

مجهولة، وتصفونهم بعد ذلك بالمشركين. فما الذي ستضعونه إزاء فضيحتكم أمام مجتمع الشرف والعلم؟ ومن هنا فإن المقصود من عبارة: «من قصده توجه إليكم» يصبح واضحاً وجليًّا.

أما النقطة الأخرى التي يأخذونها علينا فتتعلق بعبارة: «بكم فتح الله وبكم يختم»[1].

إن استخراج معنى الشرك من هذه العبارة أمر غير ممكن، لأنها تدل على ثلاثة احتمالات ليست لأية منها أدنى صلة بالشرك:

الأول: أن العبارة تقول: إن الله فتح أمامكم باب الإمامة وختمها بكم، أي إن الإمامة حُصرت في أهل بيتكم، وغير خارجة منها أبداً. أول الأئمة هو علي، وهو منكم، وآخرهم الحجة ابن الحسن وهم منكم أيضاً. فأين الشرك أو احتمال الشرك من هذا القول؟

الثاني: وتقول العبارة: إن الله خلق نوركم أولاً، وإنكم آخر من تختتم به الخليقة، ومع أن هذا يبدو مخالفاً للظاهر، إلا أنه ليس بالشرك، فلا بد أن يكون الله قد خلق في بادىء الأمر موجوداً . . . مهما كان فإنه خليقة لله، وخليقة الله غير شريكه. ولا ندري كيف عصرتم هذه العبارة واستخلصتم منها الشرك؟

الثالث: وتقول العبارة: إن الله بدأ بواسطتكم خليقته، وبواسطتكم سيختتمها، ومن المستبعد جدًّا أن تكون للخليقة علاقة بالشرك.

لقد بات من الثابت بأن جميع ظواهر العالم ابتداء من الشمس وحتى الجمادات والنباتات والحيوانات والأجزاء الأخرى، أوجدت لخدمة الإنسان، وخاضعة لأوامره. فهل إذا قال أحد لهذا الإنسان الذي هو المثل الأعلى في الحياة، بأن الله يبدأ بكم الخليقة وينهيها بكم . . . يكون بذلك مشركاً؟

---

(١) هذه العبارة فيها تقييد وحصر . . . فما الدليل الصحيح على هذا التقييد؟

إن العبارة الأخرى تقول: «وبكم ينزل الغيث من السماء»[1]. وواضح بأن هطول المطر هو من أجل الإنسان ولمصلحته. فما علاقة المطر الذي ينزل لهذا الإنسان - المثل الأعلى - بالشكر؟ لقد نُسِب إنزال المطر إلى الله وليس إلى أي شخص آخر.

من يدري؟ لعل الكاتب استخرج معاني معينة لهذه العبارة ثم استخلص منها الشرك . . . فما ذنبنا نحن إذاً؟ إنكم لربما تقولون: إن الشيعة عندما يقولون: «لا إله إلا الله»، لا بد أنهم عندما يقولون: «الله»، إنما يعنون «عليًّا» . . . لذا فإنهم - بناء على ذلك - مشركون وكفار.

□ نظرة إلى «زيارة الجامعة الكبرى»:

لعله من الجدير بالقراء أن يلقوا نظرة على هذا الكتاب الكبير الذي يوجه إليه الكاتب المفتري كل هذا القدح، حتى تتكشف لهم ماهية هذه الافتراءات ويعرفوا أي نوع من الأشخاص ينبغي على رجال الدين أن يجابهوا ويتحاوروا.

فكم نقرأ في كتاب «الزيارة» هذا: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كما شهد الله لنفسه، وشهدت له ملائكته، وأولو العلم من خلقه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، وأشهد أن محمداً عبده المنتخب، ورسوله المرتضى» . . . إلى أن يقول في الأئمة: «وأشهد أنكم الأئمة المرشدون المهديون المعصومون . . .»[2].

وفي ضوء هذا الإقرار الصريح بتوحيد الإله والإيمان برسالة النبي وبإمامة الأئمة . . . هل يمكن القول بأن محتويات هذا الكتاب تدعو إلى الشرك؟ وبأية محكمة عدل وإنصاف ينبغي أن تحاكم هذه الأكاذيب والتفاهات؟ أجل . . . إن المخيلة السوداوية هي التي تعتبر ما جاء في هذا الكتاب شركاً. أي أن يتم تفسير عبارة: «إنكم الأئمة»،

---

(1) أي: لولاكم لما نزل الغيث من السماء.

(2) يرى الجعفرية أن الاعتقاد بإمامة الأئمة الاثني عشر ركن من أركان الإسلام والإيمان . . . وليس ذلك عند أهل السنة.

على اعتبار كونها: «إنكم الألهة»، وأن يتم الادعاء بأن كلمة: «الإمام»، تعني: «الله». .

☐ أكاذيب وافتراءات واضحة:

من الأكاذيب والافتراءات التي يلصقها هؤلاء برجال الدين قولهم: «بعد أن دعا الأنبياء الناس إلى التوحيد . . . قال رجال الدين: إننا لا نستطيع رؤية الله بالعين، أو لمسه باليد، أو تصوره بالخيال، كما لا نستطيع تجاهل التعاليم، لذا فإننا نقول بأن إله الأنبياء للأنبياء، وأن الأنبياء لنا نحن، حتى نتمكن، بذلك، من وضع الشباك حول أضرحتهم، ونمسكها بأيدينا، وأن نتصورها في ذهننا إن تعذر علينا إيصال أنفسنا إليها . . . .». وبعد أن يوردوا هذه الافتراءات، يبدؤون بالرد عليها.

وعلى القراء المحترمين الذين نشؤوا في مملكة الشيعة الكبرى[1] وعرفوا معتقدات الشيعة جيداً . . أن يسألوا أي فرد من أتباع هذا المذهب: هل أعرضت عن الله وعبادته وصرت تعبد النبي وحده؟ هل صلاتك وصومك وحجك وعباداتك الأخرى هي من أجل النبي والإمام؟ وانذاك لو وجدوا امرأة عجوزاً تجيبهم بالإيجاب فعليهم أن يعلموا أن ما قاله أولئك هو أمر صحيح، وإلا فإن أقوالكم وادعاءاتكم الهوجاء ستذهب أدراج الرياح.

إن أفكار أية فئة أو طائفة يمكن استخلاصها من كتبها أو منشوراتها أو من أقوال خطبائها أو من محتويات صحفها ومجلاتها. وأنتم لا تستطيعون العثور على أي ادعاء باطل في كتب رجال الدين التي تتعدى الآلاف، ولا في مجلاتهم الدينية، وإن عثرتم على كتاب واحد ألفه كاتب أمي، وأورد فيه مثل هذه الأقاويل التافهة، فإننا نكف آنذاك عن نعتكم بالخونة، ونأخذ باتباع أقوالكم، وإلا فإننا نعدُّكُم أكثر ضرراً من أولئك الذين يمصون في الخفاء دماء الناس، وأنهوا - في ظلمة السجن - حياة عدد من الأفراد، إذ إنكم تعبثون بأباطيلكم بحياة وسعادة مئات الملايين من البشر، وتضعون أسس تعاسة

---

(١) حري بالمسلمين أن ينتبهوا إلى النزعة الخمينية الكامنة وراء هذه السطور.

شعب شريف مثبتاً لهؤلاء المحتالين، وأسفاً لهذه الألاعيب.

إن إخواننا في الدين، أصدقاءنا، شبابنا الغيارى، ومواطنينا الشرفاء، عليهم أن يطلعوا على هذه الوريقات الصفراء، وعلى مظاهر هذه الجرائم، وأن يفضحوا أوجه النفاق والفساد، وهذه الدعوات الزرادشتية، ومحاولات العودة إلى المجوسية، وهذه الإساءات إلى الدين، وأن يبحثوا عن مخرج لذلك، وذلك عن طريق القيام بانتفاضة وطنية، وتحرك ديني، وأن يستعينوا بوجدانهم وبتعصبهم الوطني وإرادتهم القوية، فيوجهوا قبضتهم الحديدية لاقتلاع جذور هؤلاء القذرين التافهين من أعماق الأرض، فهؤلاء يبددون تراثكم العريق، ويعبثون بوديعة الله حسب أهوائهم، يحرقون كتبكم الدينية التي كتبت بدماء شهداء الفضيلة، ويحتفلون بأعياد إحراق هذه الكتب، وأية كتب؟ تلك التي تتحدث عن تضحيات الحسين بن علي عليه السلام، والصعاب التي لقيها الرسول وأولاد الرسول على أيديكم.

□ عدم الأمانة في نقل الرواية:

من إحدى الحجج التي يتذرع بها هؤلاء هي أن كتاب «الكافي» ـ وهو أحد أربعة كتب مهمة ـ جاء فيه: «إن الله خلق العالم وأسلم أموره إلى محمد وعلي وفاطمة».

لكن هؤلاء الأغبياء لم يتصوروا بأن هناك من يتصدى لمثل هذه الأباطيل، ويكشف الحقائق للناس، ويفضح عدم أمانتهم وخياناتهم[1]. ولذلك فإنهم واصلوا أكاذيبهم بوقاحة[2]، وروجوا حكاية لا أساس لها ضد رجال الدين؛ اتهموهم من خلالها

---

(١) لقد قام الخميني بهذه المهمة، ونقل العبارة عن الكافي، كما في الصفحة الآتية، فإذا العبارة هي هي: «... ثم خلق محمداً وعليًّا وفاطمة ... وفوض أمورها إليهم ...»، فما الفرق بين العبارة التي عدها الخميني محرفة وهذه الرواية التي ذكرها؟!

ولا ننسى أن الخميني زعم في كتابه «الحكومة الإسلامية» (ص٥٢) أن ذرات الكون تخضع للأئمة.

(٢) تحدثنا عن ذلك في الفصل الخاص بـ «الحديث»، يرجى الرجوع إليه. (ع).

بالشرك، وها نحن نورد للقراء نفس الحكاية، تاركين للقراء الحكم بشأن ما ورد فيها؛ فقد جاء في الحديث الخامس من كتاب «مرآة العقول» شرح «الكافي»، صفحة ٣٥٤ ما يلي:

الحسين بن محمد الأشعري، عن المعلى بن محمد، عن أبي الفضل عبد الله بن إدريس، عن محمد بن سنان، قال: كنت عند أبي جعفر الثاني، فأجريت حديثاً عن اختلاف الشيعة، فقال: يا محمد! إن الله تعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعليًا وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، **فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورها إليهم، فهم يحللون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى**. ثم قال: يا محمد! هذه الديانة التي من تقدّمها مرق، ومن تخلف عنها محق، ومن لزمها لحق. خذها إليك يا محمد.

هذا هو الحديث الذي بواسطته يلصق هؤلاء الأدعياء تهمة الشرك برجال الدين؛ فهل هناك ما يدل على التوحيد أفضل من هذه العبارة التي تصف الإله بأنه متفرد أحد؟ وهل هو مشرك من يقول: إن الله خلق نور النبي وخلق عليًا وفاطمة قبل كل شيء؟ لا بد أن الله خلق شيئاً ما قبل سواه، ولو كان ذلك الشيء تراباً أو إنساناً أو أي شيء آخر، فإنه لن يكون دليلاً على الشرك.

هل وجوب إطاعة النبي وعلي وفاطمة هو شرك؟ إن الله يحتم إطاعة النبي وعلي وفاطمة. ثم يقول بعد ذلك بأنهم يحللون ما يشاؤون، فهل يعني هذا سوى تفويض الأحكام؟ ولننظر الآن كيف يحللون وكيف يحرمون؟ إن الإمام نفسه يقول: إنه لا يحلل شيئاً أو يحرمه من تلقاء نفسه، بل إنهم يحرمون ما حرمه الله ويحللون ما حلله. وهذا كله يدل على أن هؤلاء يتبعون الله ولا يفرضون مشيئتهم أبداً ما لم يشأ الله، وأنهم يحللون ويحرمون وفق ما يأمر به الله.

والخلاصة أن الله قد فوضهم نشر الأحكام[1]، وهذا ليس له أدنى ارتباط

(١) هذه الرواية الساقطة لا تعني ما قرره الخميني، بل تقرر أن هؤلاء لهم حق التصرف في الكون . . . =

بالشرك[1].

إن مضمون الحكاية المذكورة هو نفسه مضمون الآية [٦٢] من سورة النساء التي قالت:

﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأُولي الأمرِ منكُم﴾.

وليس هناك من هو أكثر خيانة ممن يتعمد في تحريف نقل رواية، ثم يحاول أن يجعل نفسه مخلصاً ومطيعاً للإله، ولا يبخل بإلصاق التهم والافتراءات برجال الدين.

من المؤسف أن قراءنا الواعين الذين ينبغي أن ينفقوا أوقاتهم للعلم والمعرفة والإرشاد والهداية إنما يضطرون إلى إتلاف ذلك الوقت في سماع أحاديث وأقوال تافهة وكاذبة لا نصيب لها من الصحة.

إن هؤلاء المروجين يتبعون أفكار شبابنا، ويحاولون أن يجعلونا نسيء الظن بكبار رجال الدين وعلماء العالم الذين هم ثروة عزنا وفخار عماد مجتمعنا. **إنهم يدفعون بشبابنا إلى الإعراض عن مئات من الكتب النفيسة التي تمثل ثروتنا التي نعتز بها لأنها من ذكريات عزتنا وعظمتنا، ويخنقون روح العزة في أعماق شبابنا[2].**

□ بحث عن الشفاعة:

من الأمور التي يروجها هؤلاء المروجون في وريقاتهم التافهة قولهم: هل الإله

= فماذا أبقوا للواحد القهار سبحانه وتعالى عما ينسب إليه هؤلاء الجاهلون الذي ما قدروه حق قدره . . .

(١) بل هو الشرك بعينه.

(٢) هذه الكتب النفيسة هي التي تحوي الطامات والسخافات والأباطيل والكذب على الله ورسوله . . . ولكن الخميني يعتز بها، لأن فيها أمجاده الموهومة . . .

أيها الغافلون من أهل السنة! هذا هو الخميني، لم يتغير عن أسلافه، ولن يتغير . . . فهل أنتم مدركون؟!

مثل «ملا المكتب»، يشد تلميذه إلى الفلقة، ويوسعه ضرباً، حتى يأتي شخص ويخلصه: ﴿تعالى الله عمّا يقولُ الظالِمونَ علوًّا كبيراً﴾.

هذا الكلام مصدره الوهابيون، وهو يدور حول طلب الشفاعة من الأموات.[1]

إن بعض كتاب مصر قد أظهروا المسألة على شكل آخر، وأنكروا الشفاعة أساساً، وأخذوا يفسرون الشفاعة على أنها توجيهات من الأنبياء.

ونحن نورد فيما يلي ما يؤخذ على الشفاعة ثم نقدم الرد عليه:

١ ـ يقولون: «طلب الشفاعة من الأموات شرك».

أوردنا فيما سبق الإجابة المفصلة على هذا السؤال، وأوضحنا بأن الشفعاء لن يكونوا بعد توديعهم الحياة أمواتاً، بل إن موتهم يعني خلود أرواحهم في العالم الآخر، ووقوفهم على كثير من الأمور المسلم بها.

واستناداً إلى فلاسفة الروح القدامى، فإن طلب الشفاعة من الإمام والنبي الذي يصبح بعد الموت كقطعة خشب أو حجر أو أي جماد آخر . . . لن يُعَدُّ شركاً.

٢ ـ يقولون: إن طلب الشفاعة هو بمثابة إدخال الآخرين في أعمال إلٰهية، ويصفون ذلك بأنه هو الشرك بعينه.

وللرد على ذلك نقول: إن الشفاعة ليست عملاً ربانيًّا، إذ إنها في الأساس قيام النبي والإمام بالدعاء إلى الله أن يغفر خطايا أحد الأفراد. وهذا عمل يقوم به العبد وليس الله، وقد أوضحنا قبل هذا، الفرق بين عمل الإلٰه وعمل العبد، وقلنا بأنه يتم بدون استمداد القدرة من أحد. ومعلوم بأن الشفاعة أمر يحصل بإذن الله، وأنها الرتبة التي يمنحها الله للمشفوع.

٣ ـ يقولون: إن الشفاعة والوساطة يتنافيان ومقام الإلٰه، وإن الله ـ في عرف رجال

---

(١) ليس هذا مذهباً ابتكره الوهابيون، بل هو مذهب أهل السنة على مدى العصور الإسلامية

الدين ـ هو مثل (ملالي الكتاتيب) الذين لن يكفوا عن ضرب تلميذهم إلا بحضور الوسيط.

وللرد على هذا الادعاء نقول: إن كلامكم هذا يبدو لغواً باطلاً. فبموجب ادعائكم لا يجوز تعليم أحد، لأن التعليم هو من عمل الملالي. وفي ضوء ذلك ينبغي اعتبار جميع الشرائع والأديان عبثاً، والإعراض عن تعاليم النبي، بل ويجب اعتبار الإله واحداً من الموجودات، لأن ملا الكتاتيب هو الآخر كائن موجود.

إن المتدينين يقولون: إنكم تعدون الله مثل أحد الملالي الذين يمارسون الضرب بلا رحمة ولا يغفرون، ويرون أن ما توردونه بهذا الشأن إنما هو عبث أطفال . . .

٤ ـ يقولون: إن الشفاعة تتنافى ومشيئة الإله الأزلية ولازمة ذلك هو عودة الإله عما يريد، وأن ذلك يتنافى ومكانة الله.

ورداً على ذلك نقول: إن ما تتحدثون عنه وارد في كتب الفلسفة مثل مؤلفات ابن سينا، والمحقق الكبير صدر المتألهين، وإن الجواب عليه موجود في تلك الكتب، وإن هذا الانتقاد لم يوجه إلى مسألة الشفاعة وحدها، بل وإلى مسألة استجابة الدعاء وقبول التوبة أيضاً. وهي من الأمور الواضحة التي تطرق إليها القرآن.

إننا نخاطب هؤلاء؛ قائلين لهم: طبقاً لما تقولون فإن على الله أن لا يتقبل التوبة ولا يستجيب الدعاء، وأن ينزل بأقصى قوته أشد الأذى بمن يرفع خطوة ضده.

□ بعض كلام القرآن كاستشهاد:

يبدو أن هؤلاء الأدعياء لم يتلوا القرآن، ولو مرة واحدة، حتى يعرفوا كم من الآيات أنزلها الله بشأن الشفاعة، وخاطب الناس بها بصراحة، حتى لا يقولوا: ﴿تعالى الله عمّا يقولُ الظالمونَ علوًّا كبيراً﴾.

وتقول الآية [٢٥٦] من سورة البقرة تقول:

﴿مَن ذا الذي يَشْفَعُ عندَه إلا بإذْنِه . . ﴾.

وتقول الآية [٣٨] من سورة الأنبياء:

﴿ولا يشفَعونَ إلا لِمَنِ ارْتَضى وهُم من خَشْيَتِهِ مُشْفِقونَ﴾.

وتقول الآية [٢٦] من سورة النجم:

﴿وكَم من مَلَكٍ في السماواتِ لا تُغْني شفاعتُهم شيئاً إلا مِن بعدِ أنْ يأذَنَ الله لمَن يشاءُ ويَرْضى﴾.

وعلى القراء أن يتلوا هذه الآيات، ويستخلصوا منها مدى بلادة هؤلاء الذين ينكرون ما يقوله، بكل صراحة، رب العالمين الذي سمح - بإذن منه - بالشفاعة لمن يستحقها[1]، ويتهمون من يقول بذلك . . . بالظلم.

إن الهدف الأصلي لهؤلاء هو القرآن والملالي، إنهم ينصرفون إلى أقوال رجال الدين وإلى كتبهم وأخبارهم لكي يجعلوا الناس يعرضون عنهم، ولكي يسلبوا من الناس قوة الدفاع. وها قد بثثنا فيكم روح الوعي وكشفنا لكم عن أباطيلهم وأكاذيبهم، واستعنّا بآيات من القرآن لكي ندحض ادعاءاتهم، ليصبحوا أمام رب العالمين خاسئين ومدانين.

وعليك أيها الشعب الغيور أن تضرب على أيدي هؤلاء الأفاقين، وأن تحطم أقلام هؤلاء الجناة، حتى يبقى لك شرفك المتمثل في القرآن.

□ إفك عجيب:

إن هذا الكاتب يتذرع بذريعة أخرى، فيستخلص من عبارات واضحة نتيجة مخالفة، فيقول فيما يقول: إن ديننا يقول اليوم: إن ثاني أصول الدين هو العدل، لكنه مثل من يعرض الحنطة ويبيع الشعير، يبدو جائراً، كما أن عمله يبدو صبيانيًّا لأنه يغفر

(١) لا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه . . . وأين إذنه للأئمة والملالي بأن ينصبوا أنفسهم وسطاء بين الله وخلقه؟!

للجبل من أجل القشة، وللقشة من أجل الجبل.

يا لهذا الإفك الذي يربط القشة بالجبل، وبالجبل بالقشة. صحيح أن رب العالمين عادل وليس بظالم، وأنه لا يظلم أحداً، ولا يسمح به. ولكن كيف يمكن أن يتنافى غفران وخطيئة عباد الله والغفران للجبل من أجل القشة . . . مع العدالة؟

إن العدل يعني أن من يرفع خطوة معاكسة لما يقول الله سينال عقابه وأذاه الشديدين، وهل إذا ما عفا الله عن المساكين والمتخلفين ممن اقترفوا ذنباً عن جهالة وغفر لهم خطاياهم يكون قد جار وظلم؟ أجل؛ إن الله إذا ما تراخى في الحق، وتغاضى عن ظلم الآخرين وبجورهم ضد أحدهم الآخر . . . فإن ذلك يكون منافياً للعدل، ورجال الدين لم يقولوا مثل هذا القول، ولم يقولوا ذلك عن الله. إنهم يقولون: إن الله لا يتغاضى عن حقوق الناس إلا أن يتغاضى عنه صاحب الحق، لكنه يتنازل عن حقه هو، إن أراد ذلك، وهو لم يغلق أبواب الرحمة في وجه عباده، وهو ليس كالجائرين الظالمين ممن ينزلون الويل بالناس.

وأنتم لو أسميتم ذلك كله . . . ظلماً، فتكونون قد نطقتم بلغة غير لغة بني البشر، ونحن لا نعتقد بوجود سواكم ممن يسمي العفو ظلماً، ويقول عن الرأفة بأنها عمل صبياني.

من الأمور التي تأفكون فيها، أنكم تستندون إلى معتقدات رجال الدين من خلال أشعار الدراويش، فتنسبون إلى المتدينين قولهم: «العالم إذا ما فني فإن عليًّا هو الذي سيفنيه»، كما تدعون أنهم يقولون: «إن الله لا يمنح الجنة بثمن، بل لسبب».

الأجدر بكم إذاً أن تقرؤوا كتاب «قاآني»، وتقولوا: إن علماء الإسلام والمتدينين ينظرون إلى (علي قلي مرزا) و (محمد شاه قاجار) كآلهة، لأن ثمة قصائد تقول: إن حركة الكون وقيام العالم هما من إرادة هذين.

إن الدراويش الذين لا تزيد معلوماتكم عن معلوماتهم، يروجون الكثير من أمثال

هذه الأقاويل. وكان عليكم أن تضيفوا تلك الأقاويل إلى كتابكم النفيس الذي يعتبر واحداً من مفاخركم . . .

□ القرآن شاهد على ما نقول:

إن هؤلاء الأغبياء لم يتلوا القرآن، أو تلوه وتجاهلوا ما فيه، ولم يهتموا بما أصابتهم من فضيحة، ووصفوا رحمة الله بأنهما عمل صبياني، متناسين بأن هناك من يتصدى لأقوالهم، ويفضحها واحدة واحدة، ويكشف عن أكاذيبهم التي تتعارض ـ بصراحة ـ مع القرآن وتعاليم الإسلام.

ونحن نعرف بأن هؤلاء لا يرتعبون من الفضيحة، ولذا فإننا لا نتوقع منهم أن يأخذوا بما نقول.

إن ما نخشاه هو أن يقوم هؤلاء بتلويث قلوب الشباب الطاهرة، وتسميم أفكارهم.

إن ما نخشاه هو أن تؤثر هذه الأقاويل المغرضة المخالفة تماماً للقرآن وتعاليم الدين، في النفوس الطرية لشبابنا.

ولذا؛ ومن أجل حماية هؤلاء، شمرنا عن سواعدنا، ودخلنا هذه المعمعة، وها نحن نورد فيما يلي آيات القرآن التي وصفوها بأنها أقوال صبيانية:

تقول الآية [٥٤] من سورة الزمر تقول:

﴿قُلْ يا عبادي الذينَ أسرَفوا على أنفُسِهم لا تَقْنَطوا مِن رحمةِ الله إنَّ الله يغْفِرُ الذُّنوبَ جميعاً إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ﴾.

وتقول الآية [١١٦] من سورة النساء:

﴿إنَّ الله لا يغْفِرُ أن يُشْرَكَ بهِ ويغْفِرُ ما دونَ ذلكَ لمَن يشاءُ﴾.

وتقول الآية [١٢٤] من سورة آل عمران:

﴿ولله ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ يغْفِرُ لمَن يشاءُ ويُعَذِّبُ مَن يشاءُ والله غفورٌ

رحيم﴾.

كل من تلا القرآن يعرف أن الله في كل صفحة أو في كل عدة صفحات من القرآن يَعِدُ عبيده الضعفاء بالرحمة والمغفرة، وأنه لم يغلق أبواب الرحمة والغفران في وجوههم لخطيئة قاموا بها، لكن هؤلاء يصفون الله بأنه دكتاتور مجرد من المروءة، وهؤلاء الذين يعادون العلم ولا يعرفون شيئاً عن عالم المحسوسات . . . يتحدثون عن عالم الغيب. ومع ما لهم من جهل، يتحدثون في المعقول، ومع أنهم لا يعرفون شيئاً عن تعاليم الدين وعن كتاب المسلمين فإنهم يتدخلون في ذلك تدخلاً صبيانيًّا.

قولوا لنا: ما الذي تعرفونه عن تعاليم القرآن؟ ولو كنتم تبحثون عن الشهرة فدونكم سبل أخرى تطرقونها، فلماذا تريدون الوصول إلى هذه الشهرة عن طريق ترويج الافتراءات والأكاذيب ضد رجال الدين؟ صحيح أن طهران يوجد فيها مشتر لكل متاع، وأن أحداً لو ادعى الألوهية فإنه يجد من يتبعه، إلا أن النبوة والألوهية الكاذبة تحتاجان إلى المزيد من الحيثية، وإلى ظاهر أفضل، وكلاهما غير متوفران فيكم.

□ كلام في البداء[1]!

يقول هؤلاء: إنه جاء في «الكافي» بأن الله كان حدد العام السبعين بعد الهجرة لقيام القائم[2]، وحيث إن الناس قتلوا الإمام الحسين فإن الله غضب على أهل الأرض، وأرجأ القيام إلى سنة ١٤٠ بعد الهجرة، وحيث إننا نقلنا لكم ذلك، وقمتم أنتم بنقله إلى الناس، فإن الله لم يحدد وقتاً مجدداً لذلك.

وفي مكان آخر يقولون: إن الإمام جعفر الصادق عليه السلام جعل إسماعيل خلفاً له، وقام إسماعيل بتعيين موسى خلفاً له، وعندما سئل عن علة ذلك قال: إن إسماعيل

---

(١) البداء هو أن يعلم الله ما لم يكن يعلمه من قبل . . . كبرت كلمة تخرج من أفواههم، ألم يقرؤوا قول الله: ﴿لا يضِلُّ ربِّي ولا ينسى﴾ [طه: ٥٢].

(٢) القائم هي الكلمة التي يطلقها الشيعة على المهدي المنتظر. (المترجم).

أجابه بـ (البداء).

ومنذ أعوام طويلة وأهل السنة والشيعة يدلون بالأقوال والأحاديث حول مسألة (البداء) التي تعتبر واحدة من المسائل الفلسفية، إلا أن حديثي النعمة هؤلاء؛ الذين سمعوا هذه الأحاديث، لم يكلفوا أنفسهم بالرجوع إلى كتب الفلسفة، أو على الأقل، الاستعانة بكتب شرح الأحاديث قبل أن يثيروا حول ذلك الموضوع لغطاً لا موجب له.

إننا لم يخطر ببالنا أبداً بأننا سندخل في يوم من الأيام في نقاش عن الفلسفة العليا مع أمثال هؤلاء الجهال، وأن نتناول بشكل سطحي وعابر أموراً ينبغي أن يتم تحليلها وتناولها بشكل بالغ الدقة، لا لشيء، إلا لكي نجعلها قريبة من فهم هؤلاء الجهلة.

وها نحن نتناول الموضوع بالشكل الذي يتناسب مع تلك الوريقات، ونوكل أمر تحليلها تحليلاً علميًّا فلسفيًّا إلى كتب تكفلت بتناول مثل هذه الموضوعات، مثل كتاب «الشفاء» للشيخ الرئيس، وكتاب «الأسفار» لصدر المتألهين، وكتاب «نبراس الضياء» تأليف المحقق (داماد)، والكتب الأخرى المؤلفة في هذا الموضوع. كما أن مؤلفات علماء الإمامية وكبار الشيعة ـ منذ عهد الأئمة وحتى الآن ـ قد تناولت كل واحدة منها هذا الموضوع باهتمام تام. حيث جاء فيها أن «البداء . . .» هو أنه من المحال أن يعزم رب العالمين على أمر ثم يرجع عنه.

وقد قال علماؤنا بأن من يتصور ذلك في الله فإنه كافر[1]، ولا يوجد في الشيعة من يحسب في الله مثل هذا الحساب.

وإننا بكل اعتزاز وثقة نقول: إنه لا يوجد في الشعوب الإسلامية من يقدس الله

---

(١) إن هذا التصور ورد في «الكافي في الأصول»، كتاب التوحيد، باب البداء، (١ / ١٤٨)، طبع إيران.

وجاء في كتاب «الحجة» (١ / ٣٢٧): «. . . نعم يا أبا هاشم! بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر ما لم يكن يعرف له . . .»، ولكن الخميني يظن أن يخرج الله أضغانه.

وينزهه مثل الشيعة أو يبرئه من أية نقيصة[1]. ومن ينكر ذلك عليه أن يرجع ـ إلى مؤلفات كبار علمائنا التي توضح موضع التداول منذ عهد الغيبة وحتى الآن: مثل مؤلفات السيد المرتضى، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والخواجة نصير الدين الطوسي، والصدوق، ومحقق داماد، وصدر المتألهين، وفيض كاشاني، وسواهم من العلماء الذين يعتقدون جازمين بأنه من غير الممكن أن يتخذ رب العالمين قراراً ثم يتراجع عنه.

فماذا نفعل لهؤلاء الأدعياء، الذين ينسبون إلينا قولنا بأن الله يقول شيئاً ثم يتراجع عنه، مستندين في ذلك إلى روايات خيالية، ويعزون إلى رجال الدين أشياء وهمية، أليست هذه خيانة وتضليلاً؟ أجل، يمكن القول الآن بأن هدف هؤلاء هو جعل المجتمع يسيء الظن بكبار أرباب المبادىء.

□ ماذا تعني لفظة «بداء»:

لهذه اللفظة معنى واضح، تتوضح من خلاله روايات كثيرة تتعلق بها، كما تتوضح به الآيات التي تدل على «البداء»[2]، وهي تعني ـ في العربية ـ ظهور الشيء.

فالله سبحانه تعالى يوجد ـ أحياناً ـ شيئاً ما من أشياء يعجز عن دركها فهم البشر، ويظهره للعيان بشكل يجعل الإنسان يتصور بأن الله يريد أن يقوم بعمل ما، في الوقت الذي لم يرد فيه أن يقوم بأي عمل، بل ولم يكن ذلك في نيته.

في نيسان ترعد السماء وتبرق السحب السوداء، تغطي وجه السماء، يخيل للجميع أن المطر سيهطل، يقول الناس: إن الله سينزل علينا المطر، فيرسل بذلك علينا الرحمة . . . لكن لا تمضي مدة حتى تتبدد الغيوم، وتطل الشمس من خلفها، فليس هناك مطر، بل وليست هناك نية لهطول المطر.

---

(١) لا توجد طائفة تنتقص رب العالمين كالشيعة، وما مسألة التفويض والبداء عن القراء ببعيد.

(٢) جاء في القواميس في تفسير لفظة (بداء) ما يلي: ع (عربية) ـ بفتح الباء ـ: الظهور والوضوح، ظهور رأي آخر في عمل ما (المترجم).

أما لماذا تلبدت كل تلك السحب، ولماذا أرعدت السماء، وأبرقت، وجعلت الناس يتوقعون ـ خطأ ـ هطول المطر . . . فإن ذلك سر من أسرار العالم، وأسرار العالم كثيرة، ونحن لا ندركها . . . وهذه هي واحدة منها.

فلنفترض أن لك ولداً عزيزاً، يعبث كثيراً، فتريد أن تخيفه، فتحضر (فلقة) وعصا، وتهم بضربه، ثم تومىء إلى من حولك بأن يخف لنجدته، فتتظاهر بأنك قد كففت عن الضرب بتدخل هؤلاء الوسطاء، أي أنك منذ البداية لم تكن لتنوي الضرب، وأنك لم تتراجع عن عزمك الوهمي هذا.

والإمام ـ بأمر من الله ـ يختار إسماعيل للإمامة، وذلك لأهداف خفية لا ندركها نحن، ثم يتم انتخاب موسى بن جعفر للإمامة. الجاهل يتصور أن الله رجع عن عزمه، ولكن الله كان منذ البداية يرى المصلحة في انتخابه لعدة أيام، ثم يصدر بعد ذلك أمره الإلهي الآخر الذي كان منذ البداية عاقداً العزم عليه.

هذا هو أحد معاني «البداء»، وهو معنى لا لبس فيه، وفي ضوئه تتوضح معاني العديد من الآيات والأخبار. ومن هنا فإن العلماء يرفضون مسألة «البداء» الخاصة بإسماعيل، فمنذ عهد رسول الله وحتى عصر جعفر الصادق عليه السلام، وأتباع الأئمة لا يعرفون غير أئمتهم الاثني عشر، ولذا فإن كل من يقرأ كتب هؤلاء الأتباع لا يشك في أن الادعاء مرفوض ومناقض لجميع الأحاديث.

□ المعنى الآخر للبداء:

المعنى الآخر للبداء هو ربط أمر بأمر آخر، يكون زوال أحدهما إيذاناً بزوال الآخر، وبقاؤه يستتبع بقاء الآخر، لو لم تندلع الحرب الماحقة في أوروبا لما قلّت المعيشة في إيران وغلا ثمنها بعد أن كانت وفيرة ورخيصة الثمن . . . هاتان الظاهرتان مرتبطتان ببعضهما. ولو قام طفلك بالمشاغبة فإنك تؤدبه، وإذا لم يقم بمشاغبة فإنك لن تقوم بشيء ضده.

وبالمقارنة أيضاً نقول بأن فتنة كربلاء لو لم تقع فإن الحسين كان سيثور ويستولي على العالم، وحيث إن تلك الفتنة قد وقعت، فإن هذا الأمر تعوّق، ولو لم يكشف الناس عن سر الأئمة فإن إماماً آخر كان سينهض في سنة ١٤٠ للهجرة، ويستولي على العالم، لكنهم كشفوا عن ذلك، فأُرجيء الأمر حتى موعد الظهور[1].

إن رب العالمين كان يعلم من قبل بأن واقعة كربلاء ستقع، وأن الناس سيكشفون السر، وكان منذ البداية يعلم بأنها ستقع، لذلك فإنه لم يتخذ ـ منذ البداية أيضاً ـ قرارة بذلك.

ثمة مثال آخر نورده. إنك تنوي السفر من قم إلى أصفهان بالقطار، إذا ما كانت سكة حديد بين المدينتين، وحيث إن السكة غير موجودة، فإنك تقرر السفر بالسيارة. أي: إنك تكون قد رجعت عن قرارك الأول، أو أن ذلك القرار ما زال قائماً، إلا أن تحقيقه مرهون بأمر آخر، ما لم يتحقق فإن قرارك لا ينفذ، وتكون قد رجعت عن قرارك إذا ما كنت قد عزمت السفر بالقطار، ثم غيرت رأيك، فأقلعت عن السفر، حتى إذا كان القطار موجوداً.

ورب العالمين منذ البداية كان ينوي بأن يجعل إمام ذلك العصر قائماً ـ فيما إذا لم تقع واقعة كربلاء ـ لكنه منذ الأزل كان يعرف بأنها ستقع، ولذا فإن أي خلل لم يحدث في عزمه، ولم ينل علمه أي نقص.

□ مثل هذا الحديث في القرآن كثير:

تصور هؤلاء الأغبياء بأن رواية «الكافي» هي المعول عليها، فبادروا إلى تناقلها بالضجيج، متصورين بأنهم أوجدوا لنا مشكلة كبيرة، متناسين بأن في القرآن آيات كثيرة استند إليها العلماء في الرد على ادعاءات هذه الزمرة، ونحن نورد فيما يلي البعض من تلك الآيات، ليستكشف القراء نوايا هؤلاء الأدعياء.

---

(١) ويحَكُم كيف تحكمون أم لكم ما تخيرون؟!

تقول الآية [٣٩] من سورة الرعد:

﴿يمحو الله ما يشاءُ ويثبتُ وعندَه أمُّ الكتابِ﴾.

وتقول الآية [١٠٦] من سورة البقرة:

﴿ما ننسخْ مِن آيةٍ أو ننسِها نأتِ بخيرٍ منها أو مثلِها﴾.

فهل تستطيعون الآن أن تقولوا بأن الله يتخذ اليوم قراراً يرجع عنه في الغد، ويثبت اليوم أمراً، وينزل الآية بشأنه، ثم يمحوه في اليوم التالي، وينسخه ويأتي بآخر مكانه[1]..؟

وبعد ذلك... ما الذي يمكنكم أن تقولونه بشأن استجابة الدعاء التي نزلت بشأنها ثمة آيات قرآنية؟ فعلى سبيل المثال؛ تقول الآية [٦٢] من سورة المؤمن:

﴿وقالَ ربُّكُمْ ادْعوني أَسْتَجِبْ لكُم﴾.

إن عليهم - إن أرادوا - أن يرفعوا هذه الآيات من القرآن، وإلا، فهذه الآيات ما زالت موجودة، فإن أحاديثهم كلها تصبح باطلة ولاغية.

لربما يقول هؤلاء الأدعياء... وأي إله هذا الذي يتخذ اليوم قراراً بالقيام بعمل، ويقرر أن يجعل هذا مريضاً، وذاك يودِّع الحياة، ثم يعود عن قراره؟ أو ربما يذهبون إلى أبعد من ذلك، فيقولون: وأي إله هذا الذي ينشر يوماً دين موسى بين الناس، ويجعل التوراة الكتاب المقدس لدى البشر، ثم يرجع عن ذلك في اليوم التالي، وينشر دين الإسلام، ولربما يغربون في دعاواهم، فينكرون صلة الأديان بالإله.

ونذهب نحن أبعد من ذلك، ونقول على لسان هؤلاء الأدعياء: إنه يخلق اليوم خلقاً ويندم على ذلك في الغد، فيخلق سواهم، ويقضي على أولئك، فأي إله متغير

(١) هذه الآيات التي يستدل بها الخميني تثبت النسخ، وهو مسألة أصولية مبسوطة في كتب أصول الفقه، لكن الشيعة ترى أن النسخ الموجود في الكتاب والسنة من قبيل البداء، وشتان ما بينهما!

المزاج هذا؟

إنه يمنح المرض حيناً، والصحة حيناً آخر، يعذب المذنبين حيناً، وعندما يتوبون يذهب بهم إلى الجنة، يجعل أحدهم يصبح ملكاً لعدة أيام فارضاً إياه على الناس، ثم يمرغه بعد ذلك في وحل الذل، يأمر إبراهيم الخليل أن يذبح إسماعيل، وعندما يعتزم القيام بذلك، يرسل إليه فدية، يعد موسى بن عمران بصوم ثلاثين يوماً، وعندما تنتهي تلك الأيام يضيف عليها عشرة أيام أخرى.

فهل يقولون: إن الله لا شأن له بذلك كله، وإنه يغط في نوم عميق، أم يؤمنون بأن كل ما يتصرف به هو عين الحق؟ وأن صخرة ما لا تتحرك من مكانها إلا بمشيئته؟ خير لهم إذاً أن يُعْرِضوا عن هذا الإله الذي يتصورونه في خيالهم، حتى يشفوا بذلك غليلهم من العرب ومن أولاد رسول العرب.

الآن يحق لنا أن نخاطب كاتب تلك السطور، قائلين له: كان الأفضل لك أن تبقى تمارس بيع السجائر، وتصحيف الكتب، ولا تتدخل - بذهنك الوقاد هذا - في أمور الله وفي المعقولات. لكن هذه كلها من عيوب البطالة والتسكع في الشوارع.

وعلى القراء المحترمين أن يعلموا بأن جميع القضايا والأمثلة التي تطرقنا إليها قد تم بحثها جميعاً في الفلسفة العليا، وأن إجابات شافية وكافية، مدعومة بأدلة واضحة، قد وضعت لكل منها، ولكن هؤلاء يثيرون مثل هذه المشاكل حولها، لأن فهمهم قاصر عن إدراكها، وليست لهم معرفة بالقرآن والحديث.

■ السؤال الثاني والإجابة عليه:

ترى هل نستطيع بواسطة الاستخارة أو سواها . . . أن نوجد سبيلاً للاتصال بالإله، وأن نطلع على ما في المستقبل من خير وشر؟ إن كان ذلك في مقدورنا فلماذا إذاً لا نجني من ورائه فوائد مالية وسياسية وحربية كبرى، وأن نسبق الدول في كل شيء؟ ولماذا إذاً يظهرون المسألة بشكل معاكس؟ ﴿قُل لو كنتُ أعلمُ الغيبَ لاستكثرتُ من الخيرِ وما مسَّنِيَ السوءُ﴾، وإذا ما كنتم لا تعلمون فلماذا إذاً تتلاعبون باسم الإله، وتعبثون بأرواح الناس وأموالهم.

للإجابة على هذا السؤال نقول: علينا أولاً أن نوضح الاستخارة حتى يتبين أن هؤلاء ليست لهم الدراية حتى بمثل هذا الموضوع البسيط، وأنهم إنما يقارعون رجال الدين، ويجعلونهم هدفاً لشتائمهم، ويعملون ـ عن عمد أو غير عمد ـ لتشويه سمعة كبار الشخصيات الدينية في أنظار الناس، فينسبون إليهم مختلف الأكاذيب؛ ليجنوا من وراء ذلك فوائد تافهة، علماً بأن ما يقولونه بعيد تماماً عن علماء الدين.

ما معنى الاستخارة؟

للاستخارة معنيان؛ أحدهما: معنى حقيقي، وهو غالباً ما يرد ذكره في أخبارنا[1]، وأصبح شائعاً عند الخاص والعام . . . وهو طلب الخير من الله.

والاستخارة مستحبة في جميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان، وتُعَدُّ من الأدعية التي أعطاها الله في قرآنه المجيد أهمية بالغة، فقد قال سبحانه وتعالى في الآية [٧٧] من سورة الفرقان:

﴿قُلْ ما يَعْبأُ بكُم ربِّي لولا دعاؤكُم فقد كذَّبتُم فسوفَ يكونُ لزاماً﴾ . .

إن الله يقول: إن هؤلاء السائبين لا يقيمون وزناً للدعاء، وإنهم يكذبونه، مع أنهم

(١) يراجع بشأن ذلك كتاب «الوسائل» باب الصلاة. (خ).

ـ لولا الدعاء ـ لما كان لهم أي وزن أو شأن.

والدعاء في حد ذاته هو طلب الخير من الإله، ولكن يبدو أن مروّج الأباطيل لم يلمس في الاستخارة مثل هذا الأثر.

إن المعنى الآخر للاستخارة هو أن الإنسان يجد نفسه في حيرة من أمره، وعقلُه لا يستطيع أن يرشده إلى ما هو خيِّر أو سيِّىء، ولا يجد من يرشده إلى طريق الخير والشر، كما أن الله لم يوصِ أو يأمر بشيء حول ذلك، ولذا؛ فلا يبقى أمامه للتمييز بين الخير والشر سوى الاستخارة، للتخلص من التشتت والتردد اللذين يعاني منهما، فالتردد والتشتت هما من أسوإ ما يصيب الإنسان من حالات. ونحن نعرف بأن من يخرج هذا الإنسان من حيرته ويوجهه إلى الواجهة الصحيحة، فإنه يكون قد منّ عليه منّة كبرى.

وهنا يقول رجال الدين: إن رب العالمين ملاذ الحيارى واليائسين، ومُقيل عثراتهم، وإن الإنسان في مثل تلك الحالات أحوج إلى من يأخذ بيده، لأن عقله وعقل سواه قد كلّ عن التمييز بين ما هو جيد وسيء، فيدعو ربه آنذاك قائلاً:

أنت يا رب منقذ المساكين، والعالم بالأسرار، . . . فاهدنا إلى جهة، واشدد من عزمنا صوب تلك الجهة، وامنحنا العزم، وخذ بيدنا.

وهنا يخفُّ إليه الإلـه القادر على ما خفي وما ظهر، فإما أن يدفعه إلى جهة، ويكون الهادي له ـ وهذا نوع من الاستخارة ـ وإما أن يأخذ بيده، ويلقي بها على إحدى جوانب المسبحة، أو أن يوجهه بواسطة القرآن إلى جهة ما.

فبماذا يرد الآن هؤلاء المفترون الذين لا دين لهم . . . على رجال الدين؟ أفلا تواجه الإنسان مثل هذه الحالة في حياة مضطربة؟

إن الإجابة ينبغي أن تكون بالإيجاب وليس بالنفي؛ ولا سيما أن علماء العالم قد يجابهون في يوم من الأيام مثل هذا الطريق المظلم، فلا يستطيع نور عقلهم أن ينير لهم هذا الطريق، وفي هذه الحالة أفلا يكون الإنسان بحاجة إلى من يعينه ويبحث له عن

مخرج؟

وهنا لا بد لكم أن تعترفوا بالحاجة إلى الاستعانة. وهل هناك بعد خمود مصباح العقل والقصور عن إيجاد علاج حكيم . . . من يمكن الركون إليه غير رب العالمين، الذي يعلم ما جهر وما خفي؟ وهل يمكن وصف هذه الحالة بأنها مسكنة وبؤس؟ وهل يستطيع الله في مثل هذه الحالة من الحيرة والتشتت أن يأخذ بيد الإنسان، وأن يهديه؟ إنكم لا تستطيعون نكران قدرات رب العالمين.

وثمة سؤال آخر ننتهي به أقوالنا وأقوالكم؛ هذا السؤال هو: إن الإله عرف في العالم بالرحمة والرأفة، ويبسط خوان رحمته ورأفته على العالمين، وديدنه هو الهداية والأخذ بأيدي الآخرين، فهل يحجب رحمته هذه عن مسكين يلجأ إليه متوسلاً إليه أن يلبي طلبه، ويسد حاجته؟

إن المتدينين يقولون: إننا نرى في الله؛ ذلك الذي يأخذ بأيدي المساكين، ويهدي الحائرين، فما الذي تقولونه أنتم؟ إن أقسى البشر إذا ما رأى إنساناً متجهاً إليه بكليته، واجداً فيه منقذه الوحيد، فإنه لا يحجم عن الأخذ بيده. فهل ترون الله أقل شأناً من هذا القاسي؟ إنكم لو عدتم إلى رشدكم لتوافقتم مع المتدينين، ولسرتم في نفس الطريق، فيعفو الله عنكم، وإن لم يعف عنكم أهل الدنيا.

□ شواهد من القرآن على أقوالنا:

للتدليل على صحة هذه المسألة الواضحة التي يتقبلها أي واع به أدنى إيمان بالله . . . فإننا نأتي بدليل آخر لهداية العقل فحسب، بل وحتى يعرف القراء أن أقوال المتدينين تسندها آيات من القرآن. ومن هنا؛ فإننا وجدنا الحاجة إلى ذكرها، فقد قالت الآية [٦٣] من سورة النمل:

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾.

إن الله يمتحنكم هنا، ويسألكم: هل هناك غير رب العالمين من يجيب دعوة

المساكين، ويستجيب لدعائهم ورجائهم، ويكشف عنهم السوء، ويبعد الشر عنهم. فهل هناك إله غيره يلجأ إليه الناس، ويطلبون منه العون والإنقاذ من الشر؟ وفي المآزق والملمات. ليس هناك غير الإله من يجيب دعوة الداعين الحائرين، ويبعد عنهم الضر.

على سبيل المثال، هناك شاب مريض يعقد عليه أبواه العجوزان الآمال، اجتمعت اللجنة الطبية العليا، فلم توافق على إجراء عملية له، لأن في ذلك خطراً على حياته، كما أن عدم إجراء العملية هو الآخر يشكل خطراً على حياته؛ هنا نجد أن نور العلم لم يستطع أن يرشد هؤلاء الأطباء أو يجعلهم يتخذون قراراً قطعيًا بشأنه. أفلا يشكل هذا الأمر حالة اضطرارية ودقيقة بالنسبة لأبوي هذا الشاب المريض؟ فما الضير هنا أن تتوسلوا إلى الله، وتتوجهوا إليه بالدعاء، لعله يفتح أمامكم وأمام الأطباء باباً، ويوجد لكم بارقة أمل، ويرشدكم أنتم والأطباء إلى ما هو خير وشر؟ فهل في مثل هذه الأحوال من مجير غير الله؟

هنا يقول المتدينون: بالاستخارة والتوجه إلى الرحمن الرحيم يمكن العثور على طريق للنجاة. ولكن ينبغي أن لا يخفى بأن الاستخارة لن تحسم الأمور بشكل قاطع، وتوصلكم إلى أهدافكم، بل إنها وسيلة لأن يمنح رب العالمين الخير لمن ينشده منهم.

□ قوة الإرادة هي المعول عليها:

إن علماء العالم ورجال العلم والمعرفة، وعلماء النفس القدامى والمحدثين؛ من شرقيين وغربيين، يقرون بهذه الحقيقة، وهي أن الإنسان بإرادته يستطيع أن ينجز الأعمال التي لولا هذه الإرادة لما استطاع أن ينجز عشرها. والإرادة القوية قد تدفع الإنسان أحياناً إلى القيام بأعمال خارقة...

إن إرادة المريض القوية هي التي تستطيع أن تعالج المرض الذي ينبغي أن يعالج بالدواء والعقاقير. ومعروف لدينا جميعاً بأن الاندفاع في عمل، والأمل في تحقيق التقدم، لهما آثار كبيرة وواضحة جداً. فلو كان ثمة اثنان يقومان بعمل واحد، أصاب أحدهما اليأس والقنوط والتردد فيما يقوم به، بينما واصل الثاني العمل بهمة ونشاط

وتطلع، فإننا نجد أن الأخير بإرادته وحماسه استطاع أن يتقدم، أما الآخر، فإن تردده جعله لا يفعل شيئاً، ولا يحقق فيه أي توفيق.

ولنفترض بأنكم لا تؤيدون أقوالنا الواضحة . . . واعتبرتم الله غافلاً عن عباده، ومعرضاً عنهم، فيكفي الاستخارة أنها تعمل على تقوية إرادة الذين يقعون فريسة التردد، حيث تبدل هذا التردد إلى عزم وحماس.

إننا نريد تشجيع المترددين، وتخليصهم من هذا التردد، أو حملهم على ترك ما يترددون بشأنه إلى آخر سواه، حتى لا يضيع وقتهم سدى، أو حثهم على التمسك به، حيث إن الله سيكون لهم عوناً في ذلك، وهذا هو أفضل تشجيع وأحسن وازع للتقدم. فرب العالمين هو الذي قوّى من عزيمة المؤمنين في صدر الإسلام، وجعلهم يتفوقون - بعددهم القليل - على الجموع الغفيرة.

تقول الآية [٦٦] من سورة الأنفال:

﴿يا أيُّها النبيُّ حرِّضِ المؤمنينَ على القتالِ إنْ يكُنْ منكُم عِشرونَ صابِرونَ يغْلِبوا مئتَيْنِ وإنْ يكنْ مئةٌ يغلِبوا ألفاً مِن الذينَ كَفروا. . .﴾.

إن هذا التشجيع هو الذي قوّى من عزيمة هؤلاء، وجعلهم ينتصرون على الكفار. فهل يصح أن يُترَكَ هؤلاء في حيرة من أمرهم حتى يصبحوا بتهاونهم وترددهم هذا عرضة للضياع والإعراض عما يسعون إليه، فلا يعودوا قادرين على مواصلة العمل، وحتى إن واصلوه فإنّهم يواصلونه بإرادة ضعيفة، وبعدم رغبة وحماس؟

☐ تخرصات المشاغبين:

إن هؤلاء المشاغبين الأغبياء لا يتخلون عن خداعهم، ويوحون للناس بأن الملالي تخلوا عن حكمة العقل، ويقومون بإنجاز جميع أعمالهم بالركون إلى الاستخارة.

لكن هؤلاء المساكين، يتناسون بأن الكتاب الذي ألفوه بالفارسية، ووزعوه بين

الناس، لا يستطيع أن يغير أفكارهم، لأن الذين لهم صلة بالملالي يعرفون متى يستعين هؤلاء بالاستخـارة؛ يعرفون بأن العقل هو الذي يكون معولاً عليه، وأن الناس عندما يتوجهون إلى الملالي ويسألونهم الاستخارة، فإن هؤلاء لا يقومون باللجوء إلى المسبحة بصورة عشوائية.

فالمريض ـ بحكم العقل ـ يحتاج إلى علاج، وإلى الرجوع إلى الطبيب، فإذا كان في البلد طبيب بارع واحد، فإن مراجعته لا تحتاج إلى استخارة، والناس لا يلجؤون إلى الملالي لهذا الغرض، كما أن الملالي لا يستعينون ـ في مثل هذه الأمور ـ بالاستخارة.

ولكن؛ عندما يكون هناك طبيبان لا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر، أو لا يمكن معرفة من منهما أبرع من الثاني ـ في مثل هذه الحالة ـ فإن رجل الدين يلجأ إلى الله ليستخيره، حتى يراجع أحدهما بثقة وطمأنينة. وهذا نوع من الاستخارة(1). وهي إما تكون بالركون إلى الله، أو بالاستعانة بالقرآن. والله سبحانه وتعالى لا يحرم هؤلاء من رحمته، ولا يغلق أبواب الرحمة في أوجههم.

ومثل هذا التطلع إلى الرحمة الإلٰهية يخلق قوة نفسية كبيرة في المريض، ويجعل الطبيب يقوم بالمعالجة بثقة، وهذه هي إحدى طرق العلاج التي أصبح علماء النفس ـ الآن؛ وبعد هذه الحقبة الطويلة من الزمن ـ يستخدمونها، فيما كنا نحن ـ بالاستعانة بنور النبوة ـ قد توصلنا إلى ذلك منذ ألف عام ونيف.

إذاً؛ فإن ادعـاءكم بأننـا بالاستخارة نستطيع القيام بشن هجوم على بريطانيا، ونجعل العالم تحت رايتنا، إنما هو لغو باطل لا يدانيه أي لغو آخر في العالم.

لقد قلتم متهكمين بأن موسوليني كان خيراً له أن يستعين بالمسبحة قبل أن يتورط

---

(1) هذا النوع من الاستخارة كهانة جديدة لم يأذن بها الله . . . والصواب أن يتوجه المسلم إلى الله دون واسطة.

في الحرب، ويمنى بذلك الاندحار، ويتحمل تلك الخسارات المادية والمعنوية. لكن هذا كلام تافه، فموسوليني الذي لم يكن ليجد نفسه كفءاً لأن يدخل ساحة الحرب . . . كان عليه أن يبتعد عنها بدون حاجة إلى استخارة، ذلك لأن العقل أرشده هنا إلى طريق الواقع، وهو حتى وإن كان يلجأ إلى الله ليستخيره في ذلك، فإن الله لم يكن ليأذن له بالتورط في مثل تلك الحرب المدمرة . . . ولا ندري؛ هل سأل هؤلاء موسوليني، فقال لهم بأنه أقدم على ما أقدم عليه بالاستخارة . . . حتى يقوموا بتوجيه الطعن إلى رجال الدين، أم أنهم يطلقون ذلك بصورة عشوائية.

أما ما قلتموه بشأن إحدى الفتيات لأحد الفتيان، والوصول إلى التوافق بشأن ذلك، ثم حدوث الانفصال بعد الاستخارة، وكذلك حول عثور أحدهم على بيت مناسب له، ورغبته في شرائه، ومن ثم الإقلاع عن ذلك بعد الاستخارة . . . فإنها من الأمور التي أوضحها هذا الحديث.

أما بشأن الزواج؛ فحيث إن الزوج لا يعرف شيئاً عن أهل الزوجة، ويقف أمام ذلك في حيرة وتردد . . . فإن رب العالمين هو الذي يمكن أن ينقذ الموقف في مثل هذه الظروف الخطيرة المحيرة.

أما قولكم بأن الله يعرف مدى الأضرار والمساوىء التي تنجم عن اللجوء إلى الاستخارة . . . فقد كان حري بكم أن تأتوا لنا بمثال واحد على حالة شجّع عليها رجال الدين ـ بعد الاستخارة ـ فعادت بالضرر والسوء؛ وإلا فإن قولكم هذا لا يعدو عن ادعاء باطل. فالقول الذي لا يسنده دليل، لا تكون له ثمة قيمة في سوق العلم والمعرفة.

والآن؛ فإن ذوي العلم والمعرفة يستطيعون من خلال مقارنة أقوال الجانبين أن يكتشفوا الحقيقة.

□ أخطاء وأكاذيب:

إن هؤلاء الحمقى نسبوا إلى رجال الدين أموراً أخرى، حتى يسيؤوا بذلك إلى

سمعتهم . فقد قالوا : ولو كان التنبؤ بالغيب مثل الأمور الأخرى مرتبطاً بالدين ، فإنه ليس مَن هو أقرب إلى الله سوى الأنبياء . إلا أن المعروف لدى الجميع ، بأن رسول الإسلام برأ نفسه من ذلك في مواضع عدة من القرآن .

أما إذا كان ذلك مرتبطاً بالعلم والطبيعة ، فإن الأوروبيين قد سبقوا الجميع في هذا المضمار ، ومع ذلك فإنهم لا يدعون مثل ادعاءاتكم .

ومع هذا ، فإننا نغض الطرف عن ذلك كله ، ونقول بأنه ليس هناك ثمة دليل أنصع من الواقع ، ونطلب منكم أن تدلونا على كل ما هو خارج عن قدرة الطبيعة ـ سواء أكان ذلك عندكم أو عند سواكم ـ حتى نؤمن نحن بذلك أيضاً ، وحتى يعرف العالم أي نوع من الرجال يوجد في إيران .

بوركتم على ما قمتم به من إفك وادعاء ، فأوردتم سطوراً لا يرتبط بعضها ببعض ، ولجأتم إلى الأكاذيب والمبالغات ، دون أن تفكروا بأن هناك من يحاسبكم ، وها نحن نسألكم و نسأل من لهم صلة بالعلماء ، مَن من هؤلاء العلماء ادعى لنفسه معرفة الغيب أو الإتيان بالمعجزة والكرامات ؟ .

لقد رأيتم أن الاستخارة ليست سعياً وراء الغيب ، بل هي تشبث بالدعاء لكي يأتي الله بالخير لمن يطلبه منه ، أو هي محاولة للخلاص من القلق والتشتت ، فمن قال ، وأين قال بأننا نقول الغيب ونملك أسرار العالمين؟

أجل ؛ لربما يوجد في طهران أفاك يستغل بساطة الناس ، ويدّعي بأنه رمّال وقارىء للغيب وماسك للجن . ولكن ؛ فلتذهبوا إليه وتختبروه ، فإن وجدتموه ينتمي إلى الملالي ، وله ما للعلماء من دراية ، فآنذاك يحق لكم أن تنسبوا ذلك إلينا .

اذهبوا إلى هؤلاء المحتالين يوماً لتروا ؛ هل العلماء الذين يترددون على هؤلاء ليكتسبوا منهم العلم والمعرفة ويسألونهم أن يكشفوا لهم بالرمل ، والاستخارة عن الغيب ، أم الذين يترددون عليهم لا علاقة ولا شأن لهم بالعلماء؟

لو كان للرمالين وقارئي الحظ والغيب سجلاً يدونون فيه أسماء من يراجعونهم، لاتضحت هويات الذين يراجعون هؤلاء، ولتبين هل هؤلاء من العلماء والمتدينين أم من أمثالكم من السائبين؟

إن العلماء يحرمون القضايا المتعلقة بالفأل والتكهن بالغيب، والإمساك بالجن، ومؤلفاتهم خير دليل على ذلك[1].

إن كنتم صادقين دلّونا على من يقوم بمثل هذه الأعمال باسم العلماء، ما ذنبنا نحن إن كنتم تتلون قصيدة لأحد الدراويش، فتنسبون إلى رجال الدين قولهم بأنهم تعلموا أسرار الكون؟

ما ذنب الملالي المساكين الذين يعارضون مثل هذه التفاهات؟ وما دمتم مصممين على نسبة التفاهات إلى الملالي، فلماذا لا تقولون بأن هؤلاء أجبروا النسوة بالقوة على السفور، وأنهم أقاموا المسابح وما إلى ذلك من أمثال هذه الأباطيل؟

إن رجال الدين يشجعون التدين، ويقفون ضد التحلل، ومن هنا فإنهم لا يكذبون على الناس طوال حياتهم، ولا يتهمون أحداً، لأن ذلك من أسوإ الخطايا، والله هو الذي يمسك بألسنتهم وأقلامهم، إنهم تماماً على العكس من أولئك المتحللين الذين لا يتورعون عن أي شيء، فلا ضير عندهم من أن يلصقوا مختلف الأكاذيب والاتهامات بفئة من أعضاء المجتمع البشري، وهو عمل لا يقوم به سوى المتحللين الذين لا دين لهم، ولا يحاربه إلا الأنبياء والأئمة والعلماء.

إنكم تقولون بأن الأنبياء لم يتنبؤوا بالغيب، ولم يأتوا بعمل ضد المبادىء وضد الطبيعة، وأن الأوروبيين كذلك لم يدّعوا ذلك أيضاً، وقد أوضحنا من قبل بأن الأنبياء ـ كما يصرح القرآن بذلك ـ كانوا يتنبؤون بالغيب، ويقومون بأعمال خارقة[2]. وأنتم إما لم

---

(١) يراجع في هذا الشأن «المكاسب المحرمة»، وهو من كتب الفقه. (خ).

(٢) هذه أقوال تصادم كثيراً من النصوص القرآنية، كقوله تعالى: ﴿ولو كنتُ أعلم الغيب لاستكثرت من =

تتلوا القرآن، أو تلوتموه وتكذّبون ما جاء فيه، حيث إنكم تقولون بصريح العبارة وبلا استحياء؛ بأن من يدعي القيام بعمل يخرج عن قدرة البشر، إنما هو كاذب، وإنه أشد بأساً من المحتالين وقطاع الطرق، وينبغي أن يعدم.

ويموجب قولكم هذا، فينبغي اعتبار موسى وعيسى بن مريم ومحمد بن عبد الله ﷺ كذابين وأفاقين وقطاع طرق، بل والقيام بإعدامهم على مرأى من الجماهير . . . حتى يكون كلامكم أنتم الزرادشتيون والمجوسيون عبدة النار . . . صحيحاً.

إن الأوروبيين استطاعوا ـ كذلك ـ أن يجدوا طريقاً إلى عالم الغيب، وإنهم أصبحوا عن طريق التنويم المغناطيسي يتنبؤون بالغيب، كما أن علماء الروح في كل من إنكلترا وألمانيا وأمريكا وفرنسا وروسيا قد جاوزوا ـ في ذلك ـ حد القول إلى الوجدان والإحساس . . . وجهلكم بذلك يدل على أنكم في معلوماتكم أقل شأناً من صغار التلاميذ. إذ حتى تلامذة الصفوف الرابعة والخامسة يعلمون بأن الأوروبيين اكتشفوا الكثير من الحقائق عن طريق التنويم، وأنهم يؤمنون بتحضير الأرواح، وبالكشف عن الغيبيات.

□ أجوبة صبيانية:

من إبداعات هؤلاء المتحللين قيامهم باختلاق مسائل وإلصاقها بالمتدينين، ومن ثم يضعون لذلك إجابات يوهمون بها الناس، بأن هذه المسائل ليست لها أجوبة صحيحة، بل إنها عقد لا حل لها، ولا يهمهم أن يأتي يوماً أحد المتدينين، ويفضح

= الخير﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقوله: ﴿فقُل إنما الغيبُ لله فانتظروا إني معكُم من المنتظرين﴾ [يونس: ٢٠].

ولكن الله يطلع من يرتضي من رسله على بعض الغيب، ولكن ذلك لا يعني أن الأنبياء كانوا يتنبؤون بالغيب؛ كما زعم الخميني، الذي أقر قبل وريقات أن هذه الأمور ليست بأمر الرسل، وهنا يزعم أن أفعال الرسل الخارقة قاموا بها أنفسهم!!

تالله إنها لإحدى الكبر أن يجتمع النقيضان في عقل الخميني!

تمويهاتهم، ويريق بذلك ماء وجوههم.

إن هؤلاء من السطحية والجهالة ما يجعلهم يقولون ما لا يقوله صبي صغير، وهم ينسجون من الأكاذيب ما يأنف منه الأشقياء، ومع ذلك كله، فإنهم يعتبرون أنفسهم مصلحين، ويصفون ما يقومون به بأنه عبادة لله وخدمة للبشر.

والقراء المحترمون من مثقفين وجامعيين وطلاب ممن اطلعوا على أقوالهم، وأجوبتنا، يستطيعون أن يميزوا درجة معلوماتهم، ومدى صدقهم في الإيمان بالله، لا سيما من خلال الردود التسعة التي وضعوها على حديثنا الأول، ثم نسبوا ذلك إلى المتدينين.

فقد قال كاتب الرد: «١ ـ يقولون بأنه خير من هذه الأقاويل أن تفكروا في توفير مواد المعيشة للناس . . .».

إن هذا الكاتب الخائن يختلق هذا الادعاء الكاذب، ليظهر عجز المتدينين عن الإجابة. لكن من يعرف هوية هذا الكاتب، يعلم بأن اهتمامه بمسألة توفير مواد المعيشة مثل اهتمام الدلاك بتأسيس كلية للطب أو إقامة علاقات سياسية بين دول أوروبا وآسيا. إن المتدينين لا يقولون قط: اهتموا بمواد المعيشة، بل إنهم يقولون: اهتموا بالشرف والعرض.

ثم يقول: «وهم يقولون: ٢ ـ إن هذه الأقوال تسبب الفرقة. و٣ ـ إن هذه الأقوال تستهدف الشهرة. و ٤ ـ إنها من تحريضات الأجانب».

ونقول نحن: إنكم تروجون ذلك لأهداف خسيسة، لأن وراء ذلك أهدافكم، لأنكم أصغر من أن تستطيعوا إيجاد الفرقة.

أما قوله بأن ذلك من تحريضات الأجنبي . . . فهو كذب محض أيضاً، لأنه بذلك إنما يريد أن يحرض الأجنبي فعلاً، متناسياً بأنه ومن معه أتفه من أن يأخذهم أحد بنظر الاعتبار.

ثم يقول: «وهم يقولون: ٥ ـ وكيف أن العلماء لا يفهمون وأنتم الفاهمون؟ و ٦ ـ فلنفرض أن ذلك كان خطأ فما هو البديل؟».

ومع أن هذه الأقوال ليست للمتدينين، لكنها من حيث الموازين العلمية أجوبة مسكتة لا تستطيعون أنتم إدراك أبعادها، ولو تمعنا في الرد الخامس بإنصاف لوجدناه ردّاً صائباً وصحيحاً. ولتوضيح هذه المسألة نورد المثال التالي:

يوجد في إيران وأوروبا وأمريكا وألمانيا وسائر البلدان مئات الآلاف من الأطباء، معظمهم أمضى عمره في مجالات الطب وفروعه، وقدم للمجتمع مؤلفات ضمّنها خبراته الطبية. وهؤلاء الأطباء يتفقون في الرأي بشأن العشرات من القضايا الطبية، ولهم وجهات نظر معينة فيها. لكن بين هؤلاء يوجد ثمة من كان عاملاً في الحمام ثم أصبح بائعاً متجولاً، ثم مارس العطارة حيناً من الدهر، ثم أسعفته الظروف أن يملأ أوراقاً وينشرها بين الناس، جاءت مملوءة بالأخطاء، ومثل هذا الشخص ينشر في إحدى الصحف الرسمية أفكاراً طبية مخالفة لأفكار الأطباء المذكورين، متهماً إياهم بالخطإ، فماذا تقولون عن مثل هذا الشخص؟

منذ صدور الإسلام وحتى الآن ظهر أكثر من عشرة ملايين مجتهد ومتخصص في العلوم الدينية، وبضعة ملايين مجتهد ومتخصص في العلوم المذكورة، ومئات الملايين من المتدينين، ولجميع هؤلاء أقوال وأفكار في الدين وفي شعائره؛ لكن ثمة شاب يظهر إلى الوجود فجأة، كان حيناً بائعاً للسجائر وعاملاً عند أحد الصحافيين، ثم ارتقى المنبر حيناً من أجل الارتزاق، وقد عرف الجميع مستوى معلوماته، مثل هذا الشخص يقوم بتخطئة علماء الإسلام، ويقول: إن جميع المتدينين مشركون، وإنه وحده الذي يسلك طريق الإسلام الصحيح، ووحده تفهّم معنى الإسلام، وإن ما لديه من علم يفوق ما لدى الملالي الذين عرف الناس فيهم تقواهم وعلمهم ومعرفتهم، ثم يقول بأنه يعمل ما يعمل في سبيل الله وحده، وأنه ليس له من غاية سوى عبادة الله. ونحن نزن هذا الكلام بميزان العقل ونحتكم بشأنه إلى الله، آخذين بنظر الاعتبار هوية الكاتب وعمله.

ثم يقول بعد ذلك: «يقولون إن عقل البشر غير مكتمل، ومن هنا فإن ثمة أدياناً كثيرة وجدت ـ وما زالت موجودة ـ في العالم». ثم يورد تفصيلات مسهبة، ويقدم ثمة إجابات يمكن الاطلاع عليها في الكتاب.

إن هذا الأحمق، يتصور أن المتدينين وضعوا العقل تحت الأقدام، ولم يعيروه أي اهتمام، وهذا نابع من جهلهم وعدم اطلاعهم، أفلم يؤلف المتدينون كتباً في الفلسفة والكلام مسترشدين في ذلك بنور العقل؟ أفلم يعتبر كبار رجال الدين العقل واحداً من المراجع التي يستندون إليها في الفقه؟

وأنتم تعلمون بأن المسائل الفلسفية ومعظم قضايا الكلام والأصول تستند على العقل، وهذا كله يعود إلى رجال الدين، ممن يقومون بالبحث في هذه الأمور، لكنهم عن تعمد وعداء، أو عن حماقة وغباء، يلصقون بنا مثل هذه الأكاذيب والاتهامات. فماذا نعمل؟ حتى الأنبياء لم يستطيعوا أن يهدوا أمثالهم إلى سبيل الرشاد.

إن المتدينين يختلفون عنكم في شيء واحد؛ إنهم يقولون: إننا بالعقل عرفنا الله، وبالعقل وجدنا الرسول والقرآن، وعندما لا يستطيع العقل أن يميز بين الصالح والطالح، فإننا نرجع إلى رسول الله وإلى القرآن، ونذعن لهما، ونتقبل كل شيء منهما.

إن المتدينين يقولون: إننا بالبرهان أدركنا الحياة الأبدية للروح، والحي ينشد متطلبات الحياة، ويرى السعادة والشقاء خلال ذلك، ونحن لا نعرف شيئاً عن متطلبات الحياة الأخرى، ولم ندرك خصائص عالم الغيب. ورب العالمين الذي يملك بين يديه أسرار العالم، أرسل رسله ليعلموا البشر متطلبات الحياة، وينقلونها إلينا.

إنكم تقولون بأن العالم ليس سوى هذا العالم المادي، وأن الأرواح لا تبعث في العالم الآخر أو لا تعيش هناك، ولا تحتاج إلى متطلبات الحياة. أو تقولون بأنكم تعلمون بالغيب، وتختارون ما تشاؤون، ولكن رجال الدين يستندون إلى العقل والقرآن ليثبتوا لكم خطأكم.

إننا نقول بأننا لا نتقبل ما ينسب إلى الله أو رسوله؛ لكونه متنافراً مع البرهان العقلي، وهذا أمر مدوّن في كتبنا، لكنكم لم تطلعوا على ذلك، فالعيب إذاً هو تدخل إنسان أهوج غير مثقف في أمور الدين القائم على أسس من العقل والمعرفة.

أما ما تروجونه بشأن زيارة الحجر في مشهد، وإلصاق مخلوقين أحدهما بالآخر، فإن ذلك يدل على سخفكم، إن الملالي هم آخر من يصدقون مثل هذه الأمور، وإنكم وحدكم الخرافيون الذين تؤمنون بمثل هذه الأباطيل، لأنكم بعيدين عن الملالي، نتحداكم أن تدلونا على واحد من الملالي يؤمن بمثل هذه الأمور أو يروجها بين من يحيطون به.

لقد قلتم قولاً يدل على غبائكم وجهلكم إذ ذكرتم بأن جميع المعجزات هي مثل هذه الأمور كذلك، وكلامكم هذا، الدال على الغباء، يعني أن ننكر القرآن، وجميع الكتب السماوية، وأن نكذب رب العالمين.

إن القرآن يتحدث عن معجزات الكثير من الأنبياء، إذاً فلو كانت زيارة الحجر شيئاً كاذباً، فإن انقلاب عصا موسى إلى حية تسعى، وإعادة الروح من قبل المسيح بعد الوفاة هما أمران كاذبان أيضاً[1]. إن ذلك دليل على انتقاص في عقلكم، مع أنكم تدعون بأن العقل لا يمكن أن يكون منتقصاً.

◻ إلصاق الأكاذيب والاتهامات بالمتدينين:

والكاتب بعد هذا كله يلصق كذبة أخرى بالمتدينين فيقول: «ويقولون إن مثل هذه الخرافات موجودة في جميع أنحاء العالم، دون أن يحدث فيها ضرراً، فلماذا إذاً نزعج الآخرين، كما أنهم يقولون بأن الخرافات خير من التسيب».

إنه بهذه الأكاذيب يريد أن يقول للناس بأن المتدينين أنفسهم يعترفون بخرافية مثل هذه الأمور؛ ولكن ينبغي أن نسأل هنا: أي متدين يقول لكم بأن معجزات الأنبياء

---

(١) لا يزال الخميني يخلط بين معجزات الرسل الثابتة بالتواتر، وغيرها من الادعاءات!

التي ورد ذكرها في القرآن بصراحة . . أنها من قبيل الخرافات.

إن الكاتب يثير من جديد مسألة الشرك، ومعاداة القرآن للمشركين، وقد تبين خطأ ذلك، وإنه يلقي على عاتق التدين مسألة تأخر الشرق عن الغرب، مع العلم بأنه قد ثبت بأن تقدم المسلمين في البدايات الأولى كان سببه التدين وليس التحلل. أما الأمثلة التي أوردها فهي كأقاويله الأخرى، لا تتعلق بالملالي، بل إن ما له علاقة بهم، هو بعيد عن كل ما ذكر.

ونحن لا نرى ثمة موجباً لإطالة التعقيب على الحديث الأول إلى أبعد من هذا الحد، والعقلاء الذين اطلعوا على إجاباتنا هم الذين يحكمون على ذلك، ويتبينون سوء نوايا هؤلاء، ورغبتهم في إثارة الفتن، وهم الذين عليهم أن يلقموا هؤلاء الأغبياء حجراً، ويسحقون رؤوسهم تحت أقدام الشهامة.

ونحن نتوقع من دولة الإسلام أن تحول دون نشر مثل هذه المطبوعات المعادية للدين، وأن تعدم هؤلاء الأفاكين على مشهد من المتدينين، وتخلص العالم من هؤلاء المفسدين في الأرض، حتى لا يفكر الآخرون في إضرام نار الفتنة، وبث الفرقة، ولا يمدوا يد الخيانة إلى مقدسات الدين.

الحديث الثاني:

في الإمامـــــة . .

■ السؤال الثالث والرد عليه:

«لئن كانت الإمامة الأصل الرابع من أصول الدين، ولئن يقل المفسرون بأن معظم آيات القرآن تثبت الإمامة . . . فلماذا لم يشر الله في قرآنه بصراحة إلى هذا الأصل المهم حتى لا يحدث مثل هذا النزاع حول ذلك؟

إن هؤلاء الحمقى يضعون أنفسهم أحياناً في مصاف الأنبياء، فيقولون بأن العقل هو مبعوث مقرب إلى الله، وأنه بالنسبة للإنسان العين الباصرة التي لا تسمح له أن يخطو بدون إيعاز منها، وتصل بهم الحماقة إلى حد يجعلهم يظهرون التشكك في أوضح ما يمكن أن يمليه العقل . . . أو ينكرون ذلك إنكاراً تاماً».

وقبل الرد على ذلك نجد أنفسنا ملزمين بإلقاء نظرة شاملة على مسألة الإمامة، ونحتكم إلى العقل[1]؛ لنرى: هل هذا العقل الذي هو المبعوث المقرب إلى الله يعتبر الإمامة إحدى أصول الدين ويرى أنه كان على الله الذي تنهض أعماله على العقل أن

---

(1) يطالب الخميني هنا بالاحتكام إلى العقل الذي هو المبعوث المقرب إلى الله ـ على حد زعمه ـ بدلاً من الاحتكام إلى الكتاب والسنة، لأنه يعلم يقيناً أن الكتاب والسنة ينقضان عرى هذا الأصل الرابع في الدين الشيعي.

وننصح قراء هذا الفصل بالاطلاع على: «الإمامة عند الجعفرية في ضوء القرآن»، و«الإمامة عند الجعفرية في ضوء السنة»، وكلاهما للدكتور علي أحمد السالوس.

يشير إلى هذا الأصل؟

إننا جميعاً نعرف بأن البشر في ذلك الحين كان يرى عظمته ومفخرته في أن يكون له معبد أفخم من المعابد الأخرى، وأن تكون أصنامه أكبر، وأن تكون مصوغاته من فلزات أغلى ثمناً.

أما أولئك الذين كان إلههم من الذهب وأكثر طولاً وعرضاً من الأصنام الأخرى . . . كان اعتزازهم وتفاخرهم أكثر من الآخرين، حتى في الحروب كانت الآلهة تحمل في عربات كبيرة، وقد قام أهل مكة بنقل وثنهم (هبل) معهم في حربهم مع المسلمين.

في هذا اليوم بعث الله رسوله، فكانت دعوته الأولى إلى البشر، تحطيم هذه الأوثان التي صنعوها بأيديهم، وتوحيد الله رب العالمين: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا».

وشيئاً فشيئاً جاء للبشر بالقوانين السماوية القائمة على العقل[1]، ومحا أفكارهم وآراءهم الجاهلية، وأقام حكومة عادلة تستند على قوانين السماء، واستطاع بعد عشرين ونيف من الأعوام أمضاها في مسعى حثيث، وفي أقوال منطقية، وسيرة وأفعال عادلة، وأخلاق حميدة . . أن يقيم تشكيلات أساسية قائمة على العدالة والتوحيد.

وتعلمون بأن نبي الإسلام لم يكفّ حتى آخر يوم من حياته عن الدعوة لتوحيد الله، وتوحيد الكلمة والرأي والمعتقد، إلى أن تثبتت دعائم الدين ومبادىء المدينة الفاضلة.

ونحن نسأل الآن عقلاء العالم وقادة البلدان: هل بقاء هذه الأسس الثابتة والمبادىء السماوية الكبرى يعتبر عند ذوي العقل والحكمة من الأمور المهمة، أم ينبغي أن يقابل بفتور وعدم اكتراث؟

إن وجود هذا الأمر أو عدم وجوده عند هذا الكاتب . . سيان، لا فرق لديه إن عاد

---

(١) الرسالات السماوية قائمة على النقل، والعقل وسيلة لفهم النصوص، وليس حاكماً عليها.

الناس إلى التمرد على الدين أو صاروا متدينين، وفي هذه الحالة يستطيع العلماء أن يهبوا معترضين، وأن يقولوا لله العليم لو كان وجود هذه الحكومة والمبادىء وعدم وجودها . . سيان، فلماذا بعثت بالرسول إذاً وأنزلت كتابك المجيد؟

إن الله منزه بالطبع عن الاستهانة بالعدل والتوحيد. ومن هنا فإن عليه أن يضع أسساً لثبات هذه المبادىء من بعد النبي، حتى لا يترك الناس حائرين في أمرهم، وحتى لا يجعلهم يقعون فريسة حفنة من الانتهازيين المتربصين[1].

والنبي الذي أوجد أحكاماً إلٰهية وسماوية لأمور تتعلق بالاختلاء بالمرأة ورضاعة الطفل، والذهاب إلى المرافق، ولم يترك كبيرة وصغيرة إلا وعين لها تكليفاً خاصًّا . . إن لم يقل شيئاً بشأن مسألة ذات صلة ببقاء أسس الدعوة والنبوة، وثبات دعائم التوحيد والعدالة، وترك الدين والمبادىء الإلٰهية لعبة في أيدي حفنة من القراصنة الوقحين . . . فإنه سيكون هدفاً لاعتراض علماء العالم، وانتقادهم، وسوف لا يُعترَف بنبوته وعدله.

إن نبيًّا يقول بموت الإنسان بدون ترك وصية يكون كمن يدعو إلى أن يموت الإنسان كما كان يموت على عهد الجاهلية، أي أن يموت كافراً، والنبي الذي يعمل بقول الله لا يمكن أن ينظر إليه بتقدير واحترام. إننا نعبد إلٰهاً تقوم أعماله على أساس من الحكمة ولا يعمل ما يناقض العقل.

إننا لا نعبد إلٰهاً يقيم بناء شامخاً للعبادة والعدالة والتدين، ثم يقوم بهدمه بنفسه، ويُجلِسُ يزيداً ومعاوية وعثمان وسواهم من العتاة في مواقع الإمارة على الناس، ولا يقوم

---

(١) بهذه السفاهة يصف الخميني جيل الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، فتارة هم انتهازيون، وأخرى عتاة، وثالثة حفنة من الطامعين.

ولا يشك العقلاء أن هؤلاء هم نقلة الرسالة، وحملة الأمانة بعد النبي ﷺ، فمن طعن فيهم فقد طعن في الإسلام . . .

ولكن الخميني وشيعته بالطعن أولى وأحرى، لأنهم أظهروا البدعة وعقدوا لواء الفتنة.

بتقرير مصير الأمة بعد وفاة نبيه.

لو أراد رئيس دائرة تضم خمسين موظفاً أو رب عائلة تضم عشرة أفراد . . . أن يسافر لفترة من الزمن، فإنه لا يسيِّب معمله، ولا يترك عائلته بدون من يتولى أمورها.

فالنبي الذي أوجد آلاف القوانين السماوية الكبرى، وجاء بالتعاليم الإلٰهية، وأقام نظاماً حكيماً وحكومة ربانية عادلة، فهل يرى العقل أن يقوم بما من شأنه أن يثبت أساس التوحيد والعدالة من بعد رحيله أم أن يترك مبادئه في أيدي حفنة معروفة تقوم بعد وفاته بالتناطح من أجل الرئاسة والحكم، وأن يتخلى عن هداية أمة عمل من أجلها عشرين عاماً ونيفاً، وأنزل الله عليه آيته الكريمة: ﴿إنَّما أنتَ منذرٌ ولكُلِّ قومٍ هادٍ﴾، وأن يترك أولئك الذين كانوا بأمس حاجة إلى نصٍّ يحدد لهم مصيرهم بعد رحيل النبي . . . في حيرة من أمرهم؟ فبماذا تحكم عقولكم وعقول الحكماء؟

إن العقل؛ ذلك المبعوث المقرب من لدن الله؛ الذي يعدُّ بالنسبة للإنسان بمثابة عين ساهرة، لا يستطيع أن يحكم بشيء، إما أن يقول بأنه لا حاجة لوجود الله ورسوله، وأن الأفضل أن يكون التصرف في ضوء العقل، أو أن يقول بأن الإمامة أمر مسلَّم به في الإسلام، أمر به الله نفسه، سواء جاء ذكر ذلك في القرآن أم لم يجيء[1]

□ شواهد من القرآن على الإمامة:

هؤلاء الأفاقون كأنهم جاؤوا توًّا من الصحراء الإفريقية، وليست لهم أدنى معرفة بأصول الإسلام وفروعه، ولا علم لهم بما بذله تاريخ الإسلام ونبي الإسلام من أجل الإمامة. فالبحث في أمور الإمامة بحر لا نهاية له، ولو أردنا ذكر أسماء الكتب التي أُلِّفت في الإمامة منذ صدر الإسلام حتى الآن لأخذ ذلك منا مجلداً كاملاً، والعلامة المعروف (آغا بزركك طهراني) وحده ألف كتاباً يقع في مائة مجلد ومجلدين حول لفظة الإمامة، أطلق عليه اسم «الذريعة». كما أن الكتب التي ألفت في هذا الموضوع بعد وفاة النبي

---

(١) هب أن العقل سلَّم لك بذلك، فهل الذي يشغل هذا المكان يعين أيضاً بالعقل أم بالنقل؟!

وحتى الآن وبأقلام الشيعة والسنة . . . أكثر من أن يحصرها عدد. وستورد فيما بعد أسماء البعض منها، حتى لا يمد هؤلاء الحمقى أرجلهم إلى أبعد من بسطهم.

ونورد الآن بعض الآيات التي نزلت حول مسألة الإمامة، ونطلب التحكيم من العقل الذي هو هبة الله.

آية أولي الأمر في الإمامة: تقول الآية [٦٢] من سورة النساء:

﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا أطيعوا الله وأَطيعوا الرسولَ وأُولي الأمرِ منكُم﴾.

إن الله تعالى بشّر في هذه الآية بتشكيل حكومة الإسلام، وأوضح بأنه لم يدَعْ لإطاعة غير الثلاثة الذين ورد ذكرهم في الآية. فإطاعة أولي الأمر تعني إطاعة حكومة الإسلام، وعلينا أن نعرف الآن من هم «أولو الأمر» هؤلاء؟ وأي نوع من الأشخاص هم؟

بعضهم يقول: إنهم ملوك وأمراء حتّم الله على الناس طاعتهم واتباعهم، وقد كان مصطفى كمال رئيس الجمهورية التركية، ورضا خان ـ شاه إيران ـ يعتبران ضمن «أولي الأمر»، وكانت طاعتهما واجبة، كما أن أبناء السنة كانوا يفعلون الشيء نفسه مع خلفاء الإسلام، مثل معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، والخلفاء الأمويين والعباسيين الآخرين.

والآن؛ نسأل العقل الذي هو هبة الله: هل الله الذي بعث رسول الإسلام محملاً إياه بآلاف الأحكام السماوية، وجعله يقوم بوضع أسس حكمه على التوحيد والعدالة، وأمر الناس بأمور، ونهاها عن أمور . . هذا الإله الذي ثبّت أسس العدل في العالم على دعائم من تضحيات المسلمين، وحارب الظلم والفسق . . هذا الإله؛ هل تراه يأمر بإطاعة أتاتورك الذي يقول بأن الدين ليست له سمة رسمية في البلاد، والذي يعرف الجميع ما فعله برجال الدين، وما أنزله بمواطنيه من ظلم وجور، وما أشاعه في تركيا من فسق وفجور؟ أم تراه يأمر بإطاعة بهلوي الذي يعرف الجميع ما قام به من أجل استئصال جذور الدين الإسلامي؟

مثل هذا الإله الذي يقيم العدل بيده ثم يأمر بهدمه لا يقبل به أحد إلهاً عادلاً . . . ومقام الألوهية منزه من مثل هذه الأباطيل.

أما قولكم بأنه لم يكن له علم بما يفعله هؤلاء الطغاة، وكان يتصور بأنهم يتبعون تعاليمه . . . فإنه قول لا يقره العقل. فالإله الذي لا يعرف عباده لا نعترف به إلهاً.

أم أنكم تقولون إن الملوك والأمراء ليسوا هم (أولي الأمر)؟

إن نظرة إلى الخلفاء والرجوع إلى كتب الحديث والتاريخ الخاصة بأهل السنة توضحان هذا الأمر.

إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين وما قاما به من مخالفات[1] للقرآن، ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللاه وحرماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي ﷺ وضد أولاده، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين[2]:

فقد قام أبو بكر بقطع اليد اليسرى لأحد اللصوص، وأحرق شخصاً آخر؛ مع أن

---

(١) يراجع في ذلك كتاب «الفصول المهمة»، وكتاب «شرح التجريد» (خ).

(٢) بدأ قلم الخميني ينفث سمومه، فأظهر الله أضغانه . . . ليعلم المغفلون أن الحقد الباطني على الشيخين أبي بكر وعمر لا يزال مستمراً منذ عهد مؤسس الباطنية الأولى عبد الله بن سبأ اليهودي، وإلى عهد الخميني.

إن الخميني وشيعته ينعتان أبا بكر وعمر بصنمي قريش، وهناك دعاء بلعنهما، وقد نشر في كتاب «تحفة العوام مقبول» باللغة الأوردية، (ص٤٢٢)، وعليه تواقيع (آيات الشيعة)؛ ومنهم الخميني.

وبدايته: «اللهم العن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وأفكيها وابنتيهما؛ الذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرفا كتابك . . .».

وقد حاول بعض الشيعة إنكار هذا الدعاء، لكننا نقول: إن آغا بزركك الطهراني في كتابه «الذريعة» (٨ / ١٩٢) ذكره، وقال: «إن شروحه بلغت إلى العشرة».

وهذا الكتاب مدحه الخميني (ص١٠٦).

وليعلم القارىء أن من استحل لعن الشيخين أو غيرهما من الصحابة فهو كافر حلال الدم.

ذلك كان حراماً . . . وكان يجهل أحكام القاصرين، والإرث، ولم يطبق أحكام الله في خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة وأخذ زوجته في تلك الليلة نفسها.

أما عمر؛ فإن أعماله أكثر من أن تعد وتحصى، فقد أمر برجم امرأة حامل، وأخرى مجنونة، مع أن أمير المؤمنين نهاه عن ذلك، وأخطأ مرة فيما يخص أحكام المهر، فصححت إحدى النسوة ـ من خلف الحجب ـ خطأه، فقال عمر في ذلك: جميع الناس يعرفون أحكام الله خيراً مني، حتى النسوة الكائنات خلف الحجب. وخالف تعاليم الله والنبي، فحرم متعة الحج والنساء، وأحرق باب بيت الرسول.

أما عثمان ومعاوية ويزيد، فإن الجميع يعرفونهم جيداً.

هؤلاء يقولون: إن الله أوجب طاعة معاوية ويزيد، أي: إنه ينبغي اعتبار المجازر التي قام بها معاوية، وقتل يزيد للحسين بن علي، وإقامته المذابح في المدينة . . فهل ينبغي اعتبار ذلك كله أحكاماً إلهية، كما ينبغي اعتبار من عارض قتل الحسين بن علي . . . معارضاً للإله؟

فما الذي يقوله العقل الذي هو هبة الله . . . في ذلك؟ هل هؤلاء هم أولو الأمر؟ هل يمكن التحدث عن الله الحكيم من خلال هذه الأعمال الغوغائية والجائرة؟ . . أم القول بأن الإمامة هي من إحدى الأصول المؤكدة التي أورد الله ذكرها في القرآن، وأن مثل هؤلاء الأفراد الجهال الحمقى والأفاقون والجائرون غير جديرين بأن يكونوا في موقع الإمامة، وأن يكونوا ضمن (أولي الأمر) . . .

ولو تجاوزنا ذلك كله؛ فقد جاء في كتاب الله وفي أحاديث النبي أن كشف الحجاب عن المرأة، والتصرف بالأوقاف حرام. فإذا ما أمر الملك أو الخليفة الناس أن يفعلوا ذلك، فهل عليهم أن يطيعوا؟

لقد أمر الله بإطاعه أوامره وأوامر النبي، إنهم يقولون بأنه ينبغي الإحجام وعدم التصرف بالموقوفات، وإطاعة أوامر الملك في الوقت ذاته والتصرف بالموقوفات . . .

فيا لهؤلاء الأفاقين الذين ينسبون إلى الرب العادل مثل هذه الأباطيل!!

هنا . . . العقل الذي هو هبة الله لا يقول بأن أولي الأمر ينبغي بأن لا يكونوا قد قاموا طوال عمرهم بأي عمل يخالف أوامر الله والنبي ، وأن يكون حكم الواحد منهم نفس الحكم الإلهي الذي كان للنبي[1]. وهكذا؛ وبمقارنة هذه الأمور الثلاثة ، يتضح أنها جميعاً تنبع من معين واحد .

□ أقوال الشيعة حول الإمامة :

بعد وفاة النبي اختلف الشيعة[2] مع أهل السنة حول هذين الموضوعين .

في الأيام الأولى قام كبار صحابة النبي ؛ من المعروفين بالنزاهة وطهارة الدين ، مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والحسن ، والحسين ، وسلمان الفارسي ، وأبي ذر ، والمقداد ، وعمار ، والعباس ، وابن العباس[3] برفع راية المعارضة ، وأرادوا تنفيذ أوامر الله والنبي بشأن أولي الأمر ، إلا أن التكتلات التي ظهرت بظهور البشر ، وعرقلت أحكام عقلاء القوم ، والأطماع والأهواء التي سحقت الحق والحقيقة في جميع الأزمنة . . . فعلت فعلها في هذا المجال .

ويشهد التاريخ بأنه فيما كان هؤلاء منشغلين بدفن الرسول ، فإن اجتماع السقيفة اختار أبا بكر للحكم ، فتم بذلك وضع الأساس بشكل خاطىء .

بعد المرحلة الأولى من الإسلام ، استمر الحوار بين الجماعتين ؛ الشيعة الذين

---

(١) يرى الخميني أن أولي الأمر يجب أن يكونوا معصومين ، وهذا ما تنقضه الآية التي استدل بها ، والتي لم يفرد الله فيها طاعة أولي الأمر استقلالاً عن طاعة الله ورسوله ، وذلك لأنهم غير معصومين كالنبي ، فإن أصابوا أطعناهم ، وإلا قومناهم ، فطاعتهم تبعاً .

(٢) وهل كانت شيعة بعد وفاة النبي مباشرة؟!

(٣) هكذا يطعن الشيعة في الصحابة كلهم إلا ثلاثة ، وهم : سلمان ، وأبو ذر ، والمقداد . انظر «رجال الكشي» (ص١٥) .

هم من أتباع علي يقولون بأن الله هو الذي يجب أن يعيّن الإمامة، وفي ضوء أحكام العقل فإن الخلفاء والسلاطين ليسوا جديرين بذلك، وإن عليًّا وأولاده المعصومين الذين هم أولو الأمر لم يقولوا قولاً مخالفاً لأقوال الله. وهذا أيضاً يتم بتعيين من نبي الإسلام، وسنرى فيما بعد ونثبت بأن النبي قد عين الإمام من بعده . . . وهو علي بن أبي طالب.

□ لماذا لم يذكر القرآن اسم الإمام صراحة؟

بعد أن اتضح في ضوء حكم العقل وأحكام القرآن، بأن الإمامة هي إحدى الأصول الأكيدة للإسلام، وأن الله قد أشار إلى هذا الأصل في مواضع متعددة من القرآن[1]؛ نوضح الآن لماذا لم يذكر الله في قرآنه اسم الإمامة بصراحة، حتى يزول الالتباس حول ذلك، والتوضيح يتضمن النقاط التالية:

١ ـ إن المشكلة بالنسبة لكم هي أن المتدينين بإمكانهم القول بأن الإمامة إن كانت موجودة فلماذا لم يشر الله إلى ذلك في كتابه، حتى تزول الخلافات بين المسلمين حول ذلك؟ كان من الخير أن يُنْزِل آية تؤكد كون علي بن أبي طالب وأولاده أئمة من بعد النبي، إذ إن ذلك كان كفيلاً بعدم ظهور أي خلاف حول هذه المسألة.

إلا أننا على ثقة بأن الله حتى لو فعل ذلك، فإن الخلافات لم تكن لتزول، بل إن أموراً مفسدة أخرى كانت ستقع حتماً.

٢ ـ نعلم جميعاً بأن القرآن كتاب يدعو إلى الدين ضد اللادين، والواقع أن هذا الكتاب السماوي الكبير أنزل من أجل القضاء على الأفكار والآراء الجاهلية الفاسدة؛ ومثل هذا الكتاب ينبغي أن لا يعمد إلى ذكر التفاصيل، بل عليه أن يذكر ما هو مهم وأن يترك التفاصيل والخصوصيات للنبي، وأن يبسط معلوماته التي هي أوسع من معلومات

---

(١) عجباً من عقل الخميني، كيف يزعم أن الإمامة أصل أكيد ويكتفي القرآن فيه بالإشارة . . . وعندما ندخل باب الإشارات فإن قطعية النصوص تضيع.

علي بن أبي طالب بالشكل الذي لا يثير الخلافات بين المسلمين[1].

فهنالك - مثلاً - خلافات بين المسلمين حول ما إذا كان أو لم يكن لله وجود، وهل هو منصهر في ذاته أو غير منصهر، وهل يمكن أن يكون الله جسماً أو لا يمكن . . . وهل كلام الله وإرادته يعودان إلى قديم الزمان أم هما حديثا عهد؟

كما أن هناك خلافات حول قدم صفات الله وحداثتها أيضاً، بل وحول خصائص النبي والخليفة.

أم إنهم يقولون: ولماذا لم توضيح هذه الأمور في القرآن . . . حتى لا يؤدي ذلك إلى نشوب الخلافات بين الناس؟

ولكننا سوف نوضح فيما بعد بأن جميع الخلافات التي نشبت بين المسلمين في مجمل الشؤون والأمور مصدرها يوم السقيفة. فلو لم يكن ذلك اليوم، لما حدثت بين المسلمين هذه الخلافات بشأن القوانين السماوية.

٣ - حتى لو كان ذكر الإمام قد ورد في القرآن، فمن ذا الذي كان يضمن عدم نشوب الخلافات بين المسلمين؟ إذ إن أولئك الذين ألصقوا أنفسهم بالدين وبالنبي، وأقاموا التكتلات، ما كانوا - عند ذاك - يلتزمون بأقوال القرآن، ويقلعون عن أحابيلهم، بل إن الخلافات بين المسلمين كانت تنتهي آنذاك بانهدام أسس الإسلام، إذ إن أولئك المتلهفين للرئاسة؛ عندما كانوا يرون بأن مقاصدهم لم تتحقق عن طريق الإسلام، فإنهم كانوا يقومون بتشكيل حزب مناوىء للإسلام، فكان المسلمون يثورون آنذاك. لذا فإن علي بن أبي طالب، والمتدينين الآخرين، يرون بأن السكوت غير جائز، فيحدث آنذاك انشقاق كبير كان يقضي على الإسلام الذي كان مولوداً حديثاً . . . قضاءً أبديًا.

---

(١) هنا يزعم الخميني أن القرآن يذكر المهم فقط، ولم يذكر الإمامة، لأنها ليست من هذا الباب، فإذا كانت كذلك، فكيف تزعم آنفاً أنها واحدة من الأصول الأكيدة للإسلام؟!

إذاً، فإن ذكر اسم علي بن أبي طالب لم يكن ليضر بمبدإ الإمامة فحسب، بل وكان يضر بالدين أيضاً[1].

٤ ـ لو كانت مسألة الإمامة قد تم تثبيتها في القرآن، فإن أولئك الذين لا يعنون بالإسلام والقرآن إلا لأغراض الدنيا والرئاسة، كانوا يتخذون من القرآن وسيلة لتنفيذ أغراضهم المشبوهة، ويحذفون تلك الآيات من صفحاته، ويسقطون القرآن من أنظار العالمين إلى الأبد، ويلصقون العار ـ وإلى الأبد ـ بالمسلمين وبالقرآن، ويثبتون على القرآن ذلك العيب الذي يأخذه المسلمون على كتب اليهود والنصارى؟[2]

٥ ـ على فرض أن جميع هذه الأمور لم تكن لتحدث، فإن الخلافات بين المسلمين لم تكن لتزول، إذ إن ذلك الحزب الذي ينشد السلطة والرئاسة لم يكن ليكف عما يريد، فينسب آنذاك إلى النبي حديثاً وهمياً، فيقول بأنه عندما قال قبيل وفاته بأن أمركم شورى بينكم، إنما كان يعني بأن الله قد خلع بهذا القول علي بن أبي طالب من منصبه.

□ مخالفة أبي بكر لنصوص القرآن:

لربما هناك من يقول بأن القرآن لو تحدث بصراحة عن الإمامة، فإن الشيخين[3] ما كانا ليعارضان ذلك، وحتى إن عارضاه، فإن أحداً لم يكن ليتقبل منهما ذلك.

وهنا نجد أنفسنا مضطرين على إيراد شواهد من مخالفتهما الصريحة للقرآن؛ لنثبت بأنهما كانا يخالفان ذلك، وأنه كان هناك من يؤيدهما. وها نحن نورد نماذج من

---

(١) يزعم الخميني أن اسم الإمام لم يذكر صريحاً من باب التقية.

(٢) وهل يريد المخدوعون بالخميني وثورته دليلاً أوضح من هذا القول على أنه يزعم أن الصحابة غيّروا وحرّفوا القرآن الكريم.

(٣) المراد بلفظ الشيخين أينما ورد في هذا الكتاب: أبو بكر وعمر؛ رضي الله عنهما، ولعن مبغضهما والقادح في منزلتهما، بل هما السمع والبصر؛ رغم أنف الخميني وأتباعه.

تلك المخالفات، منقولة عن مصادر موثوق بها، بل ومن الأخبار المتواترة عن أهل السنة.

١ ـ جاء في كتب التاريخ المهمة، وفي صحيح أهل السنة، أن فاطمة ابنة النبي جاءت أبا بكر ذات يوم وطالبته بإرث والدها، فقال أبو بكر: إن النبي قال: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة».

وفي «صحيحي البخاري ومسلم» ورد شيء قريب من ذلك. بل وقيل أيضاً: إن فاطمة أعرضت عن أبي بكر، ولم تتكلم معه حتى مات. والكتابان الأخيران من أكبر كتب أهل السنة.

وما نسبه أبو بكر إلى النبي إنما هو مخالف للآيات الصريحة حول إرث الأنبياء، نذكر هنا بعضها:

فقد قالت الآية [١٦] من سورة النمل:

﴿وَوَرِثَ سُلَيمانُ داودَ﴾.

وقالت الآية [٥] من سورة مريم:

﴿فَهَبْ لي مِن لَدُنْكَ وليًّا . يرِثُني ويرِثُ من آلِ يعقوبَ واجْعَلْهُ ربِّ رضِيًّا﴾.

فهل يجوز أن نكذب الله، أو نقول بأن النبي قال كلاماً يخالف أقوال الإله[1]؟ أم نقول بأن الحديث المنسوب إلى النبي لا صحة له، وأنه قيل من أجل استئصال ذرية

---

(١) الوراثة المذكورة في الآيات وراثة العلم والحكمة والنبوة لا وراثة المال.

قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (١١ / ٧٨): «وهكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن ما عدا الروافض».

قلت: يأبى الخميني إلا مشاقة الرسول من بعد ما تبين الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين.

النبي[1]؟

ثم إنه هل يصدق العقل بأن الله يحرم أبناء النبي وأحفاده من إرثه، ويجعله صدقة.

٢ ـ يتفق أهل السنة والشيعة أن النبي له سهم من الخمس وأن الإله له سهم آخر، وهذا الحكم لم يتغير إلى أن تولى الخلافة أبو بكر، فأسقط حصة النبي، وحصة الإله، وحجب الخمس عن صاحبه.

يقول البخاري في باب غزوة خيبر من «صحيحه» بأن فاطمة طالبت أبا بكر بالخمس المتبقي من غزوة خيبر . . . فرفض أن يعطي لها شيئاً، فتركته ولم تتحدث معه إلى آخر العمر، وعند وفاتها صلى زوجها على جثمانها، ودفنها ليلاً.

وفي مكان آخر من «صحيح البخاري»، وفي «صحيح مسلم»، وكذلك في «تفسير الكشاف»، وغيره من المؤلفات الأخرى؛ جاء أن أبا بكر منع الخمس عن بني هاشم، وأن هذا الأمر معلوم لدى الخاصة والعامة. وكله يشكل مخالفة صريحة للقرآن.

---

(١) هذا افتراء على خير جيل أخرج للناس، ولكن الخميني متناقض لا يعرف ماذا يخرج من فيه. فهذا الحديث الذي زعم الخميني أنه لا صحة له، ورد في أكبر كتاب للشيعة؛ «الكافي»، جزء ١، باب ثواب العالم والمتعلم ٧٤، وفيه:

«. . . وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم. . .».

وقال عنه الخميني في «الحكومة الإسلامية» (ص٩٣): الحديث صحيح. وحتى أبو علي بن إبراهيم بن هاشم، فهو من كبار الثقات في نقل الحديث.

وهكذا يتبين أن تلاعب الخميني واتباعه هواه يقوده إلى التناقضات المضحكة.

وعلى قارىء كلام الخميني في هذا الكتاب أن يقرأ ما سطره الخميني في «الحكومة الإسلامية» (ص٩٢) وما بعدها؛ حيث يقول (ص١٠٠):

وقد كانت حياة النبي ﷺ في منتهى البساطة، لم يملك نفسه فيها بشيء من المال.

فإذا كان الأمر كما قلت؛ فما هو الميراث الذي تريده لأهل البيت، ومن أجله ترد الأحاديث.

وقد جاء في الآية [٤٢] من سورة الأنفال:

﴿وٱعلَموا أنَّ ما غنِمْتُم من شيءٍ فأنَّ لله خُمُسَهُ وللرسولِ ولذي القُربى واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيلِ إنْ كنتُم آمَنتُم بالله وما أنزلْنا على عبدِنا . . .﴾.

وقد خالف أبو بكر هذه الآية بصراحة، دون أن يعترض عليه أحد من المسلمين[1].

٣ ـ إن جميع الطوائف الإسلامية متفقة على أن قسماً من أموال الزكاة ينبغي أن يصرف على (المؤلفة قلوبهم)، أي إنه يمكن إعطاء الكفار الثلث من أموال الزكاة من أجل اجتذابهم، والجميع متفقون كذلك بأن هذا الحكم الإسلامي كان قائماً والنبي كان يطبق ذلك.

إلا أن أبا بكر أسقط هذا الحكم بأمر من عمر، وما زال هذا الإلغاء قائماً لدى أبناء السنة الذين يقولون بأن من يصرف مثل هذه الزكاة فإن ذمته لن تبرأ.

يقول صاحب كتاب[2] «الجوهرة النيرة» في صفحة (٦٤) من الجزء الأول، وهو في الفقه الحنفي، ومن كتبهم المعروفة، ويتبرك به أهل السنة[3]، يقول:

يقول: بعد وفاة النبي جاء المؤلفة قلوبهم إلى أبي بكر لكي يعطيهم ـ كالعادة ـ رسالة يأخذونها إلى عمر ليوقع عليها، فلما ذهبوا بها إليه مزقها، فعادوا إلى أبي بكر وسألوه: هل هو الخليفة أم عمر؟ فأمضى الحكم الذي كان أصدره؛ حارماً بذلك المؤلفة

---

(١) وأين كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟! وهو الشجاع الجسور . . . أم أنكم تنسبون له تقية في ذلك؟! وهو كما يعلم كل مسلم لا يهاب أحداً، ولا يتخوف من قول الحق؟! ولكنها افتراءات خميني ومن سبقوه في الكذب والتضليل . . .

(٢) يراجع في ذلك كتاب «الفصول المهمة» (خ).

(٣) أهل السنة لا يتبركون بالكتب ولا القبور ولا المشاهد، بل ذلك مما يعيبونه على خميني وشيعته ومن سبقوه؟! فالكتب الشرعية عند أهل السنة على اختلاف أنواعها هي كتب علم وليست كتب بركة.

قلوبهم من الزكاة، وكانت هذه مخالفة صريحة لما ورد في القرآن.

لقد قالت الآية [٦٠] من سورة التوبة:

﴿إنَّما الصَّدَقاتُ للفُقَراءِ والمساكينِ والعاملينَ عليها والمؤلَّفةِ قلوبُهُم وفي الرقابِ والغارمِينَ وفي سبيلِ الله وابنِ السبيلِ فريضة من الله . . .﴾.

لقد ذكر الله ثمان فئات تستحق سهماً من الزكاة، لكن أبا بكر أسقط واحدة من هذه الفئات ـ بإيعاز من عمر ـ ولم يقل المسلمون شيئاً، وهناك أمور كثيرة أخرى يجدها القراء في كتاب «الفصول المهمة».

□ مخالفة عمر لكتاب الله[1]:

نورد هنا مخالفات عمر لما ورد في القرآن، لنبين بأن معارضة القرآن لدى هؤلاء كانت أمراً هيناً، ونؤكد بأنهم كانوا سيخالفون القرآن أيضاً فيما إذا كان قد تحدث بصراحة عن الإمامة[1].

١ ـ متعة النساء التي كانت ـ طبقاً لإجماع المسلمين ـ قائمة على عهد النبي وحتى وفاته، ولم يأت ثمة ما ينسخ ذلك.

وطبقاً للأخبار المتواترة عن أهل البيت، وأخبار الصحاح[2]، فإن جابر بن عبد الله ينقل في «صحيح مسلم» عن أبناء السنة قولهم: إننا كنا ـ على عهد رسول الله وأبي بكر ـ نقوم بالمتعة، إلى أن نهى عنها عمر.

وقد نُقِل عن عمر بأنه صعد المنبر يوماً وقال: «متعتان كانتا على عهد رسول الله

---

(١) هذا الفصل مملوء بالافتراء والتحريف على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ومن رام الوقوف على الحقيقة فليراجع «الشيعة والمتعة»، تأليف: محمد مال الله، الطبعة الثانية، دار الصحوة الإسلامية.

(٢) «الفصول المهمة» (ص٥٨). (خ).

وأنا أنهى عنهما، وأعاقب عليهما، متعة الحج، ومتعة النساء».

قالت الآية [٢٨] من سورة النساء:

﴿فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ﴾.

وقد نقل الطبري[1] عن أُبي بن كعب، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وسدي، وسواهم من الموثوق بهم قولهم بأن هذا الأمر كان قائماً على عهد النبي، وأنه نهى عنه، وقال بأنه يعاقب من يرتكبه.

٢ ـ متعة الحج التي كانت قد شرعت على عهد النبي، وظلت قائمة إلى أن نهى عنها عمر. وقد تبين بأن أبناء السنة[2] قد أجمعوا بعد وفاة عمر على بقاء هذا الحكم الإسلامي الأصيل، وكان واضحاً بأن إجراء عمر كان مخالفاً للقرآن.

جاء في الآية [١٩٢] من سورة البقرة:

﴿فمَن تمتّع بالعُمْرة إلى الحجّ . . .﴾ إلخ.

وقد أجمع المسلمون على أنها في متعة الحج، كما أن إقرار عمر بإبطالها إنما هو عمل يغني عن كل قول.

٣ ـ وفي باب الطلاق لثلاث مرات، وهو ما كان قائماً على عهد النبي وأبي بكر، وجاء عمر وأحدث تغييراً في ذلك، فقد جاء في الصفحة (١٧٤) من الجزء الأول من «صحيح مسلم» . . . نقلاً عن ابن العباس قوله: على عهد النبي وأبي بكر وخلال سنتين من خلافة عمر كان الطلاق بالثلاث متوحداً، فقال عمر إن المسلمين يستعجلون الأمر، وإن الأوفق أن يكون الطلاق ثلاث مرات. وهكذا فإنه جعل صيغة «أنت طالق ثلاثاً»، تحل محل الطلاق لثلاث مرات، فخالف بذلك ما جاء به من القرآن.

---

(١) «الفصول المهمة» (ص٥٥). (خ).

(٢) «الفصول المهمة» (ص٧). (خ).

فقد جاء في الآية [٢٢٩] من سورة البقرة:

﴿الطَّلاقُ مرَّتانِ فإمساكٌ بمَعْروفٍ أو تسريحٌ بإحْسانٍ﴾ إلى أن تقول: ﴿فإنْ طلَّقَها فلا تَحِلُّ لهُ من بعدُ حتَّى تَنْكِحَ زوجاً غيرَه﴾.

وواضح من هذه الآيات بأن الطلاق ينبغي أن يكون متفرقاً، وأما مخالفات هؤلاء[1] لتعليمات نبي الإسلام، فتحتاج إلى كتاب، أما من يريد الاطلاع على مجمل هذه المخالفات، فعليه أن يعود إلى كتاب «الفصول المهمة»، تأليف العلامة شرف الدين العاملي.

٤ ـ عندما كان رسول الله ﷺ في فراش المرض، ويحف به عدد كثير، قال مخاطباً الحاضرين: تعالوا أكتب لكم شيئاً يحميكم من الوقوع في الضلالة. فقال عمر ابن الخطاب: لقد هجر رسول الله.

وقد نقل نص هذه الرواية المؤرخون وأصحاب الحديث من البخاري ومسلم وأحمد، مع اختلاف في اللفظ، وهذا يؤكد أن هذه الفرية صدرت من ابن الخطاب المفتري، ويعتبر خير دليل لدى المسلم الغيور .

الواقع أنهم أعطوا الرسول حق قدره ... الرسول الذي كد وجد وتحمل المصائب من أجل إرشادهم وهدايتهم، وأغمض عينيه، وفي أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية، والنابعة من أعمال الكفر والزندقة[2]، والمخالفة لآيات ورد ذكرها

---

(١) ومن هم هؤلاء؟! إنهم صحابة رسول الله؛ أبو بكر، وعمر، وعثمان ... الذين سيبقون علماً شامخاً رغم أنف الرافضة وحقدهم ...

وإذا كان الصحابة هؤلاء؛ تلاميذ رسول الله ﷺ، يخالفون تعليماته، فماذا بقي من مدرسة النبوة؟! وكيف يتأتى لهذه المدرسة الاستمرار وهي تخالف رسول الله؟! حاشاهم من ذلك...

وعلى كل حال، فالمسلمون يلتزمون في فهم آيات الكتاب؛ الذي هو الأصل الأول للتشريع، النهج الذي سار عليه معظم المفسرين... لا الرغبة والهوى.

(٢) نضع وصف الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بالكفر والزندقة والافتراء من قبل عدو الله الخميني =

في القرآن الكريم، كالآية [٣] من سورة النجم، التي تقول:

﴿وما يَنْطِقُ عنِ الهوى . إنْ هو إلا وحيٌ يوحى . علَّمَهُ شديدُ القُوى﴾.

كما أن تلك المقولة مخالفة أيضاً للآية التي تقول:

﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ﴾.

وكذلك الآية القائلة: ﴿وما آتاكُمُ الرسولُ فخُذوهُ﴾.

والآية الأخرى التي تقول: ﴿وما صاحِبُكم بمجنونٍ﴾.

وغيرها من الآيات.

□ خلاصة كلامنا حول ذلك:

من جميع ما تقدم يتضح أن مخالفة الشيخين للقرآن لم تكن عند المسلمين شيئاً مهمًا جدًا، وأن المسلمين إما كانوا داخلين في حزب الشيخين ومؤيدين لهما، وإما كانوا ضدهما ولا يجرؤون أن يقولوا شيئاً أمام أولئك الذين تصرفوا مثل هذه التصرفات تجاه رسول الله وتجاه ابنته.

وحتى إذا كان أحدهم يقول شيئاً، فإن كلامه لم يكن ليؤخذ به.

والخلاصة؛ حتى لو كان لهذه الأمور ذكر صريح في القرآن، فإن هؤلاء لم يكونوا ليكفوا عن نهجهم، ولم يكونوا ليتخلوا عن المنصب. ولكن؛ وحيث إن أبا بكر كان أكثر تظاهراً من سواه، فإنه جاء بحديث أنهى به المسألة، فأقدم على ما أقدم عليه بشأن الإرث، كما أنه لم يكن من المستبعد بالنسبة لعمر أن يقول بأن الله أو جبرائيل أو النبي قد أخطؤوا في إنزال هذه الآية، فيقوم أبناء السنة بتأييده كما قاموا بتأييده فيما أحدثه من تغييرات في الدين الإسلامي، ورجحوا أقواله على آيات القرآن(١).

أمام الغافلين والمُغَفَّلين الذين لم يزالوا يعقدون الآمال على ثورة الآيات في طهران.

(١) إن هذه الترهات والأباطيل الخمينية الشيعية الباطنية نذير خطر، لعل أهل السنة يفيقوا من غفوتهم، =

□ نظرة في أقوال المفترين:

بعد أن أوضحنا بأن الإمامة من أصول الإسلام المؤكدة، وأن أولئك الذين شغلوا هذا المقام لم يكونوا جديرين به، وبعد أن توضح سبب عدم ذكر الإمامة في القرآن، فإن الافتراء الثاني الذي أوردوه عن الإمامة في الحديث الثاني غير جدير بالالتفات، لكننا توضيحاً لضحالة معلوماتهم نورد، مضطرين، بعض أقوالهم الصبيانية، ونرد عليها لكي تكون فضيحتهم أكبر.

□ الحديث الثاني عن الإمامة:

يقول الكاتب عنا: إننا نعتبر الإمامة بعد النبوة، لكننا عمليًا نعتبرها أعلى مرتبة من النبوة.

ثم يقول بأن أحداً لم يسمع أن النبي شفى مريضاً، كما أن أحداً لم يقدم نذراً باسم النبي . . . إلا أننا سمعنا هذا الكلام من هؤلاء حول الإمام والإمامة.

والنبي يقول بأنني لا أملك نفعي ولا ضري، ولكنهم يقولون بأن العالم إن فني فإن عليًا هو الذي يفنيه.

يبدو أن هؤلاء الحمقى لا يعرفون شيئاً عن المتدينين وعن مؤلفاتهم المنتشرة بالعربية والفارسية بين المسلمين، أو أنهم يحاولون عن عمد توجيه الاتهامات الكاذبة إلى المتدينين لخداع الناس وتضليلهم.

وعلى فرض أن ما ورد في كتبنا العلمية، مثل «شرح التجريد» الذي تضمن الكثير عن معجزات النبي . . . يكون متعذراً على فهمكم وإدراككم، فقد كان عليكم ـ على

= ويعلموا أن تحسين الظن بالشيعة هو من تلبيس إبليس . . . فيا أهل السنة خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً . . . فها هم المغول يسفكون دماء المسلمين السنيين من جديد في بغداد وبيروت . . . والفتاوى بإباحة ذلك لم تزل تصدر من قم.

الأقل - قراءة كتب المرحوم (مجلسي)، حتى لا تقعوا في مثل هذه الحماقة المفضوحة.

ونحن نورد فيما يلي مقتطفات من كتاب «حق اليقين»، تأليف المرحوم (مجلسي)، حتى تتوضح أبعاد ما يتمتع به هؤلاء من معلومات وإدراك وتتكشف غوغائيتهم وأكاذيبهم.

يقول (مجلسي) في صفحة (١٢) من كتاب «حق اليقين» الذي خصص الفصل الأول منه للحديث عن معجزات النبي:

«اعلم بأن الحق تعالى لم يعط المعجزة لأي نبي مثلما منحها لنبينا، حتى إنه لا يمكن عد معجزاته، وقد تحدثت في سائر الكتب عن أكثر من ألف معجزة من هذه المعجزات».

ثم يدخل بعد ذلك في بيان معجزات النبي بالتفصيل، إلى أن يقول:

«والقسم الرابع هو قبول دعائه بشأن إحياء الموتى، ورد البصر للعمي، وشفاء المرضى . . . وغير ذلك مما لا يمكن حصره».

ومن يطلع على كتب علماء الإسلام وأخبار الشيعة وأهل السنة فإنه يطلع على أكاذيب هؤلاء، ولا يعتقد بأنه يوجد بين المسلمين أو اليهود أو النصارى من يقول بأنه لم يسمع بأن النبي شفى أعمى أو مريضاً. إذاً فلا يمكن أن يقال بأن هؤلاء جهال، بل إنهم خونة، ويكذبون عن عمد.

إننا لم نر قبر الرسول، لكننا سمعنا الكثير عن قبور الأئمة، ونحن لا نجاور قبر النبي حتى نرى بأعيننا، إلا أننا نعلم بأن مئات الآلاف يزورون قبور الأئمة في كل عام، ولعله في خلال كل بضعة أعوام يظهر شخص يريد له الله أن يشفى بجوار قبور هؤلاء الأئمة، وأنتم لو لجأتم إلى القبور، وطلبتم من الله أن يشفيكم من الجهل والحماقة - وهما أسوأ أنواع المرض - لربما قبل دعاءكم . . . ولا تيأسوا من رحمة الله.

إن المتدينين لا يقولون بأن كل ما ينسب إلى الأئمة وذريتهم من كرامات هو

صحيح، وهم لا يصدقون ذلك بتعجل إلا إذا ثبت طبقاً للمقاييس الثابتة ثبوت الإيمان بالله العلي القدير، كما أنهم لا يدحضون شيئاً مما لم يتوفر لديهم الدليل على ذلك.

وهذه هي مقاييس التدين، ومعايير التعقل؛ ومن يدحض أو يقبل شيئاً بدون دليل واضح، فإنه بعيد عن جموع العقلاء والمتدينين.

أما القول بأنه لماذا لم تقدم النذور للنبي . . . فإن ذلك كلام عامي، الذين ينذرون، يفعلون ذلك، وهم بجوار الأئمة، فيشعلون الشموع أو يوزعون الخيرات عند قبورهم.

ولم يسمع أحد بأن النذور قدمت للأئمة المدفونين في البقيع إذا فإن المسألة ليست ـ كما يقولون ـ ترجيح الأئمة على النبي.

ولو كان قولكم هذا صحيحاً فإنه ينبغي القول بأن ولي الله داود هو أكبر قدراً من الإمام الحسن أو الإمام الباقر أو الإمام جعفر الصادق، وهذا كلام لا تقبلونه أنتم أنفسكم.

وعلينا أن لا ننسى بأن النذر للنبي أو الإمام يكون صحيحاً ومشروعاً عندما يكون النذر للإله ويوضع موضع التنفيذ، وآنذاك فإن النبي والإمام هما اللذان يعطيان ثوابه، وإلا فإنه يعتبر باطلاً، بل وقد يكون حراماً.

□ خطأ وكذب:

إن هؤلاء المشاغبين لا يكفون عن حقدهم بالنسبة للأئمة، ولذا فإنهم يرسمون للناس صورة سيئة بالغة الوضوح، فيقولون: «لماذا يثار كل هذا الضجيج حول فضائل الأئمة والسادات، فيما لا يقال شيء عن النبي؟ إنها دون شك التمييز والعناد».

ولا ندري لمن نحن نعاند؟ أفليس رسول الإسلام رسولنا؟ هل هو نبي أهل السنة حتى نفرق بينه وبين الأئمة؟ كان الأفضل أن يقولوا: ولماذا لا تتحدثون عن فضائل أبي بكر وعمر، ولا تكتبون شيئاً عن ذلك؟ حتى يكون القول في التمييز صحيحاً.

على أي حال: إن هذا الادعاء باطل، لأننا كتبنا مراراً بأن فضائل الرسول أضعاف فضائل جميع الأئمة، والمعجزات التي عرضت له لم تعرض للأئمة جميعهم، والكتب التي ألفت في غزواته وسيرته لم تؤلف في الآخرين، لماذا لا تقولون: ولم لم يقتلوا النبي كما قتلوا الحسين، ولم يظلموه مثله؛ حتى تؤلف فيه الكتب.

إن المجالس الحسينية التي نقيمها . . . كلها أخلاق وأحكام ومعتقدات[1]، والمنابر تجسد للناس تضحيات الشهيد على طريق الدين، وتلك هي من إحدى البركات التي حفظت حتى الآن، مذهب الشيعة وأحكامه؛ مع العلم بأن هؤلاء كانوا يشكلون الأقلية، وكان على الدولة والأمة السعي لحمايتهم، إذ إنهم يمثلون الأساس في إدارة أمور البلاد، كما أن بقاء الحكم مرتبط بضمان وحدة صفوف الشعب، **وهذا الشعار المذهبي هو خير وسيلة للحفاظ على الوحدة الوطنية**، وبالوحدة الوطنية لا يمكن لكل حكومة أن ينال منها التزعزع.

□ كذبة ملصقة بالمتدينين:

ويقول الكاتب: والمتدينون يعزون الأمور السيئة إلى الله، والأمور الحسنة إلى الأئمة، ولا يعيرون للنبي اهتماماً. فالمريض منهم عندما يمرض يقول هذا من عند الله، وعندما يشفى يقول: إن هذا من بركة الأئمة الأطهار.

هذا الكاتب لم يفكر بأن ما كتبه سيقرأه الشيعة الذين يتلمسون كذب هذا الادعاء، ولا يحتاجون إلى مزيد من التوضيح بشأنه . . . ولكن الكاتب لم يتفهم كلام الممرضة العجوز، ولو فهم لما قال مثل هذا القول الأجوف.

أما قوله بأن المرض من عند الله، فهذا صحيح، وليس في وسع أحد أن يعزل المساويء عن مشيئة الله، فقد قال عز وجل:

﴿قُلْ كُلٌّ مِن عندِ اللهِ﴾.

---

(١) مجالس قوامها اللعن والسب والشتم لخير القرون . . . ولكن أكثر أهل السنة لا يعلمون.

وأما قوله بأن الشفاء من بركة الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فإن عليكم أن تسألوه: هل اعتزل الإله وأصبح الأئمة يعملون بدلاً منه؟ حتى تسمعوا الإجابة من فم الممرضة العجوز.

وها نحن الشيعة؛ كبيرهم وصغيرهم، أترون الأشياء الحميدة من عند الله، أم أنكم ترون كل شيء من عنده؟ وحيث إن شفاء المريض تم بالواسطة، فقد قيل إن ذلك من بركاتهم. ولا بد أن المرأة المذكورة قد استشفعت الأئمة، وإلا فإنها ترجح النبي على الأئمة، وتعتبر شفاعته لدى الله أكثر قبولاً، لكنكم لم تفهموا كلامها.

إن الكثيرين الذين يمرضون يقولون: إن الله أراد ذلك، ثم يذهبون إلى الطبيب، فيشفون، فيقولون: الطبيب شفانا. فهل يعني ذلك بأنهم يرون المساوىء من الله ويرون الطيبات من الطبيعة، ولا يجدون للنبي والأئمة دوراً في ذلك.

وهنا يحق لنا القول بأن من أسوإ المساوىء أن يدخل المتدينون في بحث ونقاش مع أمثال هؤلاء الحمقى.

□ من أين تنبع معتقدات العوام؟

يرى هذا الكاتب أن جريمة العوام تأتي من كون معتقداتهم نابعة من الأحاديث الصحيحة، ثم ينقل بعضاً من تلك الأحاديث، ولكأنه فتح حصناً كبيراً، ونجد أنفسنا مضطرين إلى محاورة هؤلاء بشأن هذه الأحاديث[1] بقدر إدراكهم، حتى نكشف عن جهلهم الحديث الذي ينقله أبو حمزة عن علي بن الحسين حول جمع نتف من جناح الملائكة، والحديث الآخر يقول فيه: إن جبرائيل كان يأتي بعد وفاة النبي ﷺ لفاطمة بأنباء من الغيب، فيقوم أمير المؤمنين بتدوينها، وهذا هو مصحف فاطمة[2].

---

(١) في الفصل الخاص بـ (الحديث) تتناول هذه الأحاديث بصورة عامة. (خ).

(٢) وبأي بصفة كان يأتيها جبريل؟! هل ليتمم نقصاً لم يبلّغه للنبي ﷺ؟!

وهل أنباء الغيب هذه، التي يقوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بتدوينها، والتي قال عنها خميني =

وتبرز في هذه الأحاديث ثمة ثلاثة نقاط:

الأولى: أن القرآن يقول بأن الروح الأمين ينزل الوحي على قلبك، وليس هناك أي ذكر لقيام جبرائيل بإنزال هذا الوحي.

والثانية: أن الملائكة ليست لها أجنحة وريش، وليس في القرآن ذكر لذلك.

والثالثة: لو أن مثل هذه الأحاديث كانت صحيحة، فقد كان ينبغي أن يكون للإسلام أربعة عشر نبيًا بدلاً من نبيٍّ واحد.

فيما يخص النقطة الأولى نقول: إنه كان الأجدر بالكاتب قبل أن يقول ذلك بحق الدين والمتدينين أن يتلو القرآن لمرة واحدة، حتى لا يقع في هذه الفضيحة.

ونحن نورد هنا الآية التي ذكرت اسم جبرائيل، وقيامه بإنزال الوحي، لنثبت جهل هؤلاء بالقرآن، أو أنهم يتعمدون الكذب لكي يصدقه منهم بعض الأميين، الذين لا يعرفون ما في القرآن، فيحققون بذلك هدفهم في إبعاد الناس عن الدين، حتى وإن كان هؤلاء واحداً أو اثنين.

فالآية [٩١] من سورة البقرة تقول:

﴿قُلْ مَن كانَ عدُوًّا لجِبْريلَ فإنَّه نزَّلَه على قلبِكَ بإذْنِ الله . . .﴾.

كما أن الرد على النقطة الثانية يتوضح من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم أيضاً، فالآية الأولى من سورة فاطر، تقول:

﴿الحمدُ لله فاطرِ السماواتِ والأرضِ جاعلِ الملائكةِ رُسُلاً أولي أجنحةٍ مثْنى

= بأنها مصحف فاطمة هي مكملة للقرآن الكريم؟!

نحن نعلم أن الآية الكريمة: ﴿اليومَ أكملتُ لكُم دينَكم وأتممتُ عليكُم نعمتي ورضيتُ لكُم الإسلامَ ديناً﴾ تنص بشكل قطعي على كمال الدين وتمامه. فمن نصدق؟! لا شك أننا نكذب خميني ومن سبقوه، ونصدق رب العالمين.

وثُلاثَ ورُباعَ يزيدُ في الخلقِ ما يشاءُ إنَّ الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾.

فما الذي ستفعلونه تجاه هذه الفضيحة؟ هل ستعترفون بجهلكم وحماقتكم، أم سترفعون هذه الآيات من القرآن حتى تصبح أباطيلكم ثابتة؟

ولكن؛ حتى ذلك لن يجد بكم نفعاً، فعلى فرض أنه لم يرد في القرآن ذكر لاسم جبرائيل، ولا لأجنحة الملائكة، فإن ذلك لا يعني أن جبرائيل ليس هو اسم أحد الملائكة، أو أن الملائكة ليست لهم أجنحة.

ولو صح قولكم بأن ما لم يرد ذكره في القرآن فهو غير موجود، فإن ذلك يعني أن معظم الموجودات لا وجود لها، ووقوعكم في هذه الأباطيل يعود إلى عدم قراءتكم للمنطق، وحرمانكم من المنطق، إذ حتى الأطفال يعرفون بأن عدم وجود اسم شيء في القرآن لا يعني عدم وجود ذلك الشيء.

◻ ما هو معنى النبوة؟

أما بشأن النقطة الثالثة التي قالوا فيها: إن صلة الملائكة بالأئمة كانت تستوجب وجود أربعة عشر نبيًّا. إنما ذلك يعود إلى جهلهم بمعنى النبوة؛ ولذا فإنهم يتصورون بأن من يرى الملائكة أو يتعلم منهم شيئاً، فإنه يصبح نبيًّا.

وهذا خطأ كبير، لأن النبوة تعني حمل الرسالة أو النبأ، أي أن يقوم الله ـ بواسطة الملائكة أو بدون واسطة ـ بتكليف أحد لوضع شريعة وقانون وإشاعتهما بين الناس، وإن من يفعل ذلك أو يقوم به يكون رسولاً أو حاملاً للرسالة، سواء أنزلت عليه الملائكة أم لم تنزل، ومن لا يحمل هذه السمة، ولا يكلف بهذه المهمة، فهو ليس رسولاً، سواء أرأى الملائكة أم لم يرها، فليست هناك أية علاقة بين النبوة وبين رؤية الملائكة.

◻ دليل من القرآن على قولنا:

في القرآن آيات تدل على أن من لم يكونوا أنبياء شاهدوا الملائكة، بل وشاهدوا جبرائيل بالذات، وتحدثوا إليه، ونورد هنا نماذج لذلك حتى تفتضح أباطيل هؤلاء

المفترين، فقد قالت الآية [٣٧] من سورة آل عمران:

﴿وإذ قالتِ الملائكةُ يا مريمُ إنَّ الله اصطَفاكِ وطَهَّرَكِ واصْطَفاكِ على نساءِ العالَمينَ﴾.

وبعد أن يروي الله سبحانه وتعالى قصة مريم [من الآية ٣٧ - ٤٠]، يتحدث الملائكة لمريم عن الكثير من أحوال المسيح ومعجزاته، ويروون لها أخباراً من الغيب.

وجاء في الآية [٧١] من سورة مريم:

﴿فأرْسَلْنا إليها روحَنا فتَمَثَّلَ لها بشراً سويًّا﴾.

ومسألة اتصالات الملائكة وجبرائيل بمريم مذكورة في العديد من آيات القرآن، والله تعالى يتحدث عن الأنباء التي نُقِلت إليها من الغيب.

والآية [٧٤] من سورة هود تتحدث عن رؤية زوجة إبراهيم للملائكة، وتحدثهم إليها، وإبلاغها أنباء الغيب.

والآية [٩٦] من سورة البقرة تتحدث عن مجيء هاروت وماروت إلى بابل، وتلقين السحر للناس.

والآن؛ إما أن تنزعوا هذه الآيات ومثيلاتها من القرآن حتى تصبح أقوالكم صحيحة، أو أن تدّعوا بأن مريم وزوجة إبراهيم وسكان بابل . . . هم جميعاً من الأنبياء.

□ حصيلة أقوالنا وفضيحة المفترين:

الخلاصة أنه ليست هناك صلة بين النبوة التي تعتبر تكليفاً من الله بسن القوانين، وبين الإمامة التي تقوم بمهمة حفظ القانون وتلقينه للناس، وبين رؤية الملائكة وتعلم شيء من علم الغيب.

قد يكون لأحد الناس علم بشيء عن المستقبل والماضي، وعن أمور أخرى، ولا

يكون نبيًا أو إماماً؛ مثل مريم التي كان لها علم بأنباء عن المسيح وعن نبوته، وعرفت من الملائكة أقواله ومعجزاته، فيما لم تكن من الأنبياء ولا من الأئمة.

فإذا ما قام رب العالمين - إكراماً لرسول الإسلام، الذي هو أكبر الرسل، وأشرف مخلوقات العالم - بإرسال الملائكة ليعزوا ابنته بوفاة أبيها، ويبلغوها بأنباء من عالم الغيب . . . فإن العالم لن يصاب بمكروه.

لقد كان عليكم أن لا تمدوا أرجلكم إلى أبعد من بساطكم، وأن لا تسببوا - بذلك - المتاعب لنا.

□ نظرة إلى مسألة التقية[1]:

هؤلاء الحمقى؛ كعادتهم، يحاولون تلقف الكلمات من هنا وهناك، لاستخدامها ضد المتدينين؛ ولهذا فإنهم يتناولون ما يتعلق بالتقية، فيقولون: «قال زرارة: سألت الإمام عن شيء، فأجابني عليه جواباً. وجاءه آخر، وسأل عن الشيء نفسه، فأجابه جواباً آخر. وجاءه ثالث وسأله عن الشيء ذاته، فأجابه بجواب ثالث. قلت: لقد أجبت الشيعة الثلاثة الذين سألوا عن شيء واحد . . . أجوبة مختلفة. قال: حتى ينشب الخلاف فيما بينهم، ولا تظهر لهم الحقيقة».

ونحن لا نعرف كيف يبتعد هؤلاء عن الحكمة، ويدونون ما يحلو لقلمهم، وإلا فإن التقية هي من أوضح أحكام العقل. والتقية معناها أن يقول الإنسان قولاً مغايراً للواقع، أو يأتي بعمل مناقض لموازين الشريعة، وذلك حفظاً لدمه أو عرضه أو ماله.

على سبيل المثال: إن الوضوء - طبقاً لأحكام الإله - ينبغي أن يتم بسكب الماء ابتداء من المرفق، ومسح القدم باليد. فيما يرى بعض أهل السنة أن الماء ينبغي أن

---

(١) التقية شريعة عند الشيعة، وهي في نظر الإسلام محض الكذب والنفاق، وفي هذا الفصل يفصل الخميني هذا المبدأ الشيعي حيث تتجلى الأباطيل والكذب على الله ورسوله.
وانظر في الرد على تقية الشيعة «الشيعة والسنة» لإحسان إلهي ظهير رحمه الله.

يسكب ابتداء من رؤوس الأصابع حتى المرفق، وغسل القدم بدلاً من مسحها.

في هذه الحالة، إذا أراد أحد أن يتوضأ وهو بين أهل السنة، ووجد بأنه يعرض حياته أو حياة غيره للخطر إذا ما توضأ على طريقة الشيعة، فإن عليه أن يجاريهم في الوضوء، ليبعد عن نفسه ذلك الخطر، وليس هناك عاقل يحتم التوضؤ ـ في هذه الحالة ـ على طريقة الشيعة.

وكل من له دراية بالتاريخ، يعلم أن الأئمة وأتباعهم من الشيعة، مروا بظروف قاسية، وأن السلاطين والخلفاء كانوا يبيدون كل من كان ينتمي إلى الشيعة، وقد كُلف الأئمة من قبل النبي والإله بوجوب الحفاظ على أعراض الشيعة وأموالهم، ولذا فإنهم من باب التقية كانوا يصدرون أحياناً أوامر مخالفة لأحكام الله، حتى ينشب الخلاف بين الشيعة أنفسهم لتضليل الآخرين، وتفادياً لوقوعهم في المآزق.

فما الذي تقولونه إزاء ذلك؟ هل تقولون إن على الإنسان أن لا يقوم ـ في مثل هذه الظروف ـ بمخالفة أحكام الإله، فيعرض أرواح الناس وأعراضهم إلى الفناء؟

□ شواهد من القرآن على أقوالنا:

إن كل من له أقل قدر من التعقل يدرك أن حكم التقية من أحكام الإله المؤكدة، فقد جاء أنَّ مَن لا تقيةَ له لا دين له.

ونورد هنا من القرآن شاهداً على ذلك، فقد جاء في الآية [١٨٠] من سورة النحل:

﴿مَن كَفَرَ باللهِ مِن بعدِ إيمانِهِ إلا مَن أُكرِهَ وقلبُهُ مطمئنٌ بالإيمانِ﴾.

لقد نزلت هذه الآية بحق عمار بن ياسر، الذي كان الكفار قد أجبروه على الكفر، فتظاهر بذلك، وقال ما أرادوه منه من شتائم، ثم ذهب إلى النبي باكياً، فنزلت بحقه هذه الآية بجوزة التقية.

□ نظرة أخرى إلى الإمامة:

بعد أن أوضحنا بأن الإمامة إحدى أصول الدين الإسلامي، وأن القرآن أشار إلى ذلك إلى حد ما، وأن المزيد من تلك الإشارة لم يكن في صالح الإسلام والمسلمين، فليس هناك ثمة حاجة لإطالة الحديث حول ذلك. ولكننا إحقاقاً للحق المداس، مضطرون إلى الرد على ذلك حتى لا يبقى هناك شك بشأن هؤلاء الحمقى.

إن هذا الأحمق يقول: «يقولون إن النبي كان يخشى قول شيء بشأن الإمامة، لأنه لا يتقبله الناس، مع أن القرآن وتاريخ النبي نفسه يدلان على أن أعماله لم تكن تقابل بتحفظ» . . .

لقد أثبتنا في بداية هذا الحديث بأن النبي أحجم عن التطرق إلى الإمامة في القرآن، لخشيته أن يصاب القرآن من بعده[1] بالتحريف، أو أن تشتد الخلافات بين المسلمين، فيؤثر ذلك على الإسلام.

ونورد هنا شواهد من القرآن تدل على ذكر الإمامة بتحفظ خوفاً من المنافقين، فقد قالت الآية [٧١] من سورة المائدة:

﴿يا أيُّها الرسولُ بلِّغ ما أُنزِلَ إليكَ مِن ربِّكَ وإنْ لم تَفعَلْ فما بلَّغتَ رسالَتَهُ والله يعصِمُكَ مِن الناسِ﴾.

وباعتراف أهل السنة، ونقلاً عن أبي سعيد وأبي رافع وأبي هريرة، وباتفاق الشيعة، فإن هذه الآية نزلت في يوم غدير خم، بشأن إمامة علي بن أبي طالب[2].

---

(١) سبحان الله! وكأن القرآن من صنعه!!

(٢) حصر الخميني التبليغ في (الإمامة) وهو باطل من وجوه، منها: تقييد المطلق دون دليل باطل، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والآية تنص على وجوب التبليغ؛ وهو التصريح والبيان، والخميني يقول: إنها أشارت إشارة، وهذا اتهام للرسول ﷺ!

وسورة المائدة هي آخر سورة نزلت، وإن هذه الآية، والآية الشريفة القائلة: ﴿اليومَ أكملتُ لكُم دينَكُم﴾، نزلت في حجة الوداع، وهي آخر حجة للنبي . . . وكان نزولها قبل شهرين وعشرة أيام من وفاة النبي.

وواضح بأن محمداً كان حتى ذلك الوقت قد أبلغ كل ما عنده من أحكام، كما أشار هو إلى ذلك في خطبة يوم غدير خم، إذاً؛ يتضح من ذلك أن هذا التبليغ يخص الإمامة، وقوله تعالى: ﴿والله يعصِمُك﴾، يريد منه أن يبلِّغ ما أنزل إليه، لأن الأحكام الأخرى خالية من التخوف والتحفظ.

وهكذا يتضح من مجموع هذه الأدلة ونقل الأحاديث، بأن النبي كان متهيباً من الناس بشأن الدعوة إلى الإمامة، وأن من يعود إلى التواريخ والأخبار يعلم بأن النبي كان محقاً في تهيبه، إلا أن الله أمره بأن يبلغ، ووعده بحمايته، فكان أن بلغ[1] وبذل الجهود في ذلك حتى نفسه الأخير، إلا أن الحزب المناوىء لم يسمح بإنجاز الأمر.

□ أجوبة كيفية . . . أيضاً:

كان على هؤلاء الحمقى أن يوضحوا مع من أجروا هذا الحديث، وعن أي أشخاص ينقلون هذه الأجوبة التافهة، حتى يتضح بأنه لا وجود لمثل هذا الشخص، وأن هؤلاء ينسجون أجوبة من عندهم، ثم ينسبونها إلى المتدينين، حتى يقللوا من مكانتهم عند الجماهير . . . وقد فعلوا ذلك عندما قالوا على ألسنتهم: «إنَّهم يقولون أيضاً بأن ذكر الإمامة قد ورد بصراحة في القرآن، لكنهم أسقطوا ذلك».

من أين لكم هذا الحديث؟ وممن سمعتم هذا الكلام؟ لعلكم استندتم إلى بعض الكتب والأخبار التي تدعي بأن القرآن قد أُسقطت منه بعض الآيات، وهذه إحدى عيوبكم؛ حيث إنكم تلجؤون إلى كتب علمية يحتاج فهمها إلى قدر كبير من الجهد لكي تستخلصوا منها، لكنكم تكونون كالفلاح الذي يريد أن يقرأ الفلسفة، وعامل

---

(١) حتى النبي ﷺ عند خميني وأمثاله يتخوف ويتهيب!! فيا سبحان الله . .

الحمام الذي يحاول فهم الرياضيات العليا.

وفهم الكتب العلمية يحتاج إلى التخصص، فاللجوء إلى الكتب بشكل عشوائي هو الذي يؤدي إلى القول بأن القرآن كان يتضمن أقوالاً عن الإمامة، لكنها حذفت منه.

لكننا نؤكد بأن في القرآن مئات من الآيات وردت حول الإمامة والأئمة، ولكن دون ذكر صريح لذلك.

فـ «أولو الأمر» و «أهل البيت»، يتكرر ورودها كثيراً. كما ورد ذكر «أهل البيت» في آية التطهير، و «الصادقين» في آية: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾، و «حبل الله» في آية ﴿واعتصموا بحبل الله﴾، و «صراط الله»، و «الصراط المستقيم»، و «المؤمنين» في آية ﴿وليكم الله﴾، و «الأمانة» في آية: ﴿إنا عرضنا الأمانة...﴾.

ونحن لا نستند هنا إلى أخبار الشيعة فحسب، بل إن أهل السنة نقلوا ذلك أيضاً، وذكروه في كتبهم، ويستطيع من يشاء أن يرجع إليها، مثل كتاب «غاية المرام»، و «المراجعات» للسيد شرف الدين العاملي.

ولكن علينا أن نشير هنا إلى أن بعض الأخباريين والمحدثين من الشيعة وأهل السنة ممن لا قيمة لأقوالهم عند العلماء، قد خدعوا ببعض الأخبار، وأبدوا مثل هذا الرأي، إلا أن العلماء ردوهم، ولم يجعلوا لكتبهم أية قيمة.

لذلك؛ فينبغي أن لا تنسب إلى المتدينين أقوال تافهة لم تصدر ولن تصدر عنهم أبداً، وقد أوضحنا من قبل بأن التطرق إلى ذكر الإمامة في القرآن، لم يكن بأي حال، في صالح الدين.

□ سرقة من البهائيين:

بعد أن ينكر أبو الفضل كلبايكاني البهائي[1] معجزة الأنبياء، ويتبعه هؤلاء في

---

(١) صاحب هذا الاسم هو الذي يدور كتاب «كشف الأسرار» حول ما كتبه بشأن الدين والمتدينين، =

نهجه هذا، فإنه يستخدم لفظة النفوذ ـ التي تعني التأثير في الناس ـ للتدليل على النبوة. فلم يجد هؤلاء المفترون أتفه من هذا الكلام، فقاموا بسرقة هذا الكلام، وأخذوا يشهرونه في وجه المتدينين.

فالكاتب يقول: إن أكبر دليل على صدق النبي هو القرآن، والدليل الآخر هو الآثار التي تتركها أقواله في أتباعه. ثم يقول: «وهم يقولون: ارتد الناس بعد ثلاثة».

إن القرآن من معجزات النبي الكبرى، وقد اتضحت تفاهة القول بشأن إجراء تغييرات في القرآن، إلا أن التأثيرات التي يتركها النبي ليست دليلاً على نبوته، فقد يوجد ثمة أناس ضعاف النفوس، يصدقون بسرعة أقوال الأفاكين المفترين، ففي جميع المذاهب يظهر ثمة من يصدق كل ما يقال من قول، وإلا فإن جميع المذاهب ينبغي أن تكون صحيحة، ودعاة البوذية هم الآن أكثر من دعاة المذاهب الأخرى، مع أن هذا المذهب أصبح باطلاً.

□ تقليد أعمى:

بعض أعداء أمير المؤمنين قالوا أقوالاً كاذبة، فصار هؤلاء الحمقى يؤمنون بها إيماناً أعمى، ونورد هنا بعض هذه الأقوال، لنفضح أكاذيبهم وأباطيلهم.

يقول الكاتب: «في صدر الإسلام كانت الإمامة مسألة بسيطة أو سياسية، وكان القرآن والمسلمون يلتزمون الصمت إزاءها، إلا أن حكام إيران جعلوا الإمامة بهذا الشكل، لكي يخرجوا من تحت حكم خلفاء العرب والأتراك».

ويبرر ذلك بقوله بأن كتب ما قبل العهد الصفوي تختلف عما بعد ذلك العهد، وأن الكتب التي ألفت في الإمامة فيما بعد العهد الصفوي كانت أضخم حجماً وأكثر غلواً، ثم يخلص إلى القول بأن الصفويين أضافوا على التشيع أموراً من عندهم، خدمة

وهو الذي تكرر الإشارة إليه بألفاظ: (الأحمق) أو (المنافق) أو (المشاغب) في هذا الكتاب. (المترجم).

لمصالحهم، فآل به الأمر إلى ما آل إليه.

وقال هذا الحشاش الأحمق في كتاب «التشيع»: إن الشيعة ظهروا منذ العهد الأموي، وعلى عهد جعفر بن محمد سواه اتخذ هذا المذهب لوناً آخر.

ونحن نتطرق هنا بإيجاز إلى تاريخ التشيع مقروناً بأقوال السنة، حتى نكشف عن ضحالة معلومات هذه الشخص الإفيوني وخياناته، ولكي يطلع الجميع على ما يتقوله هؤلاء المروجون.

□ الرد على هذا القول بالمنطق:

لقد أثبتنا بالمنطق أن الإمامة التي تعني تعيين حارس للدين، وأن واضع قوانين الإسلام حتى إن كان ذا عقل عادي فإن عليه أن يعين مصير المتدينين من بعده.

ونقول هنا بأن رب العالمين الذي أوجد قوانين لحياة البشر وأحكاماً يقرها الله ورسوله ولا يريدان النقيض لها. وهذا لا يحتاج إلى أي تبيان، إذ إن من أحكام العقل الواضحة أن واضع القانون يقوم بوضع القوانين لكي يتم تنفيذها وتطبيقها، لا لكي يتم تدوينها.

وتنفيذ القوانين وأحكام السماء لم يكن مقتصراً على عهد الرسول، بل إن تنفيذ هذه القوانين ينبغي أن يستمر من بعده أيضاً؛ ولذا فإن الله ينبغي أن يعين من يقوم بتنفيذ أوامره، هو والنبي، واحدة واحدة، وأن لا يرتكب في ذلك خطأ أو خيانة، وأن لا يكون كاذباً وظالماً وانتهازياً وطامعاً وساعياً وراء الجاه والمال، ولا أن يخالف القوانين أو يدعو الناس إلى مخالفتها، ولا أن يبخل في سبيل دين الله بروحه ومصالحه.

وهذا هو معنى الإمامة، وممتلك هذه الخصال هو الإمام، وبشهادة كتب التواريخ المهمة، والأخبار المتواترة عن السنة والشيعة، فإن أحداً غير علي بن أبي طالب[1] ـ من

---

(١) أشرنا قبل هذا إلى مخالفات أبي بكر وعمر للقرآن، ومن يريد المزيد فليراجع كتاب «الفصول =

بعد النبي ـ لم يمتلك مثل هذه الخصال والصفات[1].

وقد يقال: وبأي شيء يمكن أن يحكم العقل؟

فنقول: إن العقل أوجد من أجل التلاوة أو تنفيذ القوانين والأحكام الموضوعة. وإن كان يريد ذلك، هل كان يريده لعهد الرسول أم للعهد التالي لذلك، لو كان يريد ذلك لعهد ما بعد الرسول فهل ينبغي أن يكون هناك من ينفذ القوانين؟ أم أن لكل أن يفعل ما يريد ووفق ما يدرك؟

عليكم أن تعترفوا بأنه لم يرد الفوضى، وأنه معاد للخطإ وللإدراك الخاطيء. إذ إن تنفيذ القانون أمر منوط بواضع القانون نفسه، لا أن يأتي من هب ودب ليفعل ما يريد وفق ما يريد. ولذا فإن الله يجب أن يعيِّن طريقاً لفهم القانون؛ الذي تختلف بالضرورة آراء الناس بشأنه . . . حتى يعود الجميع إليه، فيأخذ القانون مجراه بشكل طبيعي، ومن يتم اختياره لهذه المهمة، ينبغي أن تتوفر فيه الخصائص التي ذكرناها حتى يتحقق الغرض.

ولذا؛ فكما أن الله والرسول ينظران إلى الدين والقرآن باهتمام، فإن الإمامة ينبغي أن تكون لها نفس المكانة عندهما، إذ إن الإمامة هي المنفذة للقانون الذي هو الهدف الأساسي للدين وسن القوانين.

ومن هنا فإن سن القوانين بدون وجود الإمامة يكون لغواً وهراء، بل وعملاً صبيانيًا وخارجاً عن معايير العقل، فبالإمامة يكتمل الدين، والتبليغ يتم.

وحتى نوضح؛ إحدى آيات القرآن التي كانت قد نزلت بعد في حجة الوداع،

= المهمة» (غ).

(١) هكذا يعمم الخميني دائماً دون دليل ودون بينة . . . والقول المجرد عن البرهان حقيق أن يرمى بوجه صاحبه.

وعقب تنصيب أمير المؤمنين إماماً، وذلك بشهادة من الشيعة وأهل السنة. فالآية [٥] من سورة المائدة تقول:

﴿اليومَ أكملتُ لكُم دينَكم وأتممْتُ عليكُم نعمتي ورضيتُ لكُمُ الإسلامَ ديناً﴾.

وواضح بأن النبي لو كان قد بلغ بأمر الإمامة طبقاً لما أمر به الله، وبذل المساعي في هذا المجال، لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات والمشاحنات والمعارك ولما ظهرت ثمة خلافات في أصول الدين وفروعه[١].

بل وحتى الخلافات الموجودة بين المجتهدين من الشيعة، إنما مردها إلى يوم السقيفة، ذلك أن اختلاف الآراء ناشيء من اختلاف الأخبار، وفي الغالب ناشيء من الأخبار الخاصة بالتقية، والتي أوردنا ذكرها من قبل، ولو كانت الإمامة قد أُعطيت لأهلها لما كان للتقية ثمة احتياج.

إذاً فإن كل ما يعاني منه المسلمون اليوم إنما هو من آثار يوم السقيفة.

□ الرد على ذلك بأقوال من الله:

أشرنا من قبل إلى آيات القرآن بشأن الإمامة، وأوضحنا بأن الإمامة إنما هي من أصول الإسلام، وقلنا من هو الذي يجب أن يكون إماماً، ونشير هنا إجمالاً إلى بعض الآيات، ونستشهد بأخبار أهل السنة بشأن الموضوع[٢]، حتى نثبت بأن الله قد اهتم بموضوع الإمامة، لكي نؤكد لهؤلاء الحمقى بأن الإمامة ليست مسألة هينة أو سياسية،

---

(١) يذكر خميني فيما سبق من كتابه هذا؛ «كشف الأسرار»، أن النبي ﷺ كان متهيباً ومتخوفاً، ولكنه بعد ذلك بلَّغ لأن الله أمره!

ثم يعود هنا ويؤكد بأن النبي ما بلغ، وما بذل المساعي، ولذلك نشبت الاختلافات والمشاحنات في أصول الدين وفروعه؟!

فأي رأي من آراء خميني تصدق؟!

(٢) يراجع بشأن ذلك كتاب «غاية المرام» الباب ٣٩ ـ ٤٠. (خ).

حتى يسكت القرآن والمسلمون عنها، بل إن الله والمخدرات المحصنات المؤمنات[1] أبدوا ـ جميعاً ـ رأيهم في ذلك، وبذلوا ما في وسعهم من أجله. لكن الحزب المتهالك على الحياة والرئاسة سد الطرق أمام التدين القائم على العدالة وترك الشهوات والتفاني.

ونأتي الآن على ذكر آيات من القرآن، يشهد أهل السنة المعارضين لإمامة علي بأنها نزلت بشأن علي وإمامته.

١ ـ الآية [٥] من سورة المائدة:

﴿اليومَ أكملتُ لكُم دينَكُم وأتمَمْتُ عليكُم نِعْمَتي ورضيتُ لكُم الإسلامَ ديناً...﴾.

وفي «غاية المرام»[2] ـ الباب السادس، توجد ستة أحاديث من أهل السنة[3]، تقول: إن هذه الآية نزلت في يوم غدير خم، حيث اختار رسول الله عليًّا للإمامة، وجاء في معظم تلك الأحاديث أن النبي قال: الله أكبر على إكمال الدين وتمام النعمة ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي.

٢ ـ الآية الأولى من سورة المعارج:

﴿سأَلَ سائِلٌ بعذابٍ واقعٍ﴾.

عندما سمع النعمان بن الحارث بأن النبي نصب في يوم الغدير أمير المؤمنين إماماً، جاء النبي قائلاً:

---

(١) إشارة إلى اعتراض فاطمة الزهراء عبر خطبتين نقلهما أهل السنة، تراجع الصفحة ٢٧٥ من كتاب «المراجعات». (خ).

(٢) هذه النقول في هذا الفصل عن أهل السنة مصدرها «غاية المرام»، وهو كتاب شيعي للبحراني، وهو دليل على عجز الخميني من إثبات دليل صحيح من كتب أهل السنة، فلجأ إلى الأفاكين أمثاله، الذين يكذبون على أهل السنة.

(٣) يراجع «غاية المرام». (خ).

لقـد أمرتنا ـ من قبل الله ـ أن نشهد بوحدانية الله، وبرسالتك، وأمرتنا بالجهاد والحج والصيام والصلاة؛ فقبلنا بذلك، فلم تكتف بذلك، حتى نصبت هذا الصبي إماماً، وقلت: «من كنت مولاه فإن عليًّا مولاه»، هل جئت بذلك من عندك أم من عند الله؟ فأقسم النبي بأنه من عند الله، فأدار النعمان وجهه، وقال: ربَّاه، لو كان هذا صحيحاً فابعث لنا صخرة من السماء. فأرسل الله في الحال صخرة أصابت رأسه وقتلته. ثم نزلت هذه الآية.

وقد نقل ذلك الإمام الثعالبي في «تفسيره الكبير»، والعلامة المصري الشبلنجي في كتاب «نور الأبصار»، والحلبي في الجزء الثالث من «سيرته» في حجة الوداع، والحاكم في «المستدرك» ص٥٠٢ من الجزء الثامن، وهؤلاء جميعاً من مشاهير أهل السنة[1].

٣ ـ الآية [٦٠] من سورة المائدة:

﴿إنَّما وليُّكم الله ورسولُه والذينَ آمَنوا الذينَ يقيمونَ الصلاةَ ويؤتونَ الزكاةَ وهم

---

(١) لقد ذكر الشيخ الشبلنجي في لفظة المولى ما يلي (ص١٣٨):

«قال العلماء: لفظ المولى يستعمل بإزاء معان متعددة، ورد بها القرآن العظيم، فتارة يكون بمعنى: «أولى»، قال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾، أي: أولى بكم. وتارة بمعنى: «الناصر»، قال الله تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾، أي: لا ناصر لهم. وبمعنى: «الوارث»، قال الله تعالى: ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون﴾، أي: ورثته. وبمعنى: «العصبة»، قال تعالى: ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾، أي: عصبتي. وبمعنى: «الصديق»، قال الله تعالى: ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً﴾. وبمعنى «السيد» و«المعتق» . . . .».

وإضافة لذلك فإن عنوان كتاب الشبلنجي هو «نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار»، وقد ذكر المؤلف فيه نسب النبي ﷺ، وخصائصه، ودلائل نبوته، وشمائله، وغزواته، وذكر مناقب الصحابة؛ أبي بكر وعمر وعثمان، كما ذكر أن شيعة علي هم أهل السنة، لأنهم هم الذين أحبُّوه كما أمر رسول الله ﷺ، لا الروافض وأعداؤه الخوارج.

راكِعونَ﴾.

وقد جاء في أربعة وعشرين حديثاً من أحاديث أهل السنة بأن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب، وننقل هنا واحدة من تلك الأحاديث التي ذكرها أهل السنة.

الحموي؛ وهو من كبار علماء أهل السنة، والثعالبي، بالإسناد إلى عباية بن ربعي؛ قالا بأن ابن عباس كان يجلس على حافة بئر زمزم، وينقل الأحاديث عن النبي، فجاءه رجل يلف عمته حول وجهه، وكلما كان ابن العباس ينقل حديثاً، كان ينقل هو حديثاً آخر، فقال له ابن العباس: بالله عليك من تكن؟ فأزاح العمة عن وجهه، وقال: فليعرفني من يعرفني ومن لم يعرفني، فأنا أبو ذر الغفاري، وقد سمعت بأذنيَّ هاتين؛ يصيبهما الصمم، ورأيت بعيني هاتين؛ يصيبهما العمى، بأنه كان يقول بأن عليًّا ولي المتقين وقاتل الكفار، أعان الله من يعينه، وخذل من يخذله.

واعلموا أني كنت ذات يوم أؤدي مع النبي صلاة الظهر، فجاء سائل المسجدَ يسأل شيئاً، فلم يعطه أحد، فرفع يديه إلى السماء، وقال: اشهد يا رب بأني سألت في مسجد النبي حاجة فلم يعطني أحد شيئاً؛ وكان علي بن أبي طالب في حالة الركوع، فأشار إليه أن يخرج خاتماً صغيراً في إصبع يده اليمنى، فتقدم السائل وأخرج الخاتم، وقد وقع ذلك أمام أنظار الرسول، وعندما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء، وقال:

ربَّاه؛ إن موسى سألك وقال: «رب اشرح لي صدري ويسر أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل معيني هارون أخي فاشدد ساعدي به واجعله شريكي». فأنزلت عليه القرآن قائلاً ما زال مبكراً أن أشدد من ساعدك به، وأسلطكما على الفراعنة، فلا تنالكما أيديهم.

ربَّاه؛ إني نبيك وصفيك محمد، رب اشرح لي صدري ويسر أمري واجعل معيني من أهلي، وهو علي، لتسند به ظهري.

قال أبو ذر: قبل أن يتم النبي كلامه، جاء جبرائيل من عند الله تعالى، وقال: اقرأ يا محمد! قال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ:

﴿إنَّما وليُّكُم الله ورسولُه والذينَ آمَنوا الذينَ يقيمونَ الصلاةَ ويؤتونَ الزَّكاةَ وهُم راكِعونَ﴾.

ويقول موفق بن أحمد ـ وهو من علماء أهل السنة ـ بأن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية بأن ثمة أموراً نزلت بشأن علي بن أبي طالب، تنص على أنه لا يشاركه أحد، ومنها هذه الآية.

ويقول ابن شهراشوب بأن هذه الآية ـ بإجماع الأمة ـ قد نزلت في أمير المؤمنين.

ويقول القوشجي، وهو من كبار أهل السنة، في «شرح التجريد»، بأن هذه الآية نزلت في علي.

٤ ـ الآية [٩٧] من سورة آل عمران:

﴿واعْتَصِموا بحبلِ الله جميعاً ولا تَفَرَّقوا . . .﴾.

وقد نُقِلَت عن أهل السنة أربعة أحاديث بأن حبل الله الذي ينبغي أن يتمسك به الناس هو علي بن أبي طالب.

٥ ـ الآية [١٢٠] من سورة التوبة:

﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا اتَّقوا الله وكونوا مع الصادِقينَ﴾.

وقد وردت سبعة أحاديث لأهل السنة، بأن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب.

وينقل ابن شهراشوب عن «تفسير أبي يوسف» يعقوب بن سفيان قوله بأن مالك بن أنس روى عن نافع عن ابن عمر بأن الله أمر أصحاب الرسول أن اتَّقوا الله وكونوا مع الصادقين . . . وهم محمد وأهل بيته.

٦ ـ الآية [٢٤] من سورة الصافات:

﴿وقفوهُم إنَّهم مسْؤولونَ﴾.

وهناك ثمانية أحاديث وردت عن أهل السنة بأنهم يوقفون الناس في يوم القيامة، ويسألونهم عن ولاية علي بن أبي طالب، وتروي بعض تلك الأحاديث بأنه يتم في يوم القيامة السؤال عن تلك الولاية التي أكّدها النبي لعليّ؛ حيث قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

٧ ـ الآية [١١٨] من سورة البقرة:

﴿إنّي جاعِلُكَ للنّاسِ إماماً قالَ ومِن ذُرِّيَتي قال لا يَنالُ عهدي الظالِمينَ﴾.

وقد ورد عن أهل السنة حديثان حول هذه الآية، نذكر أحدهما بإيجاز: ابن مغازل الشافعي يسند إلى ابن مسعود، فيقول: إن النبي قال: إني مشمول بدعاء إبراهيم الذي ناشد قائلاً: اللهم أبعدني وأولادي عن عبادة الأوثان. فقال الله بأن عهد الإمامة لا يبلغ الظالمين، وكان دعاء إبراهيم يشملني وعليًّا، فكلانا لم يعبدها، ولذا فإن الله جعلني رسولاً، وجعل عليًّا وصيًّا.

٨ ـ الآية [٤٥] من سورة النحل:

﴿فاسألوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنتُم لا تَعْلَمونَ﴾.

وردت عن أهل السنة ثمة ثلاثة أحاديث تقول بأن المقصود من أهل الذكر هو علي ابن أبي طالب.

٩ ـ الآية [٤٠] من سورة البقرة:

﴿وارْكَعوا معَ الراكِعينَ﴾.

وقد وردت أربعة أحاديث من أهل السنة بأن هذه الآية نزلت بشأن النبي وعلي.

١٠ ـ الآية [٨] من سورة الرعد:

﴿إنَّما أنتَ منذرٌ ولِكُلِّ قومٍ هادٍ﴾.

وقد وردت سبعة أحاديث عن أهل السنة تفيد بأن المنذر هو النبي، والهادي هو علي بن أبي طالب.

فإبراهيم الحموي؛ وهو من كبار أهل السنة، يسند إلى أبي هريرة، فيقول: إن النبي كان يقول: إنما أنت منذر، ويضع يده على صدره، ثم يضع يده في يد علي، ويقول: لكل قوم هاد.

وللاختصار نترك الآيات الأخرى التي وردت عن طريق أهل السنة بشأن علي وأولاده.

ومن يريد المزيد من الاطلاع على ذلك فليراجع كتاب «غاية المرام»، تأليف العالم الجليل السيد هاشم البحراني، حيث سيجد مئة وأربعين آية قرآنية وردت عن طريق الشيعة وأهل السنة، بأن الإمام هو أمير المؤمنين، حتى تتأكد لديه الأهمية التي أعارها الله للامامة.

□ الرد على هذا الحديث بأحاديث النبي:

ليعلم القراء المحترمون، بأن البحث في الإمامة، ولا سيما من خلال أحاديث النبي الواردة عن طريق الشيعة وأهل السنة، خارج عن نطاق هذا الكتاب، لكننا بهدف فضح هؤلاء الحمقى، نورد أحاديث تناقلها أهل السنة المناوئين لنا، عن مبدإ الإمامة، ومن يريد المزيد فليراجع الكتب التي ألفت في الإمامة منذ صدر الإسلام وحتى الآن، وسوف نورد أسماء بعض هذه الكتب فيما بعد، حتى يتضح ما يقوله هؤلاء الخونة المخادعون من أن هذه الأمور لم تكن موجودة في صدر الإسلام، وأن الصفويين هم الذين روجوها.

ونورد فيما يلي أحاديث حول الإمامة، تمّ تأليفها قبل ظهور الصفويين.

١ ـ الأحاديث عن غدير خم ـ وعددها وفق اطلاع صاحب «غاية المرام» يبلغ تسعة وثمانين حديثاً ـ قام أهل السنة بنقل معظمها من كتاب «المسند» لأحمد بن حنبل؛ وهو من كبار أئمة السنة، وكانت وفاته سنة ٢٤١هـ في بغداد. و «المسند» هو من أكبر كتب أهل السنة.

كما نقلوا العدد الأخر منها عن ابن المغازلي الشافعي المتوفى سنة ٤٨٣هـ، وعن السمعاني المتوفى سنة ٥٢٢هـ، وعن ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٥هـ، وعن الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ، والبعض الآخر عن «صحيح مسلم» المتوفى سنة ٢٦١هـ، و «صحيح الترمذي» المتوفى سنة ٢٧٩هـ، و «صحيح أبي داود» المتوفى سنة ٢٧٥هـ.

ومن يريد الاطلاع على الأحاديث المتعلقة بالغدير فليرجع إلى كتاب «عبقات الأنوار» لمؤلفه حامد حسين الهندي، حيث إن أربعة مجلدات فيه تتحدث عن الغدير. ويقال: إن هذا الكتاب الذي يتحدث عن الإمامة يقع في ثلاثين مجلداً، وقد عثرنا على ثمانية مجلدات منه. ويحاول أهل السنة جمع مجلدات هذا الكتاب لإتلافها، ونحن الشيعة نغط في النوم إلى أن نفقد من أيدينا مثل هذا الكنز الثمين.

والمجلد الخاص بالغدير يتم طبعه الآن، ولكن على العلماء الآخرين أن لايسمحوا بضياع هذا الكتاب، الذي يعتبر أفخم مرجع ديني، وأن يعملوا على إعادة طبعه.

ونذكر فيما يلي بعض الأحاديث الخاصة بالغدير، حتى لا يقول هؤلاء الحمقى بأنه لم يكن في صدر الإسلام أمراً مطروقاً[1].

---

(١) أحاديث الموالاة لا دليل فيها على الإمامة. وانظر تفصيل ذلك في «إتحاف ذوي النجابة» لمحمد العربي بن التباني، (ص١٤١) وما بعدها.

□ ابن المغازلي ينقل حديث الغدير:

أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن المغازلي ـ وهو من كبار المحدثين وأعاظم رجال أهل السنة ـ قال بأن أمير المؤمنين طلب ـ وهو على المنبر ـ ممن كان حاضراً في يوم الغدير أن يشهد، فنهض اثني عشر شخصاً، وشهدوا بأن النبي قال يومذاك: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». وكان بين هؤلاء الاثني عشر رجلاً كل من أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وأنس بن مالك.

ويقول ابن المغازلي بعد ذلك بأن أبا القاسم بن محمد ذكر في كتاب «المناقب» بأن هذا الحديث صحيح، وأن مئة شخص قد نقلوا عن رسول الله هذا الحديث، وأن علي بن أبي طالب هو الفريد في هذه الفضيلة.

□ ابن عقدة يصنف كتاباً في حديث الغدير:

أبو العباس أحمد بن محمد بن سعد المعروف بابن عقدة، ولد سنة ٢٤٤هـ، ويعتبر من أعاجيب وكبار أهل السنة، وقد قال عنه الدارقطني: إن أهل الكوفة متفقون بأنه منذ عهد عبد الله بن مسعود، وحتى عهد ابن عقدة، لم يظهر شخص أكثر حفظاً من ابن عقدة.

وإنه ألف كتاباً في سند حديث الغدير، نقل فيه أقوال مئة شخص حول ذلك. ومن الذين نقل عنهم كل من: علي بن أبي طالب، والحسن بن علي، والحسين بن علي، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وسلمان، وأبي ذر، وعمار، والمقداد، وابن عباس، وابن مسعود، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن مالك، وأبي أيوب، وعبد الله بن عمر، وعدي بن حاتم، وحذيفة، بالإضافة إلى عدد من النسوة مثل: فاطمة عليها السلام، وعائشة، وأم سلمة، وأم هانيء، وأسماء بنت عميس.

ثم أشار ابن عقدة إلى ثمانية وعشرين دون أن يذكر اسمهم، قال: إنهم نقلوا حديث الغدير.

□ الطبري يصنف كتاباً في حديث الغدير:

محمد بن جرير الطبري، المولود سنة ٢٢٤هـ، وهو من كبار المحدثين، وأعاظم مؤرخي أهل السنة، كان متظلعاً في جميع العلوم، بشكل لا يدانيه فيه أحد.

صنف كتاباً في طرق حديث الغدير في مجلدين ضخمين اسمه «الولاية».

يقول الذهبي: رأيت ذلك الكتاب، ودهشت من الكثير من طرقه.

وقال اسماعيل بن عمر بن كثير ـ وهو من كبار علماء أهل السنة ـ: «رأيت للطبري كتاباً جمع فيه الأحاديث الخاصة بغدير خم، وجعله في مجلدين كبيرين».

□ الحسكاني يصنف كتاباً في أحاديث الغدير:

أبو القاسم عبد الله الحسكاني المتوفى سنة ٤٧٠هـ، ألف كتاباً في سند حديث الغدير، أسماه «دعاة الهداة إلى أداء حق الموالاة»، وقد أثنى السيوطي ـ وهو من كبار علماء أهل السنة ـ على الحسكاني وامتدحه.

□ تصنيف السجستاني في حديث الغدير:

أبو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني المتوفى ٤٧٧ هـ، من كبار المحدثين والحفاظ لدى أهل السنة.

يقول عنه عبد الله بن محمد عبد الواحد؛ وهو من أكابر الحفاظ: إني لم أجد من يفوقه في الحفظ والإتقان، ألّف كتاباً في جمع طرق حديث الغدير، أسماه كتاب «دراية حديث الولاية»، نقل فيه أحاديث عن عشرين من صحابة النبي؛ مرفقاً ذلك بألف وثلاث مئة سند.

□ تصنيف الذهبي في حديث الغدير:

شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي المولود سنة ٦٧٣هـ، وهو من كبار العلماء والمحدثين، قال عنه السبكي في «طبقات الشافعية»: إنه محدث العصر، وخاتم

الحفاظ، والقائم بأمر الحديث، وحامل راية أهل السنة، وهو من حيث الحفظ والإتقان إمام أهل العصر، وهو سني، وله كتاب في حديث الغدير.

□ كلام الجويني في ثمانية وعشرين مجلداً في الغدير:

محمد بن علي بن شهراشوب المتوفى سنة ٥٨٨هـ، من فحول علماء أهل السنة، ومن كبار المحدثين، امتدحه وأثنى عليه كل من الصفدي في «الوافي بالوفيات»، والفيروزآبادي في «البلغة»، والسيوطي في «بغية الوعاة»، وابن بطوطة في «تاريخه».

وقال عنه حسين بن خير في كتاب «نخب المناقب»: إن أبا المعالي الجويني كان يقول: وجدت في بغداد كتاباً عند الصحاف، وردت فيه روايات عن حديث الغدير، وقد كتب فيه: إنه المجلد الثامن والعشرين عن طرق الحديث.

وقد نقل عن ابن كثير الفقيه الشافعي الدمشقي قوله بأن أبا المعالي الجويني قد تعجب من وجود هذا الكتاب لدى الصحاف.

والجويني هو من فحول أهل السنة، أفرد العلامة اليافعي عدة صفحات من «مرآة الجنان» في مدحه، واصفاً إياه أستاذ الفقهاء والمتكلمين . . . كانت وفاته سنة ٤٧٨هـ.

إن تواتر حديث الغدير عن أهل السنة والجماعة ليس فيه أي شك[١].

ولو أردنا ذكر أهل السنة ممن نقلوا هذه الأحاديث لما وسع حجم هذا الكتاب.

□ ذكر حديث المنزلة في إمامة علي[٢]:

من أحاديث رسول الإسلام عن إمامة أمير المؤمنين حديث المنزلة، وقد تواتر لدى

---

(١) إن هذا الجمع من الأئمة الأثبات الذين صححوا حديث الغدير، لم يفهموا منه إمامة علي.

(٢) حديث المنزلة لا يدل على إمامة علي من وجوه ذكرها مؤلف «إتحاف ذوي النجابة» (ص١٣٩ - ١٤١)، فليراجع.

أهل السنة والشيعة بأن النبي قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي من بعدي».

وقد أورد السيد هاشم البحراني هذا الحديث مع مئة سند عن طريق أهل السنة، معظمها من كتب الصحاح الستة التي تعتبر من أكبر كتب أهل السنة. وننقل فيما يلي ما في كل واحد من هذه الكتب من أحاديث بهذا الخصوص حتى يتضح بأن الإمامة ليست شيئاً جديداً، بل إن النبي هو الذي بذر بذرتها، بأمر رب العالمين.

أ ـ نقل حديث المنزلة عن «صحيح البخاري»:

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المولود سنة ١٩٤هـ، يقول في «صحيحه»:

«قال النبي لعلي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى».

وفي بعض أحاديثه يلحق بهذا الحديث عبارة: «إلا أنه لا نبي من بعدي».

ويعتبر البخاري[1] زعيم أهل الحديث وقدوتهم، ويلقب بأمير الحديث وناصر الأحاديث النبوية، وناشر مواريثها.

وعند مسلم صاحب «الصحيح»، يأتي إليه يقول له: دعني أقبل قدميك يا سيد المحدثين ويا معلم المعلمين.

وقال الترمذي فيه: لم أجد مثله من جعله الله زينة هذه الأمة.

أما ابن خزيمة فقد قال فيه: ليس تحت السماء من هو أدرى منه بالحديث، وأكثر حفظاً له.

والخلاصة أن أهل السنة جعلوه على رأس المحدثين، وعدُّوا صحيحه من أكبر الكتب.

---

(١) يراجع كتاب «أشعة اللمعات» للشيخ عبد الحق الدهلوي (خ).

وفي هذا الكتاب الكثير من الأحاديث عن المذهب الشيعي وأحقيته، وذلك على الرغم من العداء الذي كان البخاري يكنه لهذا المذهب[1].

وقد قال البخاري: إنني استخرجت هذا الكتاب من ست مئة ألف حديث، وتلك حجة بيني وبين الله، ولم أذكر في الكتاب غير الأحاديث الصحيحة.

ب ـ عن «صحيح مسلم»:

أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري المولود سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦هـ، ينقل حديث المنزلة عبر سبعة طرق.

ومسلم[2] هو أحد كبار علماء وحفاظ الأمة، ويعتبر عند أهل الحديث زعيماً وقدوة.

سألوا ابن عقدة: من هو الأعلم؛ البخاري أم مسلم؟ فقال: كلاهما عالم. فأصروا عليه، فقال: البخاري يقع في الخطإ أحياناً، إلا أن أخطاء مسلم أقل.

وقال الخطيب البغدادي بأن مسلماً سار على نهج البخاري، وأبدى رأيه في علمه، وكان يعتبره أهل السنة من طراز البخاري، وفي مقدمة المحدثين، ويضعون «صحيح مسلم» في مصاف «صحيح البخاري»، بل ويعدُّونه أصح الكتب بعد القرآن.

وقد قال ابن حجر في «الصواعق»: «روى الشيخان؛ البخاري ومسلم في «صحيحيهما» اللذين هما من أصح الكتب بعد القرآن بإجماع من يعتد به».

ج ـ عن «صحيح» الترمذي وأبي داود:

أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، هو أحد العلماء الأعلام، وكبار محدثي

---

(١) كيف يكنُّ البخاري رحمه الله عداء للمذهب الشيعي، ثم يذكر الكثير من الأحاديث عن المذهب الشيعي وأحقيته!؟ حبذا لو دلنا خميني أين وردت بالصفحة والرقم؟!

(٢) «أشعة اللمعان»، يراجع القسم الخاص بشرح أحوال هؤلاء المشايخ.

أهل السنة، ويشترك مع البخاري في الأخذ من بعض المشايخ، ويضرب به المثل في الحفظ والضبط. و«صحيحه» أحد الكتب الستة لأهل السنة، وأكبرها.

وقد قال الترمذي عن كتابه هذا: إنني ألفته وعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان ففرحوا به؛ ومن يوجد هذا الكتاب في بيته، كمن يوجد النبي في بيته، ويتحدث معه.

أما أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني فهو من كبار مشايخ أهل السنة، ومتقدم عليهم، وعرف عندهم بالورع والزهد والمهارة في الحديث، وكتابه المسمى بـ «السنن» من إحدى الصحاح الستة لأهل السنة.

وينقل عنه قوله: إنني ضبطت خمس مئة ألف حديث ودونتها، أخذت منها أربعة آلاف وست مئة حديث وضعتها في كتابي، وهي أحاديث صحيحة.

وقد تناول الاثنان حديث المنزلة، وحديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه» في «صحيحيهما».

د ـ حديث المنزلة في «مسند أحمد»:

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ، هو أحد أئمة السنة وقدوتهم، عرف بالزهد والتقوى، ويقال: إنه بواسطته عرف السقيم من الصحيح، والمجرح من المعدل.

ويروون عنه مثلما يروون عن البخاري ومسلم وأبي داود السجستاني.

وقد قال عنه أبو زرعة وإسحاق بن راهويه: إنه حجة بين الله وعباده على الأرض.

وقال الشافعي: خرجت من بغداد، ولم أجد فيها من هو أورع وأتقى وأعلم من أحمد بن حنبل.

ويعتبر كتاب «المسند» من الكتب المشهورة والمعتمدة لدى أهل السنة، وفيه

ثلاثون ألف حديث، ونُقِل عنه أنه اختار كتابه من سبع مئة وخمسين ألف حديث. وقد نقلوا[1] عن هذا الكتاب أحاديث عن المنزلة عبر تسعة عشر طريقاً.

هـ ـ حديث المنزلة عند ابن ماجة والنسائي:

* أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هـ، هو أحد زعماء أهل السنة وشيوخها، ويعتبر كتابه «سنن ابن ماجه» أحد الصحاح السنة التي تعتبر من أكبر كتبهم.

* أما أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي، فهو من كبار عصره، ومعروف بالتهجد والعبادة والصوم.

وقد قال الحاكم: إن النسائي أفقه أهل مصر في عصره.

وقال الذهبي: إنه أكثر حفظاً من مسلم. وإن كتابه معروف باسم «سنن النسائي».

وقد صنف النسائي في مصر كتاب «الخصائص في مناقب أمير المؤمنين»، وكانت وفاته سنة ٣٠٣هـ.

ونقلاً عن محمد بن يوسف الشافعي في «كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب» أن ابن ماجه والنسائي يتحدثان في كتابيهما عن المنزلة.

يتبين إذاً أن هذا الحديث منقول في جميع كتب صحاح أهل السنة، وأن الناقلين الآخرين لهذا الحديث هم من كبار مشايخ أهل السنة والجماعة ... فترك الحديث عنهم للإيجاز.

□ تواتر الأحاديث النبوية استناداً إلى أهل السنة[2]:

الكثير من الدارسين وكبار علماء العامة وصفوا حديث المنزلة بالتواتر.

---

(١) يراجع كتاب «غاية المرام». (خ).

(٢) يراجع كتاب «العبقات». (خ).

فالحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨هـ، بعد أن ذكر حديث المنزلة في «كفاية الطالب»، ذكر بأن هذا حديث متفق على صحته، وقد رواه أعلام الحفاظ . . . مثل البخاري في «صحيحه»، ومسلم في «صحيحه»، وأبي داود في «السنن»، والترمذي في «جامعه»، والنسائي وابن ماجة في «السنن». وجميع هؤلاء متفقون ومجمعون على صحة ذلك.

وقال الحاكم النيسابوري: إن هذا الحديث يصل حد التواتر . . .

أما السيوطي فقد اعتبر هذا الحديث من ضمن المتواترات.

واعتبر ابن حجر الحديث الذي نقله ثمانية من الصحابة . . . حديثاً متواتراً.

فيما قام أبو القاسم علي بن محسن التنوخي، وهو من كبار أهل السنة، وكانت وفاته سنة ٤٤٧هـ، قام بتأليف كتاب خاص في إثبات هذا الحديث، راوياً ذلك عن أكثر من عشرين من صحابة الرسول[1] من بينهم: علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وزيد بن الأرقم، وأبي رافع، وحذيفة بن أسيد، وأنس بن مالك، وسواهم.

□ حديث الثقلين في إمامة الأئمة[2]:

من الأحاديث المتواترة عند أهل السنة والشيعة، وتنص على إمامة علي وأولاده . . . حديث الثقلين، وهو حديث منقول عن أكثر من عشرين شخصاً من صحابة الرسول، وعبر تسعة وثلاثين حديثاً عن طريق أهل السنة، من ذلك: «صحيح مسلم» و «صحيح أبي داود» و «صحيح الترمذي» و «مسند أحمد بن حنبل»، و «مستدرك

---

(١) أبى الله إلا أن يظهر الحق ولو كره الباطنيون، فهؤلاء القوم من صحابة رسول الله ﷺ باعتراف الخميني، وهم الذين رووا حديث المنزلة الذي يحتج به الخميني على الإمامة . . . فإن كانوا محرفين وطامعين فلماذا لم يطمسوا هذا الحديث . . . ولكن الشيعة لا يعقلون.

(٢) يراجع كتاب «العبقات» و «غاية المرام». (خ).

الحاكم»، وسواهم من ثقاة أهل السنة والجماعة.

وننقل هنا حديثاً عن «صحيح» الترمذي وأبي داود، ومن أراد المزيد فليراجع كتاب «غاية المرام»، وكتاب «العبقات»، وهما من صحاح أهل السنة.

فقد نقل عن زيد بن الأرقم قوله: «قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله؛ حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني في عترتي».

وفي رواية لأحمد بن حنبل عن زيد بن ثابت أن النبي قال: إنني أترك فيكم خليفتين لي؛ أحدهما: كتاب الله، والآخر: أهل بيتي، وكلاهما لن يفترقا عني حتى يردا علي الحوض . . . أي: إنهما يبقيان معاً حتى القيامة.

□ حديث السفينة حول الإمامة:

ومن الأحاديث المسلمة المتواترة هو حديث تشبيه أهل البيت بسفينة نوح.

وقد ورد في ذلك أحد عشر حديثاً، عن طريق أهل السنة[1]، نذكر حديثاً واحداً منها.

أبو الحسن علي بن محمد الخطيب الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٨٣هـ، نقل في كتاب «المناقب» عن ابن عباس قوله: قال رسول الله: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك».

□ أحاديث صريحة في خلافة علي:

ورد أكثر من خمسين حديثاً عن طريق أهل العامة[2] بأن النبي قد قال: «إن

---

(١) يراجع كتاب «غاية المرام» بهذا الشأن، وبشأن الأبواب التالية. (خ).

(٢) هم أهل السنة كما ينعتهم الخميني وشيعته. وذلك تقليداً ليهود، الذين ينعتون أبناء غير جنسهم =

الخلافة في علي، مثلما النبوة فيّ». أو قال: «علي خليفتي من بعدي».

وقد نقل ابن المغازلي الشافعي في كتاب «المناقب» عن أبي ذر الغفاري قوله: «قال رسول الله: من ناصب عليًّا الخلافة بعدي؛ فهو كافر، وقد حارب الله ورسوله، ومن شك في علي؛ فهو كافر».

وقد نقل عن «مسند أحمد بن حنبل» إمام أهل السنة حديث مطول جاء فيه: بعد أن سمع ابن عباس أقوال المنافقين عن أمير المؤمنين، نهض وقال: أف ولعنة على من يسيؤون القول في من له عشر صفات، ثم يعدد الصفات واحدة واحدة، إلى أن يقول بأن النبي قال عنه: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، ألا إنك لست بنبي، وإنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي».

◻ أحاديث صريحة في وصاية علي:

وهناك أحاديث كثيرة عن العامة[1] قد تصل إلى ستة وخمسين حديثاً، قال فيها النبي: إن عليًّا هو وصيِّي.

من هذه الأحاديث حديث أحمد بن حنبل في «مسنده» نقلاً عن أنس بن مالك: إننا قلنا لسلمان الفارسي: سل النبي: من هو وصيك؟ فسأل سلمان، فقال النبي: يا سلمان! من هو وصي موسى؟ قال: يوشع بن نون. قال: وصيي ووارثي الذي يقضي بديني وينجز مواعيدي هو علي بن أبي طالب.

وقد نقل المغازلي الشافعي في «المناقب» أحاديث من بينها حديث يصل إلى عبد الله بن بريدة، يقول فيه: «قال رسول الله: لكل نبي وصي ووارث، وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب».

بتلك اللفظة!!

(١) انظر التعليق السابق.

□ الإمامة صنو النبوة :

من يعرف شيئاً عن بدايات ظهور الإسلام، وأول أيام الدعوة النبوية، يوقن بأن الإمامة كانت منذ اليوم الأول وحتى آخر أنفاس رسول الإسلام صنواً للنبوة[1].

وقد أمر الله رسوله: ﴿أنذِرْ عشيرَتَكَ الأقربينَ﴾، فدعا النبي الأقربين إليه، وكانوا حوالي الأربعين شخصاً، بينهم أعمامه، وقال مخاطباً إياهم: يا أبناء عبد المطلب! والله لا أعرف في العرب من جاء إلى قومه بأحسن مما جئتكم به؛ لقد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فمن منكم يصبح وزيري؟ فقال علي؛ وكان أصغر الجميع: يا رسول الله! أنا أصبح وزيرك. فأمسك النبي برقبة علي وقال: هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فأطيعوه جميعاً، وأْتمروا بأمره. وعند ذاك نهض أقارب النبي، وضحكوا، وقالوا لأبي طالب: لقد أمرك أن تطيع ابنك وأن تأتمر بأمره.

□ ذكر المؤرخين لهذه القضية :

ذكرنا قبل هذا أن ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، ألف كتاباً في مجلدين ضخمين في طرق حديث الغدير، كما أنه ألف كتاباً آخر في جمع طريق حديث الطير، وهو في إثبات الإمامة.

وما رويناه سابقاً ذكره الطبري في الجزء الثاني من كتاب «تاريخ الأمم والملوك».

وتاريخ الطبري يعتبر من الكتب التي أثنى عليها علماء فن التاريخ والسير.

---

(١) الصنو هو المثل والمكافيء . . . وهكذا يجعل الخميني الإمامة بمنزلة النبوة، بل أعلى وأغلى؛ فقد صرح في «حكومته الإسلامية» (ص٥٢): «فإن للإمام مقاماً محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية، تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل . . . » إلخ من هرائه.
تالله إن هذا لهو الكفر البواح، والشرك الصراح، ومن شك في ذلك فليلتمس إيمانه قبل أن يتلاشى.

فقد قال المسعودي في «مروج الذهب»: إن تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري يتفوق على جميع المؤلفات، وفوائده كثيرة، وكيف لا يكون كذلك، ومؤلفه فقيه عصره، وعابد زمانه، وتنتهي فيه علوم فقهاء المدن وأهل السنن.

وقد امتدحه ابن خلكان أيضاً.

وفيما عدا الطبري فإن جمعاً من كبار المحدثين والمؤرخين وكتاب السير نقلوا هذه القضية أيضاً، مثل[1]: ابن إسحاق، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في «السنن» و«الدلائل»، والثعلبي في «تفسيره الكبير»، والطبري في «تفسيره الكبير»، وابن الأثير في الجزء الثاني من كتابه.

هؤلاء جميعاً اعتبروا هذه القضية من الأمور المسلم بها . . . وقد أيد أبو الفداء في الجزء الأول من «تاريخه» صحة ذلك، ونقله الإسكافي المعتزلي في كتابه: «نقض العثمانية»، وأيد صحته، وفعل ذلك الحلبي في «سيرته».

كما نقل كثير من كبار محدثي أهل السنة شيئاً قريباً من هذا المضمون، مثل:

---

(١) يراجع كتاب «المراجعات» (خ).

قلت: كتاب «المراجعات» تأليف عبد الحسين شرف الدين الموسوي، كتاب مصنوع وملفق، يزعم صاحبه أنها مراجعات حصلت بينه وبين شيخ الأزهر ـ سليم البشري المالكي ـ للتوفيق بين السنة والشيعة.

ولعل أكبر دليل يقذف في وجه صاحب المراجعات، أن هذا المؤلف أصدر كتابه «أبو هريرة» بعد مراجعاته، وفي كتابه «أبو هريرة» يزعم أن أبا هريرة كان منافقاً كافراً، وأن الرسول أخبر بأنه من أهل النار.

هذا المثال جدير بأن يضعه كل سني نصب عينيه، ليعرف ما هو التقريب الذي تريده الشيعة، إنهم يريدون أن نتخلى عن الإسلام، ونعتنق التشيع، فنؤمن بتحريف القرآن، وعصمة الأئمة، ومسألة التفويض، والبداء، ونلعن خير القرون . . . ألا ساء ما يحكمون . . . وما أقبح ما يتخيلون. (المعلق).

الطحاوي، والضياء المقدسي، وسعيد بن منصور.

كما أن أحمد بن حنبل إمام أهل السنة الكبير نقله مراراً في «مسنده».

كما أن الدكتور هيكل المصري تطرق في جريدة «السياسة» في العدد الصادر في ١٢ ذي القعدة ١٣٥٠هـ، بتفصيل إلى هذه المسألة، وفي الصفحة السادسة من ملحق العدد ٢٧٨٥ من الجريدة ينقل هذا الحديث عن «صحيح مسلم» و «مسند أحمد» و «زيادات المسند» لعبد الله بن أحمد، و «جمع فوائد» ابن حجر الهيثمي، و «عيون أخبار» ابن قتيبة، و «العقد الفريد» لأحمد بن عبد ربه، وفي رسالة عمرو بن بحر الجاحظ.

كما أن جورجس البريطاني قال في كتابه: «مقالة في الإسلام»، الذي ترجمه إلى العربية هاشم العربي: «وقام عدد من الأوروبيين في فرنسا وإنجلترا وألمانيا بنقل هذه المسألة، كما أشار إليها توماس كارليل في كتاب «الأبطال» باختصار.

□ آخر حديث للنبي في الإمامة:

لقد تبين بأن النبي بعد الساعات الأولى من إعلان نبوته، أعلن عن خلافة علي وعن إمامة علي بن أبي طالب، وأن أقاربه تلقوا هذا الكلام بالضحك والسخرية، وأنه سعى في آخر سنوات عمره لتثبيت ذلك، وجميع كتب التاريخ والحديث الخاصة بأهل السنة والشيعة تشهد بذلك، وتثبت بأن الإسلام لم يهتم بموضوع كالإمامة، ولم ترد في غيره عدة آلاف من الأحاديث.

كما أن آخر حديث للنبي كان عن الإمامة، كما تحدثت عنها كتب الحديث والتواريخ المهمة، بل إنها من المسائل المتواترة المشهورة[1].

وقد جاء في «صحيح» البخاري ومسلم، و «مسند» أحمد بأن ابن عباس كان

---

(١) يراجع كتاب «المراجعات». (خ).

يبكي ويقول: يوم الخميس وما أدراك ما يوم الخميس، فقد قال النبي ائتوني بورق ودواة لأكتب لكم شيئاً حتى لا تضلوا. فقالوا: إن النبي يهذي.

وتشير كتب التاريخ أن هذا الكفر صدر عن عمر بن الخطاب[1]، وأن البعض قد أيده في ذلك، ولم يسمحوا للنبي بأن يكتب ما يريد.

وباعتراف عمر أن النبي كان يريد أن يكتب شيئاً عن إمامة علي.

وقد جاء في شرح «نهج البلاغة» لمحمد بن أبي الحديد، وفي «تاريخ بغداد» لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر؛ أن ابن عباس احتج على عمر بهذا الشأن، فقال له عمر: «إن النبي أراد - وهو على فراش المرض - أن يصرح باسم علي بن أبي طالب في الإمامة، فمنعته من ذلك».

ويروي ابن أبي الحديد عن ابن العباس قوله: ذهبت مع عمر إلى الشام، فبدأ يشكو من علي بن أبي طالب، فآل الحديث بابن عباس إلى القول بأنه يعتقد بأن النبي كان يريد الخلافة لعلي، فقال عمر: يا ابن العباس: النبي كان يريد ذلك، ولكن ما العمل والله لم يرد ذلك؟

□ احتكام إلى القراء:

لو أردنا تنظيم فهرست بالآيات والأخبار التي جاءت في الإمامة، وما قاله المؤرخون حولها، لتكوّن لدينا كتاب ضخم، فاكتفينا لذلك بالقليل، ونريد من القراء أن يحكموا بإنصاف بأن الإمامة هي من أصول الإسلام، وأنها ثابتة من خلال آيات القرآن، ومن أخبار النبي.

---

(1) لماذا يتجاهل الغافلون هذه الصراحة الخمينية في تكفير الفاروق الراشد عمر بن الخطاب ... هل يأملون في كسب الخميني وثورته؟ أم أن سراب إيران خدعهم، فلم يعودوا يغارون على خير القرون الذين نصحوا الأمة وكشفوا الغمة؟!

وقد أثبتت كتب التاريخ بأن النبي منذ بعثته وحتى وفاته سعى من أجل الإمامة، فهل كانت الإمامة مسألة بسيطة أم مسألة سياسية؟

□ الكتب التي ألفت في الإمامة قبل الصفويين:

إننا نكشف للقراء هنا عن فضيحة أخرى لهؤلاء الحمقى حتى يعرفوا أية حيوانات ضارية يجابه المتدينون.

يقول كاتبهم: «وعندما ينحدر الماء من المنبع، إن لم يقلّ فإنه لا يزيد، ولكنكم إذا قارنتم بين كتابٍ كُتِبَ عن الإمامة قبل الصفويين، بآخر كتب فيما بعد، لوجدتم أنها تغالي وأن حجمها يكبر . . . .».

وللرد على ذلك نقول: يبدو أن الكاتب لا يعرف شيئاً عن التأليف، وأنه لم يطلع على الكتب التي ألفت في الإمامة، لكنه بمثال سطحي يريد استغفال الناس، وتمويه مسألة بالغة الوضوح، فالكتب التي ألفت في صدر الإسلام ينبغي أن تكون ـ خلاف ما قاله كاتبهم ـ أصغر حجماً من الكتب التي تم تأليفها فيما بعد، ولو أراد أحد اليوم تأليف كتاب عن الإمامة، فإن هذا الكتاب ينبغي أن يكون حجمه عشرات أضعاف كتب الأقدمين.

ونأتي هنا على مثال لتوضيح هذه النقطة؛ فقد قال نبي الإسلام في غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، ولو أراد أحد من الحاضرين أن يدون هذا الحديث الذي يخص الإمامة لما احتاج إلى أكثر من سطر واحد، أما من لم يكن حاضراً وأراد أن ينقل حديث الرسول عن الإمامة، فإن عليه أن يورد أسماء الذين نقلوا الحديث. فلو كان عدد الذين سمعوا حديث النبي مئة شخص مثلاً، وقام كل منهم بنقله إلى عدة أشخاص، ثم جاء شخص بعد عشر سنوات من غدير خم، وأراد أن ينقل الحديث عن كل من سمعه، لاحتاج إلى كتاب من مجلدات كثيرة جدًا.

ولو أردنا اليوم تدوين حديث الغدير، وإثبات صدوره عن النبي، فإن علينا أن

نكتب في ذلك عدة مجلدات، إذ إن أربعة عشر قرناً أصبحت تفصلنا عن ذلك اليوم، وإن الحديث المذكور سمعه من النبي مائة شخص تقريباً، وعدد هؤلاء أصبح في المرحلة التالية ألفاً، ثم عشرة آلاف شخص، وعلينا الآن أن ننقل الحديث عن عشرات الآلاف.

ولو أردنا ذكر أسماء هذا العدد لاحتجنا إلى كتابة عدة مجلدات حتى تبرز الحديث بشكله الصحيح.

لقد ألف الطبري كتابين ضخمين في سند حديث الغدير.

وقد شاهد أبو المعالي الجويني - وهو من كبار علماء السنة - الجزء الثامن والعشرين من كتاب الغدير عند أحد الصحافين في بغداد، فيما لم يكن حديث الغدير سوى حديث قصير.

كما أن أربعة مجلدات من كتاب «العبقات» خصصت لإسناد وإثبات هذا الحديث.

ولو أراد أحد أن يدون الأحاديث الواردة في الإمامة كما فعل صاحب «العبقات» لاحتاج إلى كتابة مئة مجلد.

وبعد هذا؛ فإن الكتب المؤلفة في الإمامة منذ الصفويين حتى الآن لا علاقة لها بسياسة هؤلاء، ونورد أسماء بعض الكتب لتأكيد ذلك.

١ - إحدى الكتب النفيسة المؤلفة في الإمامة «إحقاق الحق» للقاضي نور الله، الذي كان معاصراً للصفويين، لكنه كان يعيش في الهند، وكان يتصرف بحذر وتحفظ، حتى ظنه السلطان أكبر شاه من أهل السنة، فجعله قاضياً للقضاة، فأخذ يصنف هذا الكتاب في السر، وظل في هذا المنصب بعد وفاة السلطان ومجيء ابنه إلى الحكم، فاكتشف أعداؤه بأنه شيعي، فحكم عليه بأن يضرب بالسوط إلى أن مات.

٢ ـ كتاب «غاية المرام»: تأليف السيد هاشم البحراني[١]، الذي اكتفى بنقل الحديث، وذكر أسماء الكتب التي نقلته وتحدثت عنه، مثل «صحيح مسلم»، و «صحيح البخاري»، و «صحيح الترمذي»، و «صحيح أبي داود»، و «صحيح النسائي»، و «مسند أحمد بن حنبل»، و «الجمع بين الصحيحين» للحميدي، وغيرها من المؤلفات المشهورة.

وكان السيد الجليل يسكن البحرين، ويعرف بالزهد والتقوى، ولا يقع تحت تأثير السلاطين.

٣ ـ كتاب «عبقات الأنوار» الذي لم يؤلف كتاب مثله في الإمامة، مؤلفة مير حامد حسين الهندي، الذي ألف في كل حديث من أحاديث الإمامة مجلداً أو عدة مجلدات. ومن يقرأ كتابه يعرف بأن أصحاب هذه الكتب لم يؤلفوها تحت تأثير الصفويين أو سواهم، بل كانوا يعيشون في بلدان تقع خارج هذا النفوذ، ثم إن الأحاديث التي تضمنتها هذه الكتب منقولة عن كتب مؤلفة قبل مجيء الصفويين بمئات الأعوام.

□ أسماء بعض كتب ما قبل الصفويين:

ونذكر فيما يلي أسماء كتب تم تأليفها قبل العهد الصفوي، لنثبت بأن الكتب التي ألفت في الإمامة أخذ عددها يقل على عهد الصفويين فيما بعد. وأن الصفويين هم أصغر من أن يعطوا للإمامة دفعاً.

ولكن ينبغي أن يكون معروفاً بأن الكتاب والعلماء لم يتناولوا موضوعاً مثل تناولهم للإمامة، وليس في الإمكان الاطلاع على جمع الكتب المؤلفة حولها. ومن يريد الاطلاع عى بعض هذه الكتب فليراجع كتاب «الذريعة» للشيخ آغا بزركك طهراني الذي طبع منه أربعة مجلدات.

---

(١) يراجع كتاب «لؤلؤة البحرين» و «المستدرك» و «سفينة البحار». (خ).

ونورد فيما يلي بعض الكتب المؤلفة قبل الصفويين حول الإمامة . . . بل وتبدأ بلفظة الإمامة :

١ ـ الإمـامـة : تأليف عيسى بن روضـة التـابعي، مولى بني هاشم وحـاجب المنصور، توفي سنة ١٥٨هـ.

٢ ـ الإمامة : تأليف خليل بن أحمد البصري، اللغوي العروضي .

٣ ـ الإمامة : تأليف أبي جعفر أحمد بن الحسين عمر بن يزيد العبقلي الكوفي .

٤ ـ الإمـامـة : لبعض قدامى الصحابة، ويقول السيد بن طاووس : إن تحرير نسخته كانت بسنة ٢٢٩هـ.

٥ ـ الإمامة الصغير.

٦ ـ الإمامة الكبير، وهما من تأليف إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي المتوفى سنة ٢٨٣هـ.

٧ ـ الإمامة : تأليف أبي محمد الحكم بن هشام .

٨ ـ الإمامة : تأليف المنصور بالله إسماعيل بن محمد بن المهدي، المتوفى سنة ٣٤١هـ.

٩ ـ الإمامة الصغير.

١٠ ـ الإمامة الكبير، وهما من تألف ناصر الحق الحسن بن علي المتوفى سنة ٣٠٤هـ.

١١ ـ الإمامة : تأليف أبي محمد عبد الله بن هارون الزبيري المتوفى سنة ٢١٨هـ.

١٢ ـ الإمـامـة : تأليف محمـد عبـد الله بن سكـان، وهو من أصحاب موسى الكاظم . وفاته في سنة ١٨٣هـ.

١٣ ـ الإمامة: تأليف عبد الله بن عبد الرحمن الزبيري.

١٤ ـ الإمـامة: تأليف أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري صاحب «قرب الإسناد»، وكان يعيش سنة ٢٩٢هـ.

١٥ ـ كتـاب الإمامة الكبير: تأليف شريف أبي القاسم علي بن أحمد العلوي الكوفي المتوفى سنة ٣٥٢هـ.

١٦ ـ الإمامة: تأليف أبي الحسين علي بن وصيف، وكان يسمى شاعر أهل البيت.

١٧ ـ الإمامة: تأليف أبي محمد فضل بن شاذان بن خليل النيسابوري المتوفى سنة ٢٦٠هـ.

١٨ ـ الإمامة: تأليف شيخ المتكلمين فضل بن عبد الرحمن البغدادي.

١٩ ـ الإمامة: تأليف أبي أحمد محمد بن أبي عمير، وكان من أصحاب الإجماع والإدراك، كانت وفاته سنة ٢١٧هـ.

٢٠ ـ الإمـامة: تأليف محمد بن أحمد الصفواني من تلامذة الشيخ الكليني، وأستاذ الشيخ الطوسي والنجاشي.

٢١ ـ الإمامة: تأليف أبي الحسن محمد بن أحمد الحارثي.

٢٢ ـ الإمـامـة: تأليف محمـد بن بشر الحمـدوني السـوسنجـردي الشيخ والنجاشي، نقلاً عن هذا الكتاب.

٢٣ ـ الإمـامـة: تأليف محمـد بن حسين بن أبي الخطاب الزيات الهمداني المتوفى سنة ٢٦٢هـ.

٢٤ ـ الإمامة: تأليف أبي بكر محمد بن خلف الرازي، ذكره النجاشي، وابن النديم.

٢٥ ـ الإمامة: تأليف أبي جعفر السكاك، محمد بن خليل البغدادي، تلميذ هشام بن الحكم، توفي سنة ١٧٩هـ.

٢٦ ـ الإمامة: تأليف محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي، عاصر الشيخ الكليني، كان يعيش سنة ٣١٧هـ.

٢٧ ـ الإمامة: تأليف محمد بن عبد الله بن مملك الأصفهاني، توفي سنة ٣٠٣.

٢٨ ـ الإمامة: تأليف الشيخ محمد بن علي بن حسين بن بابويه المتوفى سنة ٣٨١هـ.

٢٩ ـ الإمامة: تأليف محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي الكوفي.

٣٠ ـ كتاب الإمامة الكبير والصغير: تأليف محمد بن علي الشلمغاني الذي شنق سنة ٣٢٢هـ.

٣١ ـ الإمامة: تأليف أبي جعفر محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين.

٣٢ ـ الإمامة: تأليف مظفر بن محمد البلخي، توفي سنة ٣٦٧هـ.

٣٣ ـ الإمامة: تأليف أبي عيسى دراق؛ محمد بن هارون ذكره النجاشي.

٣٤ ـ الإمامة: تأليف القاضي نعمان بن محمد المصري، صاحب «دعائم الإسلام»، توفي سنة ٣٦٧هـ.

٣٥ ـ الإمامة: تأليف أبي الحسن المعلّى بن محمد البصري.

٣٦ ـ الإمامة: تأليف هشام بن الحكم الكوفي، المتوفى سنة ١٧٩هـ، أو سنة ١٩٩هـ.

٣٧ ـ الإمامة في إثبات النبوة والوصاية: تأليف هادي يحيى من أئمة الزيدية. توفي سنة ٢٩٨هـ.

٣٨ ـ الإمامة: تأليف أبي محمد يونس بن عبد الرحمن مولى آل يقطين، من أصحاب الإمام الرضا. توفي سنة ٢٠٨هـ.

٣٩ ـ الإمامة: تأليف أبو محمد يحيى بن محمد، كان يسكن نيسابور، قبل سنة ٤٧٨هـ.

٤٠ ـ الإمامة: تأليف أبي شداخ، كما نقل النجاشي عن أحمد بن الحسين.

□ شافي علم الهدى في الإمامة:

أوردنا أسماء أربعين كتاباً في الإمامة تم تأليفها على عهد الأئمة أو قريباً من ذلك العهد. ونحن نعذر كاتب التفاهات لعدم سماعه بتلك الأسماء.

إلا أن كتاب «الشافي» للسيد مرتضى علم الهدى المتوفى سنة ٤٣٦هـ، وهو من أحسن ما صنف في هذا الباب متوفر وموجود.

ولمن يقول: إن الصفويين روجوا للإمامة أن يطلع على هذا الكتاب، حتى يدرك بأن ما كتبه المتأخرون عن ذلك هو أقل مما هو موجود في الكتاب المذكور.

كما أن مؤلفات الشيخ المفيد، وشيخ الطائفة، والخواجه نصير، والصدوق . . . وسواها قد ألفت قبل الصفويين.

□ ألف العلامة في الإمامة:

إن جمال الدين حسن بن يوسف بن مطهر الحلي المعروف بالعلامة، المتوفى سنة ٧٢٦هـ، ألف بطلب من ابنه كتاباً يتضمن ألفي دليل على الإمامة، ألف منها تخص إمامة أمير المؤمنين، وألف دليل على دحض شبهات المناوئين[1].

انتهى تأليف الجزء الأول في سنة ٧٠٩هـ، والجزء الثاني في سنة ٧١٢هـ. إلا

---

(١) يراجع كتاب «الذريعة». (خ).

أن النسخ المتبقية لا تتضمن من الألف الثانية سوى ثلاثين ونيفاً، تم طبع الكتاب في إيران سنة ١٢٩٨هـ.

□ نتائج حديثنا في هذا الخصوص:

بعد مراجعة الكتب المؤلفة في الإمامة، ومعرفة سنوات تأليفها، يتضح أن مؤلفات ما قبل الصفويين في الإمامة هي أكثر وأضخم من مؤلفات ما بعد الصفويين. وأن ما تم تأليفه بعد ذلك العهد، مثل «العبقات» و «إحقاق الحق»، فقد كان في الهند، حيث لا ذكر ولا أثر للصفويين هناك؛ فنَسْبُهُ كتب الإمامة إلى الصفويين يدل على جهله بالكتب وبأحوال الرجال.

أجل؛ إن العلامة مجلسي كان يعيش في العهد الصفوي، وقام آنذاك بتأليف كتب كثيرة، في مقدمتها «بحار الأنوار»، ولكن ينبغي أن نرى أي كتاب هو هذا الكتاب[1]. إنه دون شك يتضمن معلومات مهمة، جمعت وألفت هذا الكتاب.

ومصادر الكتاب مدونة فيه، وموجودة، وعلى من يقول: إن سياسة الصفويين هي تضخيم الكتب، عليه أن ينظر إلى «بحار الأنوار»، وأن يطلع على ما فيه من روايات، ويحصل من ثم على مصادره، فإن رأى ثمة مبالغة أو زيادة، فله أن يقول ما يشاء. أما الادعاءات الواهية، فلا موجب لها، ولا ينبغي على أحد أن ينخدع بها.

□ السبب الآخر لتضخيم الكتب:

إن هؤلاء الحمقى يعتبرون ضخامة الكتب دليلاً على الكذب والافتعال، ولذا فهم يقارنون بين كتب المقتل المؤلفة في الماضي، مع كتب المتأخرين، ليتحدثوا عن ضخامتها، متناسين بأن هذه الكتب تشمل على تفاسير لآيات القرآن، وعلى مواعظ وأشعار كثيرة، وعدداً من أشعار الرثاء.

---

(١) سنتحدث عن ذلك فيما بعد. (خ).

فهل ضخامة هذه الكتب كافية للقول بأنها تتضمن الأكاذيب؟

إننا لا نريد أن نقول: إن كل ما كتب هو صحيح، لكننا نقول: إن حجم الكتاب لا يدل على كذب ما فيه.

إن من يريد أن ينقل شيئاً من كتاب ما، عليه أن يتأكد من صحة ما فيه، وإلا فليتركه جانباً.

إن تقبل الشيء بدون ترو أمر بعيد عن التعقل، كما أن رفض الشيء لمجرد كونه لا يوافق الطبع، أمر خارج عن التعقل أيضاً.

□ الوقوع في الخطإ:

إن الكاتب يتخبط فيما يقول؛ بل ويورد الكثير من التفاهات، فهو يقول مثلاً: «الإمام أيًا كان، فهو إمام زمانه وحده، وليس إمام الأزمنة الأخرى».

وذلك على أساس أنه قد ورد في كتاب «الكافي»: كل إمام هادٍ للقرن الذي هو فيه، وإن ذلك هو تفسير للآية القائلة: ﴿إنَّما أنتَ منذِرٌ ولِكُلِّ قومٍ هادٍ﴾.

إن مضمون ما تقدم هو أن لكل عصر إمام من آل بيت محمد. ولو فرضنا أن كل إمام هاد للقرن الذي هو فيه، فما الذي يستخلص من ذلك؟

هل يعني أن احترام الإمام ينتهي بوفاته، وأنه ما دام حيًا فينبغي العمل بما يأتي به من أحكام إلهية[1]، أما إذا توفي فإن العمل بتلك الأحكام يتوقف؟

فلو كنتم تقصدون الفقرة الأولى، فإن ذلك يعني أننا نحترم الإمام لأنه إمام ذلك الزمان، وأنه الهادي الذي اختاره الله.

أما إذا كنتم تقصدون الفقرة الثانية، فعليكم أن تثبتوا بأن الله لم يعد موجوداً بعد

---

(١) وكيف يأتي الإمام بهذه الأحكام الإلهية التي ينبغي العمل بها؟!

وفاة الإمام. وإلا فإن الإمام لم يأت بأحكام من عنده تزول بوفاته.

إن أحكام الإمام من النبي، وأحكام النبي من الإله، فبوفاة الإمام لن تزول أحكام الإله . . . إذاً.

□ رسالة أمير المؤمنين إلى معاوية:

هذا الكاتب ينتزع من كتاب «نهج البلاغة» كلمة يشهرها في وجه رجال الدين، ويقول: «إن الإمام علي يقول في كتاب يوجهه إلى معاوية: إن مجلس المهاجرين والأنصار لو اختار إماماً فإن ذلك سوف يرضي الله».

وسوف نورد فقرات من «نهج البلاغة»[1] حتى نثبت أن عليًّا كتب ذلك لمعاوية للاحتجاج ضده.

والعبارات التي نقتطعها من الكتاب المذكور، تثبت أن علي بن أبي طالب كان يرى أن حقه اغتصب، ويعتبر الخلفاء على باطل:

١ - من يقرأ خطبة الشقشقية سيعرف رأي علي عليه السلام في الخلفاء، وسيجد كيف كان يأتي على ذكرهم.

٢ - في الخطبة (١٦٧) يقول: «اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم، قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي».

فقال أحد الحاضرين: «إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص».

فقال: «بل أنتم والله لأحرص، ولكن طلبت حقًّا لي، وأنتم تحولون بيني وبينه».

٣ - في الخطبة الخامسة يقول: «فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي، مستأثراً عليّ، منذ قبض الله نبيه ﷺ حتى يوم الناس هذا».

---

(١) من طالع كتاب «نهج البلاغة» علم جزماً أنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. وانظر قول الذهبي في «الميزان» (٣ / ١٢٤)، وابن حجر في «اللسان» (٤ / ٢٢٣).

٤ ـ في الخطبة (١٤٦) يقول: «حتى إذا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونكلوا البناء عن أرض أساسه، فبنوه في غير موضعه، معاول كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، وذهلوا في السكرة على سنة من آل فرعون من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفارق للدين مباين».

٥ ـ في خطبة ما بعد البيعة يقول: «لا يقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد، إلى أن يقول: ولهم خصائص الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله».

هذه بعض كلمات أمير المؤمنين في «نهج البلاغة» حول اغتصاب حقه، أفلا يعتقد القراء أن شخصاً يتظلم من أجل حقه كتب هذه الرسالة لمعاوية للإعراب عن احتجاجه أو مخافة أن يجعل معاوية الناس يسيؤون الظن به؟

إن هؤلاء هم أنفسهم الذين عندما أراد علي أن يزيل إحدى بدعهم[1] هتفوا: واعمراه، واعمراه . . . فجعلوا عليًا يسحب كلامه[2].

---

(١) إن نافلة شهر رمضان كانت تصلى على عهد الرسول وأبي بكر وأوائل خلافة عمر بصورة فردية، فأمر عمر بصلاتها بصورة جماعية. وقال: إن تلك بدعة، كما جاء ذلك في صحاح أهل السنة. يراجع كتاب «الفصول المهمة». وقد أراد علي بن أبي طالب أن يغير هذه البدعة، فرد الناس: واعمراه . . . وقد ورد ذلك في كتاب «الوسائل». (خ).

(٢) قلت: هذه فرية باطنية خبيثة، فقد ثبت بالأدلة الصحيحة أن عمر رضي الله عنه أحيا سنة المصطفى، وصلاة قيام رمضان (التراويح)، صلاها الرسول جماعة، وليس كما يزعم الخميني بصورة فردية . . . ومن رام الزيادة فعليه بـ «صلاة التراويح» للعلامة الألباني.

■ **السؤال الرابع والرد عليه:**

إن أجر أي عمل رهن بالجهد الذي يُبذل من أجله، وبالنتائج التي تسفر عنه؛ فما مدى صحة ما يقال من أن ثواب الزيارة أو إقامة التعزية تعادل ثواب ألف نبي أو شهيد؟

قبل الإجابة على هذا السؤال، نطلب من القراء أن ينظروا إلى ما أسبغ الله علينا من نعم، بدأت منذ آلاف السنين، وتمثلت في الشمس، والقمر، والنجوم الساطعة، وفي حركة الليل والنهار، وتعاقب الصيف والشتاء، وفي الكائنات، والعناصر، والمعادن، والنباتات، والحيوانات، والريح، والماء، والبحار، والصحارى، والسماء، والغيم، والمطر، والزرع، والضرع، والجبال، والسهول، والوديان، والمآكل، والملبس، ومئات النعم الأخرى التي أوجدت من أجلنا نحن بني البشر.

ثم انظروا إلى أجسامكم، وإلى ما فيها من أعضاء وأجهزة باطنية يقوم كل منها بعمل من الأعمال.

ثم انظروا إلى القوى الروحية، وإلى النعم المعنوية المتمثلة في الكتب السماوية والقوانين الربانية ... فستجدون آنذاك أن هذه النعم لا يمكن أن تعد وتحصى.

ثم اسألوا أنفسكم: لم هذه النعم كلها؟ وما الذي قدمناه نحن من خدمة إلى الله حتى يمن علينا بهذه النعم؟

إن نظرة إلى الكون، تثبت أن الله منح هذه النعم بدون مقابل، بل إنه بسط خوان نعمته حتى لأولئك الذين تمردوا على أحكامه، وادعوا الألوهية، وقتلوا أنبيائه، وجعلهم أعزة في العالم.

ذلك أن الله الذي خلق السماوات والأرض وأوجد العالم بلفظة (كن)، لا يمنح شيئاً لأحد لقاء أجر، فجميع نعمائه بلا ثمن، وقد منحنا إياها بدون مقابل، فنحن

والعالم لسنا بشيء حتى نقدم للذات المقدسة خدمة ونؤدي عملاً . . .

◻ عمر البشر وجزاء الله :

ألقوا الآن نظرة على الآخرة، حيث وعد القرآن بمئتي نعمة من تلك النعم، وقارنوا بين أعمال الإنسان وما وعدت به الكتب السماوية، ولا سيما القرآن، من جزاء، وانظروا، هل يخرج ذلك عن حدود العدالة أم أنه ينبغي الاعتراف بأن هبات الله لا علاقة لها بما يقدمه البشر من أعمال غير ذات قيمة؟

فلو فرضنا أن شخصاً عاش خمسين عاماً، ولم يتخلف منذ بلوغه سن الرشد عن أداء الفرائض . . . فهل يكون هذا من أهل الجنة الموعودة أم لا؟ ليس لكم إلا أن تعترفوا بأنه من أهل الجنة.

تقول الآية [٢١] من سورة الحديد:

﴿سابِقوا إلى مغفِرَةٍ من ربِّكُم وجنَّةٍ عرضُها كَعَرْضِ السماءِ والأرضِ أُعِدَّتْ للذينَ آمَنوا باللهِ ورُسُلِهِ ذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَن يشاءُ واللهُ ذو فضلٍ عظيمٍ﴾.

فهل يمكن مقارنة ما نقوم به من أعمال تافهة خلال عمرنا القصير بنعم الإله التي لا حدود لها؟

لقد صرحت جميع الأديان وصرحت آيات القرآن بأن الإنسان دوماً في النعيم، وأنه مخلد بالنعمة، فهل يمكن مقارنة أعمال الإنسان بهذه النعم الدائمة؟

◻ نظرة إلى آيات التوبة :

لنفرض أن شخصاً ما أمضى عمره في معصية الله، لم يصلِّ ركعة، ولم يعط زكاة، ولم يصم يوماً واحداً، وارتكب أنواع المعاصي، ثم تاب في أواخر عمره، وطلب المغفرة لذنوبه، أعطى حقوق الناس، أو أوصى بأدائها . . . فما هو نصيب هذا الشخص؟

طبقاً للشرائع، وبموجب آيات القرآن، فإن هذا الشخص من أهل السعادة، والله

يمنحه الجنة بدون مقابل.

تقول الآية [١٠٥] من سورة التوبة:

﴿ألَم يعلَموا أنَّ الله هو يقبَلُ التوبَةَ عن عبادِهِ ويأخُذُ الصَّدَقاتِ وأنَّ الله هو التوَّابُ الرحيمُ﴾.

وتقول الآية [٧١] من سورة النساء:

﴿ومَن يُطِعِ الله والرسولَ فأولَئِكَ معَ الذينَ أنعَمَ الله عليهِم من النبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشهداءِ والصالِحينَ وحَسُنَ أولئكَ رَفيقاً﴾.

إن كلامكم السابق يعني أن يحتج الأنبياء وشهداء بدر وأحد بأنهم ضحوا بأرواحهم ودمائهم عندما كان الإسلام ضعيفاً، وأنهم بنوا هذا الإسلام بدمائهم، لكنهم وُضِعوا في مرتبة واحدة مع صبي في السابعة عشرة أغمض عينيه ولم يقدم خدمة للإسلام، ولكنه أطاع الله ورسوله فصام وصلى وأدى الفروض لسنة أو سنتين.

وعلى هؤلاء المنافقين السفلة أن يرفعوا هذه الآيات من القرآن حتى يتجنبوا احتجاج الرسل والشهداء.

□ نظرة إلى سورة القدر المباركة:

ينقل المفسرون عن ابن العباس قوله بأنه قيل في محضر النبي عن بني إسرائيل بأنهم عملوا ألف شهر في سبيل الله، فتعجب النبي، وسأل الله أن يجعل في أمته مثل هذه الفضيلة، وقال: ربي! أجعلت عمر أمتي قصيراً وعملهم أقل شأناً. فأعطى الله له ولأمته ليلة القدر، التي قال القرآن فيها:

﴿ليلةُ القَدْرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ﴾ أريقت فيها الدماء.

□ الرد على هذا الاعتراض الأهوج:

الآن، وقد علمتم بوجود مثل هذه الآيات في القرآن، فينبغي العلم أيضاً بأن

الاعتراض على ذلك غير وارد.

والخطأ الذي يقع فيه هؤلاء هو أنهم يخلطون العدل بالفضل والكرم، فيختلقون من ذلك بعض الادعاءات.

وقد أوضحنا من قبل بأن أعمال الإنسان لا تستحق الأجر، وأن البشر لا يستطيع أن يطالب الله بشيء إزاء ما يؤدي من أعمال، فهو حتى إن أعطى ماله وروحه في سبيل الله فإنه لم يفعل شيئاً، لأن ذلك كله من نعم الله. فأي مخلوق يملك في يديه ما يقدمه في سبيل الله حتى يطلب منه لقاء ذلك أجراً؟

إن كل ما هو موجود إنما هو من عنده، وفي سبيله، ويعطي ويمنح بقوته، والله قد وضع لفضله وكرمه هذا اسم الأجر والثواب، حتى يتصور البشر أنهم يملكون من عندهم شيئاً، وأنهم يكسبون مما يعملون أجراً.

أيها الإنسان المسكين! إنك لم تقدر الله حق قدره، ونسيت عظمته، وتصورت نفسك صاحب حق وعقل، حتى غدوت تعترض ـ عن جهل ـ على أحكام الله.

لقد ثبت أن ما يعطيه الله إنما هو تفضل وليس أجراً، فهل لا يكون من العدالة أن يكون التفضل على النبي وأولاد النبي أكثر من الآخرين؟

◻ رد آخر على الاعتراض:

لقد تحدث كبار الفلاسفة، وتحدثت معظم آيات القرآن، عن نعيم الجسد، وعن ثواب أهل الجنة.

وهناك درجات أخرى للجنة خارجة عن مقام الثواب وداخلة في مراتب المعنويات واللذة الروحية، وهناك مراتب أخرى يعبرون عنها باسم مدن المحبة.

والذين وصلوا إلى هذه المراتب الروحية لا يهتمون بنعيم الجسد، بل ويعترضون عليه، ويُعْنَون بالمراتب الروحية، ويعرضون عن نعيم الجسد.

أما الذين لم يبلغوا هذه المرتبة، وتمسكوا بالنعيم الجسدي، وثوابه، فإن درجات جنتهم ونعيمهم تكون ألف ألف مرة أكثر من أصحاب المراتب الروحية واللذة الروحية.

وهنا تتوضح معاني الآية [٧١] من سورة النساء، التي ورد ذكرها آنفاً، والتي تتحدث عن ثواب من يطع الله ورسوله، وتقول: إنهم مع النبيين والصديقين والشهداء، ولا تأنف من وضعهم في الثواب مع الأنبياء والشهداء.

والأنبياء لا يهتمون بالنعم التي تمنح للناس العاديين، بل ولا يعتبرونها شيئاً يذكر.

لقد كان للفراعنة من الجاه والملك ما لا يملكه موسى، لكن موسى كان يتمتع بكمال روحي يجعله لا يقيم وزناً لفرعون، ولم يكن الفراعنة وفرعون يحلمون بتلك اللذات التي يتمتع بها موسى.

◻ نظرة إلى التعزية:

نريد التحدث هنا عن التعزيات والمواكب التي تقام باسم الحسين بن علي.

نحن لا نقول بأن أحداً يجب أن يستغل هذا الاسم كما يحلو له، فكبار العلماء لا يؤيدون مثل هذه الأعمال، بل ويحولون دونها.

ونعرف جميعاً أن العالم الكبير المرحوم الشيخ عبد الكريم ـ وهو من كبار رجال الدين في قم ـ قد منع (مواكب التشبيه)، كما أن رجال الدين الآخرين قد منعوا الأمور التي تتعارض مع تعاليم الدين.

إلا أن مجالس العزاء تقام لدى الشيعة في كل مكان، ومع ما في هذه المجالس من نقص، إلا أنها تروج تعاليم الدين وأخلاقياته، وتشيع الفضيلة، ومكارم الأخلاق، والدين الإلهي، والقانون السماوي؛ المتمثل بالمذهب الشيعي المقدس، الذي يدين به أتباع علي عليه السلام . . . ، ونما وترعرع في ظل هذه المجالس المقدسة التي تسمى بالتعزية، وتهدف في الواقع إلى نشر الدين وأحكام الإله.

ولولا ذلك لكان الشيعة في عزلة تامة، ولولا هذه المؤسسات الدينية الكبرى لما كان هناك الآن أي أثر للدين الحقيقي المتمثل في المذهب الشيعي، وكانت المذاهب الباطلة التي وضعت لبناتها في سقيفة بني ساعدة، وهدفها اجتثاث جذور الدين الحقيقي . . . تحتل الآن مواضع الحق[1].

وعندما رأى رب العالمين أن مغامري صدر الإسلام قد زعزعوا بنيان الدين، دفع بعدد من أتباع حسين بن علي الباقين لكي يعملوا على توعية الناس، ويقيموا مجالس العزاء، لكي لا تؤول واقعة كربلاء؛ القائمة على اقتلاع جذور الظلم والجور وعلى دفع الناس إلى التوحيد والعدل إلى النسيان.[2]

لقد وضعت هذه التعزيات على أسس بحيث لن يتخلى عنها الناس مهما تعرضوا للضغوط والمصاعب. ولولا ذلك لضاعت جهود الحسين بن علي، وجهود رسول الإسلام التي بذلها من أجل تأسيس التشيع[3]، وعلى فرض أن الله يمنح الأجر لقاء نفع ما، فإن النفع الذي يأتي من هذا العمل هو بقاء دين الحق وأساس التشيع الذي تتوقف عليه سعادة الدنيا والآخرة.[4]

---

(١) الخميني وأمثاله يسمون مذهبهم الدين الحقيقي، والمذاهب التي أقرت اجتماع السقيفة وبايعت الصديق بالخلافة باطلة، وهذا دليل على أن الشيعة دين آخر لا يمت للإسلام بصلة.

(٢) هل أنزل وحياً على الباقين من أتباع الحسين وأمرهم بإقامة مجالس التعزية؟! ومتى كان ذلك؟!

(٣) هل جهود رسول الإسلام ﷺ كانت لتأسيس التشيع أم لإعلاء كلمة الله ونشر الإسلام؟! وما هي الجهود التي حفظتها مجالس العزاء التي قوامها لطم الخدود وشق الجيوب والصياح والعويل ومادتها الرذيلة والفجور؟!

(٤) يطيب لبعض الناس أن يسمي الشيعة بـ: أتباع «المذهب الشيعي»، ولكن خميني هنا يسميه بـ «الدين الشيعي»، مما يشير إلى أنه شيء آخر مختلف عن الإسلام جملة وتفصيلاً، وعلينا بالتالي أن نستعمل عبارة «الدين الشيعي»؛ تقليداً لخميني، لأن صاحب الدار أدرى بها.

□ بحث آخر حول النبوة والإمامة:

ويقول هذا الكاتب أيضاً: «في كل سبيل، ولا سيما في سبيل الله، ينبغي أن تغيب أسماء الأشخاص، والإمامة، بل والنبوة أيضاً، ينبغي أن لا يعتبرا جزءاً من الدين، فهما هاديان للدين وليسا جزءاً منه».

ثم يقول: «ولو أن هذه الأحاديث التافهة التي تدور حول الأسماء والأشخاص، كانت تدور حول التوحيد والتقوى، لزالت هذه الخلافات، ولحصل التقدم».

وللرد على ذلك نقول: ولنفرض أننا لا نملك الدليل على كون النبوة والإمامة جزءاً من الدين، فإن العقل يدعونا إلى أن نعترف بالنبي وبالإمام.

وعلى فرض أن هذين ليسا جزءاً من الدين، فإن الله بقوله: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمرِ منكم﴾؛ أوجب على البشر إطاعة ما يقوله النبي والإمام.

فلو ادعى اثنان وقال كل منهما: إنني أنا النبي الذي أمر الله بطاعته، وأمرنا كل منهما بأمر مخالف للآخر، ولم يكن أمامنا لكي نطيع أحدهما إلا أن نتعرف عليهم بالاسم والسمة، ونعرف بأن الذي أمرنا الله بطاعته هو محمد بن عبد الله وليس مسيلمة الكذاب او اي شخص آخر، فهل ترون أن علينا أن نطيع من جاء وقال: أنا رسول الله إليكم . . . أم أن نتعرف عليه جيداً؟

فلو عينت الحكومة ـ مثلاً ـ حاكماً لطهران، وجاء شخص وقال بأني أنا ذلك الحاكم، وأن عليكم أن تطيعوني، فهل عليكم إطاعته قبل التعرف عليه؟

وإذا أردتم مراجعة طبيب، فهل تراجعون من وضع يافطة تشير إلى أنه طبيب أم أن عليكم أن تتأكدوا بأنه هو الطبيب الاختصاصي الذي تريدونه؟

لقد عرفنا النبي، وبعد النبي جاء أبو بكر وقال: إن الخلافة من حقي، وإنني أنا أولو الأمر؛ الذي أوجب الله طاعته. وقال علي بن أبي طالب نفس الكلام، فما الذي يفعله الناس إزاء ذلك؟ عليهم أن يرجعوا إلى العقل بشأن صفات الإمام وصفات أولي

الأمر، وأن يعودوا إلى أقوال الله والنبي ليروا ما الذي أمراه بهذا الشأن. أم أن عليهم أن يستهينوا بالأمر، فيقولوا: إن المقصود هو التوحيد، وما دمنا قد عرفنا أن الله واحد أحد، فهذا يكفي. أي إننا نترك جانباً تعاليم القرآن والنبي، ونكتفي بالتوحيد، ولكن العقل الذي هو من عند الله، يقول: كما أن إطاعة الله واجبة، فإن إطاعة أولي الأمر أمر واجب أيضاً.

إن على المسلمين لو جاؤوا وتقبّلوا منا ما قاله النبي حول أولي الأمر، ورفضوا الادعاءات الجوفاء حول خلافة النبي . . . فإننا لن نكون على خلاف معهم.

إذاً، فهذه الأقاويل هي طاعة الله، وإلا فإننا لا نتباحث حول الأشخاص، فملايين السلاطين والملوك والعلماء قد جاؤوا إلى هذا العالم، لكننا لم نتشاجر أو نتباحث حول أحد منهم، وقصرنا تباحثنا حول عدة أشخاص فحسب؛ ذلك لأن رب العالمين قد أمرنا بطاعتهم، وإن تباحثّنا وحوارنا يدور كله حول أوامر الله هذه. فإن كنتم تطلبون منا أن لا نقيم وزناً لأوامر الله هذه، فإن العقل لا يقبل منكم ذلك.

□ النبوة والإمامة جزء من الدين:

قلنا ما تقدم على فرض أن النبوة والإمامة ليستا جزءاً من الدين.

لكن ثمة آيات من القرآن، وأقوال من النبي، تدلل على أنهما جزء من الدين، فالآيات التي تعتبر النبوة جزءاً من الدين كثيرة، منها الآية [٢٨] من سورة الحديد:

﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا اتَّقوا الله وآمِنوا برسولِهِ يؤتِكُم كِفلَيْنِ من رحمتِهِ ويجْعَلْ لكم نُوراً تمشونَ به ويغْفِرْ لكم والله غفورٌ رحيمٌ﴾.

ولو لم يكن الإيمان بالنبي جزءاً من الدين، فإن هذه الآية لا قيمة لها، وإن النبي ينبغي أن يُنسى من الأذهان.

وتقول الآية [٢٨٥] من سورة البقرة:

﴿آمَنَ الرسولُ بما أُنزِلَ إليهِ من ربِّه والمؤمنونَ كلٌّ آمَن باللهِ وملائكَتِهِ وكتُبِهِ ورسلِهِ﴾.

إن الله يدعو المؤمنين إلى الإيمان بالرسل، ولو لم يكن ذلك جزءاً من الدين لما ذكره الله هنا.

وتقول الآية [٤٦] من سورة النور:

﴿ويقولونَ آمَنّا باللهِ وبالرسولِ وأَطَعْنا ثمَّ يتولّى فريقٌ منهُم مِن بعدِ ذلك وما أولَئِكَ بالمؤمنينَ﴾.

ويُستدَلُّ من هذه الآية على أن الإيمان بالنبي ركن من أركان الإيمان.

أما الآيات التي تدلل على أن معرفة الإمام ومحبته هي جزء من الإيمان، فنكتفي بإيراد بعض منها، كالآية [٦٧] من سورة المائدة، التي تقول:

﴿يا أيُّها الرَّسولُ بلِّغْ ما أُنزِلَ إليكَ من ربِّكَ وإنْ لم تَفْعَلْ فما بلَّغْتَ رسالَتَهُ واللهُ يعصِمُكَ من الناسِ﴾.

ويتفق الشيعة وأهل السنة مثل أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي رافع بأن هذه الآية نزلت في يوم الغدير، حول علي بن أبي طالب.

وفي كتاب «غاية المرام» نقلٌ عن أهل السنة بأن هذه الآية تخص علي بن أبي طالب.

فهل ترون معنا بأن التعريف بعلي بن أبي طالب على هذا النحو هو جزء من الدين، وأن الناس مكلفون بإطاعته، أم تعتبرون ذلك ضرباً من المزاح؟

وتقول الآية [٢٤] من سورة الصافات:

﴿وقِفوهُم إنَّهم مسؤولونَ﴾.

وفي «غاية المرام» ثمانية أحاديث منقولة عن أهل السنة، تقول: إن الناس

سيسألون في يوم القيامة عن ولاية علي بن أبي طالب، ولو لم تكن هذه الولاية جزءاً من الدين . . . لما كان لهذا السؤال وجود.

وتقول الآية [٩٨] من سورة آل عمران:

﴿واعْتَصِموا بحبلِ الله جميعاً ولا تَفَرَّقوا . . .﴾.

وثمة أربعة أحاديث عن أهل السنة بأن الحبل الذي ينبغي أن يتمسك به الناس إنما هو علي بن أبي طالب[1].

وعليكم أن تعرفوا بأن الآيات التي وردت في القرآن حول علي بن أبي طالب أكثر من أن يمكن حصرها، وإن شئتم الاطلاع، فلتراجعوا تفاسير الشيعة وأهل السنة وكتب الحديث.

وهناك حديث معروف لدى الشيعة وأهل السنة، منقول عن النبي يقول: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية»، وقد نُقل عن مصادر كثيرة لأهل السنة[2] ما يلي:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عنده عمله إلا بمعرفة حقنا».

وقال صلى الله عليه وآله: «معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب».

---

(١) أين هذه الأحاديث؟ وما درجتها من الصحة والضعف؟ . . وإذا كان علي هو الحبل في نظر الشيعة، فمن الذي يمنع إنساناً آخر أن يقول: الصديق هو الحبل، أو الفاروق، أو ذو النورين! . .

(٢) يراجع كتاب «المراجعات» (خ).

قلت: وقد تقدم كشف أمر كتاب المراجعات، والأحاديث التي يذكرها عن أهل السنة في إمامة علي موضوعة مختلقة مكذوبة. (المعلق).

وقال صلى الله عليه وآله: «ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان».

وغير ذلك من الروايات التي تتجاوز عدد النجوم.

وهنا نختتم مقالتنا الثانية، ونأمل أن يكون القراء المحترمون قد نظروا إلى ما قلنا بعين الإنصاف، حتى يتبينوا غوغائية هؤلاء الحمقى.

الحديث الثالث:

الروحانـــــــي

■ **السؤال الخامس:**

ما يقال من أن المجتهد ـ في زمن الغيبة ـ هو نائب الإمام، هل هو صحيح أم لا؟
إن كان صحيحاً فما هي حدود ذلك؟ وهل يشمل ذلك الحكومة والولاية أيضاً . . .؟

□ **نظرة عامة إلى الحكومة والولاية:**

نقدم هنا مقدمة للحديث الثالث والرابع والخامس، ونجيب على السؤال الخامس وحتى التاسع، حتى تتوضح الأمور للقراء جيداً.

كثيراً ما يؤدي تكرار العمل إلى تغطية أحكام العقل، فإذا ما قال أحد قولاً ؛ ذلك العمل، فإنه يُؤخذ مأخذ العجب، ويعد خطوة مناوئة.

ولتوضيح ذلك نورد المثال التالي: لو انتزع أحدهم ه على عمل لا تحبونه، فإنكم تدينونه وتعدونه معتدياً ومجرماً

وإذا ما جمع هذا المجرم عدداً من الأفراد حوله، وها عدداً من سكانها، فيعدُّ عمله إجراماً وعدواناً.

وإذا ما قوي هذا الشخص، وهاجم مدينة واحتلها، ، على سكانها، فإنه يعتبر كذلك مجرماً؛ يجب الضرب على

وإذا ما قام هذا المجرم بإعداد فوج من الجنود ها؛

سكانها، وقتل الكثيرين منهم، وطرد ملكها، وأخذ مكانه؛ في الأيام الأولى يحسّ الناس بالمرارة، ثم تخف الوطأة بعد أيام، فتقام لهذا الشخص الاحتفالات، وينعت بصاحب الجلالة، ويعدون أحكامه كأحكام القدر، ويرددون باسمه الأناشيد.

فما الذي حدث حتى إذا ما كانت دائرة الظلم أضيق، فإن القائم به يعتبر ظالماً ومجرماً، أما إذا ما اتسعت دائرة هذا الظلم، واقترنت بالقتل والعدوان فإن التسمية تتبدل، فالذي كان يسمى لصًا ومجرماً أصبح يسمى صاحب الجلالة المعظم.

ثم انظروا إلى قوانين العالم؛ شخص ما قام بتأليف كراس حدّد فيه واجبات سكان مدينة أو بلاد ما، كقيامهم بدفع مبالغ سنوية معينة للدولة، أو القيام بأعمال لا يحبونها، فإننا جميعاً ندين هذا العمل، بل ونعد القائم به مجرماً، ولو قام مائة شخص بتأليف هذا الكراس، فإننا نتخذ نفس الموقف.

أما إذا استطاع هؤلاء أن يحصلوا على آراء عدد من المهربين، فيصبحوا نواباً في المجلس، فإنهم حتى إذا قاموا بنهب الأموال، وهتك الأعراض، فإن عملهم هذا يعتبر عقلانيًا وعادلاً، والاعتراض عليه يعد جرماً.

فلماذا هذا التفاوت في السلوك والتشخيص؟ لو قلتم: إن الناس هم الذين انتخبوا النواب وعليهم أن يتبعونهم؛ لقلنا: إن معظم الناس لا يعرفون شيئاً عن النواب والانتخابات وصلاحيات النواب.

وقد مرت الآن أربع عشرة دورة للانتخابات، وقد رأيتم أن الانتخابات في مراحل ما قبل الدكتاتورية وما بعدها لم تجر بشكل عادل وحر. فكيف إذاً تعدون قوانين تلك المراحل قانونية وعادلة، وتعدون معارضتها جرماً، مع أن العمل بموجبها يعد أكبر إجرام وظلم؟

ثم إن عمل النائب ينبغي أن يكون في صالح ناخبيه، وإلا فإنه معزول وخائن ومجرم.

إذاً، فإن جميع القوانين البشرية والحكومات في العالم قائمة على أساس من الظلم وعدم التعقل.

☐ **الحكومة لازمة:**

من أحكام العقل التي لا يمكن أن تنكر، أن القانون والحكومة لازمان للبشر، وأن العائلة البشرية بحاجة إلى النظام والتنظيم والولاية والسلطة.

وفي ضوء أحكـام العقل، فإن السير وراء الحاكم يصبح ضرورياً وواجباً عندما يكون ذلك الحاكم مالكاً لكل شيء يعود للجماهير، وأن يتصرف بذلك كما يتصرف بماله.

ومن تسري أحكام ولايته وهيمنته على كل ما يملك البشر هو رب العالمين، مالك جميع الموجودات، وخالق الأرض والسماوات. فأي حكم يصدره يسري على ملكه جميعاً، ومهما هيمن فإن هيمنته تكون في دائرته الخاصة به، وإذا أعطى الله الحكم لأحد فإن على البشر أن تطيعه، وأن لا تقبل غير حكم الله.

فالحكام هو بشر مثلهم، لهم شهوات وغضب وأحابيل، ويسعون وراء مصالحهم الشخصية، ويضحون من أجل ذلك بمصالح غيرهم. وخلاصة القول، أنهم واقعون تحت تأثير عوامل كثيرة.

ومثل هؤلاء لا يتوقع منهم أحد أن تكون أعمالهم في صالح المجموع، وأن لا يرجحوا أنفسهم على الآخرين، وأن يدوسوا على مصالحهم، وهم لذلك غير منزهين عن الخطإ، بل ويقومون بإجراءات ضد الجماهير وضد مصلحة البلاد.

ومن هنا نجد أن القوانين الجزائية والقانونية الموضوعة تخالف العقل والمنطق، فقانون المالية قانون صبياني، حيث يعطي صلاحيات تامة لشخص جاهل عديم الاطلاع، يستطيع أن يعبث بأرواح الناس وأموالهم كما يشاء.

إن هؤلاء العتاة يريدون حذف اللغة العربية وألفاظها من كلام الله ومن الدين ـ مع

العلم بأنها أسبغت الجمال على ثقافتنا ووسعت من آفاقها ـ وذلك بحجة كونها أجنبية، لكنهم من جهة أخرى يضعون مقدرات البلاد في أيدي حفنة من الأجانب، ويعدون ذلك ـ بوقاحة ـ خطوة إصلاحية، فهل يمكن تسمية ذلك إلا بالغباء والخيانة(1)؟

□ دليل من القرآن:

من يتمعن في هذا الكلام سيجد أن البشر كلما كان أقوى وذا سطوة أكثر، فإنه يبتعد عن الحق ولا يتقبله، فيصبح حكمه أكثر ظلماً، وأبعد عن الحكمة.

ونورد فيما يلي أقوال رب العالمين؛ لنوضح حال هذه الأحكام والحكومات، ونستعين في ذلك بسورة المائدة:

[الآية: ٤٨] ﴿ومَن لم يَحْكُم بما أنْزَلَ الله فأولئك هم الكافرونَ﴾.

[الآية: ٤٩] ﴿ومَن لم يَحْكُم بما أنْزَلَ الله فأُولئكَ هم الظالمونَ﴾.

[الآية: ٥٠] ﴿ومَن لم يحكُم بما أنزلَ الله فأُولئك هم الفاسقونَ﴾.

[الآية: ٥١] ﴿وأنزلنا إليكَ الكتابَ مصدِّقاً لما بينَ يديهِ من الكتابِ ومهيمناً عليهِ فاحْكُم بينَهم بما أنْزَلَ الله ولا تتَّبِع أهواءهُم عمَّا جاءَكَ من الحقِّ﴾.

[الآية: ٥٤] ﴿وأنِ احْكُم بينَهم بما أنْزَلَ الله ولا تتَّبِع أهواءَهُم واحْذَرْهم أن يفتِنوكَ عن بعضِ ما أنزَلَ الله إليكَ﴾.

[الآية: ٥٥] ﴿أفحُكْمَ الجاهليةِ يبغونَ ومن أحسنُ من الله حكماً . . .﴾.

ولو أردنا إيراد الآيات التي حصرت القوانين بالإله لطال بنا الحديث، فنتجاوز ذلك، ونسأل: هل خلق الله هذا العالم بهذا النظام الرائع، لكي يترك البشر بدون

---

(1) إن الشاه حاول منع استعمال اللغة العربية في إيران، كما حاول حذف الألفاظ العربية من اللغة الفارسية . . . فماذا فعل خميني من أجل اللغة العربية؟!

رعاية، مع أنه يعرف أن لكل منهم أهواء وأطماعاً وهوى خاصًا . . . دون أن يوجد لهم حكومة عادلة؟

هذا شيء بعيد عن الحكمة، ولا يمكن نسبته إلى رب العالمين الذي تنهض جميع أعماله على الحكمة والعقل.

إذاً، فالله وحده يجب أن يتولى تأسيس الحكم، ووضع القوانين في البلدان، وهي قوانين قائمة على العدل وحفظ النظام والحقوق، وليس في القوانين السماوية مكان للمصالح الشخصية والأهواء، ذلك لأن الله منزه وبعيد عن ذلك كله.

إن هذه القوانين؛ بجميع جوانبها العامة والخاصة، نابعة من دين الله، الذي هو دين الإسلام ﴿إنَّ الدينَ عندَ الله الإسلامُ﴾، وسنرى أن قوانين الإسلام لم تغفل عن أي شيء ينهض لتشكيل السلطة ووضع قوانين الضرائب والقوانين الحقوقية والجزائية والخاصة بتنظيم الأمور العسكرية والإدارية. لكنكم تجهلون ذلك.

ومصدر البلية هو أن بلاداً لها مثل هذه القوانين، تقوم بمد يدها إلى الأجانب، لتأخذ قوانينها النابعة من الأفكار المسمومة لحفنة من الأنانيين، فتعرض بذلك عن القوانين الإلهية، وكأنها قوانين ناقصة.

وهناك آلاف المواد في الدين لتدبير كل الأمور، وتعيين الأحكام بشأنها، وسنذكر بعضاً منها فيما بعد.

□ خلاصة حديثنا:

ليس لأحد غير الله أن يتحكم في أحد، ولا أن يضع القوانين، والقوانين نفسها وجميعها إسلامية. وسنثبت بأنها وضعت للجميع ولجميع الأوقات. والسلطة كانت آنذاك للنبي وللإمام، وهناك آيات تلزم البشر بإطاعة هؤلاء، ونحن لا شأن لنا بتلك العهود، بل إن بحثنا يخص عهدنا الحاضر.

□ المجلس التأسيسي هو الذي يشكل السلطة :

إن ولاية المجتهد كانت منذ اليوم الأول موضع بحث المجتهدين، والبحث يدور حول الإمساك بالولاية أو عدم الإمساك بها، وحول حدود الولاية وأبعاد السلطة، وتلك هي إحدى فروع الفقه، ولكل من طرفي النقاش أدلة؛ أساسها أحاديث أوردها الرسول والأئمة.

ونحن نترك ذلك جانباً، لأنه بحاجة إلى بحث فقهي، لكننا نسأل العقل سؤالاً واحداً؛ فنحن عندما نقول بأن السلطة والولاية ينبغي أن تكون في الحاضر في أيدي الفقهاء، فإننا لا نريد القول بأن الفقيه إنما هو ملك ووزير عسكري وحارس، لكننا نقول:

كما يتألف المجلس التأسيسي لبلد من البلدان من أفراد ذلك البلد، ويقوم بتغيير السلطة، ويختار للعرش شخصاً آخر، وكما يتألف مجلس الشورى من عدة أشخاص معروفين؛ يفرضون على البلاد قوانين أوروبية كيفية، فتطيعون ذلك طاعة عمياء، وتعُدُّون السلطان سلطاناً بقرار من المجلس التأسيسي المذكور . . . فإن شيئاً في العالم أو في البلاد لن يختل إذا ما تألَّف مثل هذا المجلس من المجتهدين المتدينين العارفين بأحكام الله والملتزمين بالعدالة والمجردين من الأهواء الذاتية، ولم تلوثهم الدنيا ولا حب الرئاسة، وليس لهم هدف سوى تنفيذ أحكام الإله . . . وإذا ما قام هؤلاء بانتخاب سلطان عادل؛ يلتزم بقوانين السماء، ويتجنب الظلم والجور، ولا يعتدي على أموال الناس وأعراضهم؟

وماذا يحدث لو تشكل مجلس الشورى من الفقهاء المتدينين أو كان تحت إشرافهم؟

لقد تشكل المجلس التأسيسي بقوة السلاح، وأصبح حكمه نافذاً، ولكن هذا المجلس لو تشكل طبقاً للقوانين السماوية، فإن مثل هذه الأمور لن تحدث. لكنكم لا ترضون بذلك، لأنكم تريدون اتباع القوانين الأوروبية، وتلك هي تعاستنا الكبرى.

إن المجتهدين لم يعارضوا يوماً نظام البلاد، واستقلال البلاد الإسلامية، وحتى إذا ما عدُّوا هذه القوانين مخالفة لتعاليم السماء، وعدُّوا النظام جائراً، فإنهم لا يعارضون ذلك، لأنهم يرون أن وجوده أفضل من عدم وجوده.

ولذا، فإن حدود الولاية والحكم التي يعينونها لا تتعدى عدة أمور، هي: الفتوى، والتحكيم، والتدخل في حفظ أموال الصغير والقاصر. فلا وجود لذكر اسم السلطة والسلطنة، إذ كل هيمنة وسلطة فيما عدا هيمنة الله وسلطته باطلة ومخالفة لمصلحة الجماهير، وظلم. لكنهم مع ذلك ينظرون باحترام إلى هذه التفاهات.

□ نظرة إلى أقوال هذا الكتيب:

يقول: «ديننا في هذا اليوم يعد الفقيه نائباً للإمام في زمن الغيبة. وهنالك اعتراضات فقهية وعلمية على هذا الكلام ... إلى أن يقول بأن هؤلاء لو أقاموا الولاية والسلطة فإننا سنملُك في كل بيت ملكاً ...».

هؤلاء الحمقى يخلطون الكلام، ويقعون في أخطاء كثيرة، ذكرنا من قبل بأن أي فقيه لم يقل ولم يكتب حتى الآن بأننا ملوك، وأن السلطة من حقنا.

لقد أوضحنا مراراً بأن السلطنة والسلطة تصبح جيدة ومقبولة عندما تكون متجاوبة مع مصالح البلاد والجماهير، وأحسن أنواع هذه السلطة تلك التي تنهض على أساس حكم الإله، والعدالة الإلهية.

ومع ذلك؛ فإن المجتهدين لم يعارضوا هذه التشكيلات غير المكتملة، ولم يريدوا تقويض السلطة، وهم إن عارضوا أحياناً حاكماً، فذلك لأنهم يرون أن وجوده لا يخدم البلاد، وفيما عدا ذلك فإنهم لا يناوئون نظام السلطنة، بل الكثير من كبار علماء الدين تعاونوا مع السلاطين، مثل: الخواجة نصير الدين[1]، والعلامة الحلي، والشيخ

---

(١) هل لنا أن نسأل: مع مَن تعاون الخواجة نصير الدين؟!

بهائي، ومحقق داماد، ومجلسي، وسواهم.

ومع أن الحكومات أو السلاطين أساؤوا إلى هؤلاء، فإنهم لم يناوئوا مبدأ الحكم. وما أبداه المجتهدون من تأييد للحكومات مذكور في التواريخ.

أما محاولاتكم لإثارة الحكومة ضد المجتهدين، فإنها نابعة من سوء نواياكم، وحبكم لإثارة الفتن، والقضاء على الوحدة التي تنهض عليها البلاد، فالمجتهدون يريدون الخير والتقدم للبلاد.

ويا ليتكم ذكرتم جانباً من اعتراضاتكم الفقهية والعلمية على هذا الكلام. لكننا نعرف بأنكم لا تعرفون من الفقه شيئاً، ولا تدرون في أي كتاب كتب الفقهاء ذلك.

□ دليل على حكم الفقيه في زمن الغيبة:

يقول الكاتب: «... ثم إن الادعاء بكون السلطة من حق الفقيه أمر ليس له أسس فقهية».

إن الأسس الفقهية قائمة على الأخبار وأحاديث الأئمة، هو أمر تعود صلته إلى الله وإلى الرسول، ونابع من وحي الله ... ونورد فيما يلي عدة أحاديث لنثبت بأنهم لا يعلمون من الفقه شيئاً:

١ ـ الشيخ الصدوق في كتاب «إكمال الدين»، والشيخ الطوسي في كتاب «الغيبة»، والطبرسي في كتاب «الاحتجاج»، ينقلون عن الإمام الغائب قوله: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله»، إذاً، فإن على الناس في زمن الغيبة أن يرجعوا في جميع شؤونهم إلى رواة الحديث، وأن يطيعوهم، حيث إن الإمام اعتبرهم حجته[1].

---

(١) هنا يتجلى الكذب الرافضي بأقبح أشكاله، فهذه الإحالة على الغائب؛ الذي دخل السرداب ولم يخرج ولن يخرج، ألا تدل على إفلاس الفكر الشيعي وأن أصحابه يحسبون السراب ماء.

٢ ـ في كتاب «معاني الأخبار» للشيخ الصدوق، وفي كتاب «الفقيه»، وهما من أكبر كتب الشيعة، ذكر أمير المؤمنين «أنه قال: قال رسول الله: اللهم ارحم خلفائي. قيل: يا رسول الله! ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون بعدي، ويروون حديثي وسنتي». ويتضح بأن رواة سنة النبي وحديثه هم خلفاؤه، وما يتوجب من إطاعة للنبي ولولايته وسلطته يتوجب ذلك لخلفائه أيضاً.

٣ ـ قال عمر بن حنظلة: «وفيها من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فلْيَرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا، فلم يقبله منه، فإنما استخفّ بحكم الله، وعلينا ردّ، والرادُّ علينا رادٌّ على الله، وعلى حد الشرك بالله».

وفي هذه الرواية عُدَّ المجتهد حاكماً، وعدّ الردُّ عليه ردّاً على الإمام، والرد على الإمام رد على الله، والرد على الله يقع في حد الشرك بالله[1].

٤ ـ في «تحف العقول» رواية عن سيد الشهداء: «. . . وفيها بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه».

ويتضح من هذه الرواية أن إجراء جميع الأمور هو في يد علماء الشريعة، وهم أمناء على الحلال والحرام.

ونكتفي هنا بهذا القدر، ومن يرد الاستزادة فليبحث عنه.

□ مغالطة ووقوع في الخطإ:

وكعادته، يقوم بمغالطة أخرى، ويقول: «يقول بعض الناس: ليس من الضروري

---

(١) هذه السلسلة من الإحالات؛ فالرد على المجتهد ردٌّ على الإمام، والرد على الإمام ردٌّ على الله مباشرة . . . لماذا تجاوز الشيعة رسول الله؟ أم أن الإمامة والاجتهاد الشيعي في منزلة دونها النبوة والرسالة؟!

أن تكون هناك حكومة للفقيه، بل أن تبقى في يد مَن هي كائنة في يده، على أن يسترشد بالفقهاء، كما يفعل بعض الشاهات، وذلك موجود في القانون».

صحيح أن الفقيه يستطيع أن يعطي الإذن، لكنه لا يستطيع أن يأذن للجميع، وحتى النبي والإمام غير مكلفين من جانب الإله بأن يأذنوا للجميع، بل إنهم يعطون الإذن للذين يلتزمون بقوانين السماء القائمة على الحكمة والعدل، وشريطة أن تكون قوانين البلاد سماوية إلهية وليست أوروبية. وفي ضوء الحكمة والدستور، فإن أي قانون يخالف قوانين الإسلام، لا يكون قانوناً مشروعاً.

لذا؛ فإننا نقول بأن البلاد ليست حتى الآن بلاداً دستورية، لأن مجلسها ليس قانونيًا، وكذلك انتخاباتها وقوانينها.

ومع ذلك فإن المجتهدين لا يجيزون مناوءة ذلك كله، بل هم سباقون في حمايته.

ورأيتم أن الذين حققوا شيئاً من الاستقلال في ما بين النهرين، كانوا من العلماء، وفي مقدمتهم محمد تقي الشيرازي، وإذا ما تعرضت البلاد للمشاكل، فإن المجتهدين يرون بأن الواجب يحتم عليهم أن يعملوا على التغلب عليها، بل والتعاون مع الدولة عند الشدة.

ومن الأخطاء التي وقعت في البلاد هو نزع نفوذ الروحانيين، وقد تألم أبناء الشعب لذلك، والدولة لا تستطيع الدفاع عن البلاد مع وجود هذه القلوب المتألمة، أما إذا كان نفوذ الروحانيين موجوداً، فإن الناس يتحركون كما في صدر الإسلام، والبلاد تدافع عن نفسها بيد واحدة، وبقوة الروحانيين، وكانت هذه إحدى خطايا الدولة.

أما خطؤها الآخر، فهو سعي الدولة لجعل الشباب يسيؤون الظن بالروحانيين، مما أدى إلى عزل القوى الروحية عن القوى المادية، وسبَّب للبلاد أضراراً كبيرة، وما لم نُعِدْ هاتين القوتين إلى بعضهما، فستبقى هذه الحال. ولا نتصور بأن ذلك نابع من عقل

رضا خان المتيبس، بل إنه من تدبير أفكار مدبرين آخرين.

□ الإذن للدولة وبيان الدور:

ويدعي الكاتب الاجتهاد، فيقول: «إنني أعطي الإذن للمجلس وللدولة بأن يقوما بعمل ما ينفع البلاد والناس»، وعلى الجميع أن يشكروا الله ويشكروا هذا الكاتب، على هذه المنة التي منّ بها على الجميع، وحلّ عقد جميع الأمور.

يا ليته يعطي هذا الإذن لجميع مجالس العالم ودولها، حتى يصبح العالم جنة، وحتى تقوم الحكومات السماوية في كل مكان.

ثم يقول: «إنه من المستبعد أن تتماشى الأمور وفق هذه التعليمات، لأن (الدور) يصبح هنا لازماً. إذ إن ذلك معناه أن وجود القانون والمجلس يصبح رهناً بإذن الفقيه وإجازته، وبوجود الفقيه لا يصبح ثمة جدوى للقانون والمجلس والدولة».

وهنا أيضاً تتكشف ضحالة معلومات الكاتب، إذ حتى طالب الابتدائية، يعرف أن (الدور) معناه أن يكون شيئان متوقفان أحدهما على الآخر. أي أن وجود أحدهما يستلزم وجود الآخر . . . وهو تماماً كأن نقول بأن الجو إن لم يصبح بارداً فإن الماء لن يتجمد، أو أن الماء إن لم يصبح بارداً فإن الجو لن يصبح بارداً، أو أن تقول: إن الشمس إن لم تشرق فإن النهار لن يطلع، أو أن نقول: إن النهار إن لم يطلع فإن الشمس لن تشرق.

ففي المثالين السابقين ارتبط جمود الماء وطلوع النهار ببرودة الجو وشروق الشمس، إلا أن برودة الجو وشروق الشمس لا علاقة لهما بالتجمد وبطلوع النهار.

إن الكاتب يقول: إن وجود القانون والمجلس مرهون بإذن الفقيه، وبوجود الفقيه لا يصبح ثمة جدوى للقانون والمجلس والدولة.

ولنفرض أن ما قيل إنما هو صحيح، فأين (الدور) في ذلك؟

فحتى إن كان إذن الفقيه بشأن المجلس والدولة والقانون يعمل على إيجاد حالة (الدور)، إلا أن إذن الفقيه لا يتعلق بأي واحد من ذلك.

ولذا؛ فإن القول بأن وجود الفقيه ينفي وجود المجلس والدولة والقانون . . . لن يكون صحيحاً، لأن ذلك يشبه القول بأن وجود المجلس مرهون بوجود النواب والانتخابات، وإن وجود النواب والانتخابات ينفي وجود المجلس.

ونقول نحن بأنه لو تشكلت حكومة إلٰهية عادلة، فإن المجلس ينبغي أن يتألف من الفقهاء، أو بإشراف منهم، وأن يتم طرح القوانين السماوية فيه، وأن يجري البحث فيه حول كيفية تنفيذ تلك القوانين.

والخلاصة؛ إنْ تقولوا إن السلطة التشريعية هي من الأفكار البالية، فإننا نقول: إن هذه السلطة هي هبة من رب العالمين، ولصالح الجميع، وإنها خالية من الأغراض، ولا تقع تحت تأثير أية عوامل خارجية، أو أي أحد، ولا تجعل مصلحة البلاد ضحية لبلاد أخرى.

ولذا؛ فإن وجود المجلس يخدم مصالح البلاد، وإنه يعتمد في ذلك على القوانين السماوية، ويقوم بمراقبة السلطة التنفيذية.

إننا متفقون على ضرورة وجود السلطة التشريعية، والقضائية، والتنفيذية؛ ولا خلاف بيننا حول ذلك.

لكن الخلاف هو: هل الإلٰه قادر على سن القوانين؟ وهل يستطيع تشخيص مصلحة البلد الإسلامي أفضل من الأجانب؟

إننا نقول: إن الله قادر على ذلك، وقد فعله، فهل تقولون عكس ذلك، وتدعون بأن قوانين الإسلام ليست من عند الله؟ أم تقولون بأن هذه القوانين التي جاء بها الله ليست في صالح البلاد، وأنكم تشخصون مصلحة البلاد بشكل أفضل من الله . . .؟

□ كذبة أخرى:

ويقول: «يقول ديننا اليوم: إن التقليد ينبغي أن يكون من المجتهد الحي، أما من يموت . . . فينبغي أن يتم ترك أقواله ورسالاته جانباً . . .».

لكان الكاتب لا يعرف شيئاً عن الدين، ولم يقرأ الرسالات، فمسألة تقليد المجتهد المتوفى يمكن أن تبحث من جانبين:

الأول: هل التقليد ينبغي أن يتم للميت أم للحي؟

إنكم تقولون بأن المجتهد إذا ما توفي فينبغي صرف الأوقاف والمبالغ لشراء كتب جديدة وقراءتها من جديد. لكننا نؤكد بأن الدين يجيز تقليد المجتهد المتوفى، ونحن ننقل هنا عبارات بعض العلماء، ومراجع تقليد أحد هؤلاء المجتهدين، الذي ما زال الكثيرون يقلدونه، مع أنه توفي، هو السيد محمد كاظم يزدي، مؤلف «العروة الوثقى»، وهو أشهر كتب الفتوى. وننقل هنا بعض عباراته حتى تعرفوا ماهية هؤلاء.

المسألة (٩) الأقوى جواز البقاء على تقليد الميت، ولا يجوز تقليد الميت ابتداء.

وها هو ذا مرجع التقليد أبو الحسن الأصفهاني يجيز تقليد الميت في الأمور التي كان يعمل بها الناس في حياة المجتهد.

لقد كان عليكم أن تقرؤوا هذه الكتب، ثم تقوموا بالاعتراض؛ حتى لا تتعرضوا للفضيحة . . .

ولنفرض جدلاً بأن تقليد الميت غير جائز إطلاقاً، فكم نحتاج من الوقت والمال لشراء كتب جديدة، وتعلم مسائل جديدة، فلو كان على عهدنا، خمسة مجتهدين، فعلينا بعد وفاة كل واحد منهم أن نبتاع كتب الآخرين.

إن كلًّا منها لا يتجاوز سعره التومان الواحد، أي إننا نصرف طوال عمرنا أربعة تومانات على شراء هذه الكتب، وإذا ما صرفنا النظر عن أن هذه الكتب دينية، وأن

الاستهانة بها استهانة بالله، فلنقارن هذا المبلغ الضئيل بالمبالغ التي تصرف لشراء روايات تسيء إلى الأخلاق والقيم؛ إننا نعلم بأنكم غير مبالين للمجتهد وللكتب.

هذا فيما يتعلق بالمال، أما بالنسبة للوقت، فإن المهتمين بأمور الدين يعرفون بأنه ليست ثمة خلافات كبيرة بين المجتهدين حول القضايا التي تهم الناس. لذا؛ فلو خصص شخص نصف ساعة بعد صلاة الفجر، ومثلها بعد صلاة العشاء، لتعلُّم مسائل الدين، لأصبح ملمًّا بالمسائل، ولم يعد بحاجة إلى أحد.

قارنوا بين هؤلاء المتدينين الذي يجتمعون في المساجد ويدرسون مسائل الدين وبينكم أنتم الذين إما أن تكونوا نائمين أو تتسكعون في الشوارع. إنهم يصرفون جل أوقاتهم من أجل الدين، وعليكم أن تسألوهم حتى تعلموا هذه المسائل وحتى تدركوا كنه القضية.

ثم قارنوا الوقت الذي يُصرف لتعلم مسائل عبادة الله بالأوقات التي تذهب هدراً في دور السينما والمسارح وحفلات الرقص وفي سباحة الفتيات مع الفتيان وغيرها من الأمور التي استهانت بعفة الشباب وخنقت فيهم روح التقوى؛ لكي تعرفوا الفرق بين العمل الذي تعتبرونه إضاعة للوقت، وبين العمل الذي تقومون به أنتم.

ثم اسألوا أنفسكم عن علة هذا الضجيج؛ هل تعز عليكم أوقات وأموال سكان هذا البلد ولا تريدون تبديدها؟ أم أن الدين لا قيمة له عندكم، حتى إنكم لا ترغبون أن تصرفوا من أجله هذه الأوقات التي تنفقونها في جولات لا أخلاقية، تطوفون بها الشوارع والطرقات؟ ﴿ومَن لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نوراً فما لَهُ مِن نورٍ﴾.

□ تدخل أهوج في المعقولات:

هؤلاء المساكين يتدخلون في المعقولات دون أن يميزوا المحسوسات، ويقحمون أنفسهم في النظريات دون إلمام بالعلوم الأولية.

فيقول كاتبهم: «إن دليل العقل والنقل يختلف عن تقليد المجتهد الحي، لأن

النقل يقول: فارجعوا إلى رواة أحاديثنا؛ ولو كانت الحياة شرطاً، فينبغي عليكم ترك هذه الأحاديث جانباً. كما أن العقل يقول: لو أن عالماً أو طبيباً أو مهندساً أو فقيهاً قام بعمل ما، ثم توفي، فإن ما قام به يبقى قائماً، ولا يجب تركه جانباً».

لقد أوضحنا بأن فقهاء الشيعة يجيزون تقليد الميت، والدليل الذي جاء به هؤلاء يدل على جواز تقليد الميت، فعبارة: «فارجعوا إلى رواة أحاديثنا»، هي إدامة لحديث الاحتجاج، وإكمال الدين، وقد تطرقنا إليها في بحث حكومة الفقيه.

ويقول: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا. وقد وقعت على عهد رضا خان ثمة أحداث؛ كالخدمة العسكرية، وتوحيد الزي، كما أن مئات الحوادث وقعت منذ الحركة الدستورية وحتى الآن، معظمها حديثة العهد، لكن الفقهاء والمجتهدين لم يتطرقوا إليها».

ويقول في هذا الحديث: اذهبوا إلى رواة الأحاديث في كل ما يجد. فهل يعني ذلك أن علينا أن نمضي إلى الأموات ونسألهم؟ أم أن نبحث في كتبهم؛ حيث لا وجود فيها لمثل هذه الأشياء؟ أم لا نسأل رواة الأحاديث عن هذه الأحداث المستجدة؟ لا مندوحة لكم من أن تقولوا: ارجعوا إلى الأحياء. وبالإضافة إلى ذلك فإنه يقول: ارجعوا إلى الأحاديث، وليس إلى كتبهم.

ولو طلب منكم أحد ـ عند إصابتكم بالمرض ـ مراجعة الطبيب، فهل تذهبون إليه أم تلجؤون إلى كتب الطب؟ قالوا لنا: ارجعوا إلى رواة الأحاديث. لذا فنحن ملزمون بأن نمضي إليهم؛ إلا أن يقول لنا المجتهد بأن نفعل كذا وكذا. ولذا فإن دليلكم العقلي دليل على عدم تعقلكم، لأننا لا ننبذ كتب العلماء والمجتهدين بعد وفاتهم، بل نستفيد منها.

لقد كان عليهم أن يرجعوا إلى كتاب «الشرائع» تأليف محقق المتوفى سنة ٦٧٦هـ، وكتاب «القواعد» للعلامة المتوفى سنة ٧٢٦هـ، وهما من كتبهم المهمة، ليتأكدوا بأنها متداولة حتى الآن.

إن تجاوزنا ذلك كله، فسنجد بأن تقليد المتوفى إن كان جائزاً دوماً، فإن الإسلام ما كان موجوداً الآن، لأن الناس ما كانوا ليرجعوا إلى الملالي، وكانت الملائية قد زالت من الوجود. فيظهر متحللون مثلكم، وينشرون بين الناس كتباً مشحونة بالأكاذيب، ويبثون فيهم أفكارهم المسمومة اللادينية؛ دون أن يظهر من يشخص الأخطار والانحرافات، ولو ظهر كل بضعة أعوام نفر مثلكم، ولم يكن للملالي وجود، فإن الدين كان سيؤول إلى الزوال.

عليكم أن تعلموا أن تقليد المجتهد الحي هو إبقاء للدين، لأن أساس بقاء الدين قائم على تقليد الأحياء. والمجتهدون الذين يجيزون تقليد المتوفى، لا يجيزون ذلك بدون إذن من مجتهد حي. ولذا فإن الدين سيبقى دوماً راسخاً وحيًّا.

لكنكم أنتم الأفاقون تعارضون بقاء دين الإسلام حيًّا، غير أن الإسلام سيبقى رغماً عنكم قائماً: ﴿إِنَّا نحنُ نزَّلْنا الذِّكْرَ وإنَّا لهُ لَحافِظونَ﴾، وأنتم كنتم تظنون بأن الدين قد زال في ظل العهد الدكتاتوري الحالك. ولكن عليكم أن تعرفوا بأن الدين باق، وأن الآلاف من أمثال رضا خان هم الزائلون. فاعتبروا بذلك، ولا تعبثوا بدين الله، ولا تمدوا إليه يد الخيانة، واحذروا من أن يد القدر ستخرج من أردان الانتقام، وتبيد هذه الحشائش التافهة ﴿إنكم وما تعبُدونَ من دونِ الله حَصَبُ جهنَّمَ أنتُم لها وارِدونَ﴾.

□ تدخل أهوج أيضاً:

ويقول: «وقد أوجدوا لهذا الحكم ـ أي عدم جواز تقليد المتوفى ـ دليلاً وهميًّا باسم (مبدأ عدم الجواز)، وعليهم أن يسألوا أهل العلم ليروا على أي أسس ينهض دينهم».

واضح بأن الذين لا يجيزون تقليد المتوفى لهم أدلة غير دليل (عدم الجواز)، وعلينا أن نوضح هذا الدليل الذي لم يفهمه هذا الأحمق، وراح يسخر منه:

لديكم مريض بحاجة إلى طبيب. عقلكم يقول لكم: اخرجوا إلى الطريق، وأتوا بأول من تلاقونه ليعالج مريضكم، وهذا أمر غير جائز؛ ما لم يكن المذكور طبيباً

متخصصاً في ذلك المرض.

او أنكم تريدون دراسة الحقوق أو الرياضيات، فتذهبون إلى من هبَّ ودب من أجل ذلك، ولكن هذا أمر غير جائز؛ ما لم يكن المذكور متخصصاً فيما تريدون دراسته.

هذه الأمور تعكس مبدأ عدم الجواز، والعقل لا يسمح بالرجوع إلى من هب ودب في الأمور، إلا أن يكون ذا عقل متنور.

إن الله جعل عالم الدين أثمن ثروة للسعادة البشرية، وباتباعنا له نجعل أسس الحياة أكثر ثباتاً، وهذا شيء على جانب من الأهمية.

إن عقلنا يقول: ما لم نهتد إلى سبيل واضح، فإن تقبل المسائل من أي شخص كان أمراً غير جائز، والسبيل الواضح هو الذي يدلنا عليه عقلنا، أو هو الذي تهدينا إليه الأدلة المنقولة أو احكام الإله.

فهل تريدون منا أن نأخذ الدين من كل من هب ودب دون أن نضع شرطاً لذلك؛ حتى ولا شرط عدم الجواز؟ أم أن لذلك شروطاً كما للطبيب والمعلم شروط؟

إن العقل ينبغي أن لا يتأثر خطى أحد بدون وجود سبيل واضح، إن المتدينين هم من أولئك الذين لا يسلكون طريقاً ما لم يكن العقل قد أضاءه بنوره، ولكن يبدو أن أولئك الحمقى لا يعرفون شيئاً عن تلك الأحكام الضرورية والواضحة للعقل، التي تنهض عليها حياة البشر، أو عرفوها وتعمدوا تجاهلها.

أجل؛ إن العقل هو إحدى أسس أحكام ديننا، وهو ذلك العقل الذي تقولون عنه إنه هبة الله، وهو كالعين بالنسبة للإنسان، فكيف لم تر عينكم شيئاً واضحاً تسير على هديه قافلة الحياة؟ ﴿وَمَن كانَ في هٰذهِ أعمى فهو في الآخرةِ أعمى وأضلُّ سبيلاً﴾.

□ كذب وادعاء:

هذا الكاتب الذي فضحنا أكاذيبه وخياناته، يقوم بادعاءات صبيانية، فيقول: وقد يتصور أحد أن هؤلاء لهم سند آخر غير (مبدإ عدم الجواز)، لكن سلاحنا هو الحقيقة،

فكيف إذا انكسر ذلك بأيدينا، وأنا أطمئنكم بأن لا أكتب في هذا الكتاب كلمة تخالف الحقيقة».

ويعرف القراء بأن هناك أدلة وبراهين أخرى لا يعرف بها الكاتب، وعلى فرض أنه ليس هناك غير هذا الدليل، لكنه دليل استندت عليه حياة جميع العلماء الذين اتخذوا منه هادياً، ويسترشد به جميع العقلاء.

لكن هذا المسكين لم يتفهم ذلك كله، وراح يطلق الأباطيل، ويقول بأنه لم يؤلف كتابه خلف جبل واق واق. أي إن من لا يكون خلف هذا الجبل، يحق له أن يفعل ما يريد، فعمال الحمامات والحمالون الذين لا يعيشون خلف جبل واق واق، لهم أن يتدخلوا في العلوم.

وأنا أقول: حتى من يعيش خلف ذلك الجبل، كان سيؤلف كتاباً أقرب من هذا الكتاب إلى الحقيقة، لأنه لم يكن ليجعل من عقله الذي وهبه الله إياه قرباناً لشهواته وأنانيته.

إن أبسط الناس يفقه مبدأ (عدم الجواز)، لكنكم لم تفهموه، فشرعتم بمحاربته.

يقول الكاتب: «ولدينا سلاح هو الحقيقة، ونحن لا نحطم هذا السلاح بأيدينا».

ولو كان ما يقوله هو الواقع، فلا يمكن نعته بغير الاختلال في الفكر، وهذا على أي حال أفضل من اتهامه بالتضليل والابتعاد عن الحقيقة.

وهو يقول: «وأنا لا أقسم، ولكنني أعد بعدم تناول غير الواقع في هذا الكتاب».

وقد أدرك القراء قيمة هذا القول، وأنا أستطيع القسم بأني لم أجد في عمري كتاباً كهذا الكتاب، يبتعد عن الواقع والحقيقة والإنصاف وقولة الحق.

لقد قرأت الصفحة السادسة عشرة من هذا الكتيب ذي الست والثلاثين صفحة، وأقسم بالله وبالضمير بأني لم أجد فيه ذرة من الصحة والصدق، وأنتم أيضاً لكم أن

تبدوا رأيكم فيما نقول، فإذا كنا قد أخطأنا فتبهونا إلى ذلك، لكي نعود عنه، ونشكركم لأنكم نبهتمونا إلى أخطائنا.

◘ ادعاء ضد الروحانيين:

هؤلاء المعـادون للدين والمتدينين يلصقون ادعاءات كاذبة بالمتدينين، فيقول كاتبهم: «ولقد قالوا عن رجل الدين: إن من نعت خفَّ رجل الدين بأنه خفيف إنما هو كافر». ثم يستنتج من هذه الكذبة استنتاجات حمقاء.

ولا ندري من أين جاء الكاتب بهذا الكلام، وعن أي مجتهد نقله.

لقد تحدث المجتهدون في كتبهم عن الكفر دون ذكر لاسم رجل الدين.

في كتاب «العروة الوثقى» وفي باب النجاسة ورد ما يلي:

«والمـراد بالكـافـر من كان منكراً للألوهية أو التوحيد أو الرسالة أو ضرورة من ضروريات الدين، مع الالتفات إلى كونه ضرورياً بحيث يرجع إنكاره إلى إنكار الرسالة».

ويتضح من ذلك أنه ليس هناك ما هو أكثر كفراً من إنكار الله ووحدانيته وإنكار النبوة.

وحيث إن الإنكار الضروري يستتبع إنكار النبوة، فإنه يكون مجلبة للكفر. وفي هذه الحالة؛ فإن الروحاني مثلَ سواه لا يشكل قتله كفراً.

ولكن من يهين رجل الدين على أساس كونه مرتبطاً بالنبي، فيؤول ذلك إلى إنكار النبـوة، وإلى معاداة النبي ورب العالمين . . . فإن ذلك يعتبر كفراً، لا بسبب توجيه الإهانة إلى رجل الدين، بل من أجل إنكار الرسالة.

فمن أين جئتم بهذه الفرية؟ ثم يدعي كاتبكم بأنه لم يذكر في كتبه ما يخالف الواقع. ولعل لمخالفة الواقع مفهوم خاص لديكم ليس لنا به علم.

◻ نظرة إلى إصلاح الروحانية :

وبعد هذه المقدمة، يستنتج كاتبهم ما يلي :

«وحيث إن السمة ثابتة بالنسبة للروحاني، فإن أحداً لم يستطع أن يمد يده لإصلاح ذلك أو استنكاره، مما آل بالوضع إلى هذا الحال».

نحن لا نقول إن هذه الفئة منزهة، وليست بحاجة إلى الإصلاح، إنها كسائر الفئات، فيها الصالح والطالح، وطالحها أكثر فساداً وضرراً من الآخرين، كما أن صالحها أكثر نفعاً للناس وللبلاد ولاستقلاله.

لكن إصلاح هؤلاء لا يمكن أن يوكل إلى أمثال رضا خان؛ الذي لا يعرف هل تكتب كلمة (الروحاني) بالحاء أو الهاء، ولا يعرف معنى الروحانية والمعارف، ولا يميز بين ما هو صالح وفاسد، ولم يكن ضغطه على الروحانيين بقصد إصلاحهم، بل لقلع جذورهم. لكن النتيجة أصبحت معكوسة «ولا يزال يؤيد هذا الدين بالرجل الفاسق».

إن الدولة لا تستطيع، بل ولا يحق لها، أن تفكر بإصلاح هذه الفئة، وليس لها القدرة على ذلك. كما أنكم الذين لفقتم عشرات الأكذوبات في كتيبكم . . . ليست لديكم اللياقة لكي تمدوا أيديكم إليها. إن من يحق له أن يقوم بالإصلاح ينبغي أن يتوفر فيه ما يلي :

١ ـ التخصص في العلوم الروحانية البعيدة عن التهويش.

٢ ـ التعلق بالدين والروحانية والإيمان بضرورتها للبلاد.

٣ ـ صفاء نية الروحاني وتحاشيه المصالح الشخصية.

٤ ـ التحلي بالعقل المدبر، والتمييز بين الصالح والطالح، وإنجاز الأمور بتعقل.

٥ ـ وجود نفوذ للروحاني حتى يتمكن من تنفيذ خططه.

هذه الشروط تتوفر في الروحانيين من الدرجة الأولى، لكن الآخرين إذ يسعون

إلى الإصلاح، فإنهم لم يحققوا النتائج المرجوة لذلك، ومع هذا فإن ما تقوم به هذه الفئة يفيد البلاد والأفراد مع كل ما فيه من نقائص، وله آثار أكبر من آثار مئة فوج عسكري.

فالشرطة ـ مثلاً ـ تمسك باللص وتعاقبه، لكن أولئك يقتلعون جذور الخيانة من القلوب، وهؤلاء يشيعون الأمن في البلاد. والأفراد الذين يسجنون يتعلمون اللصوصية في السجن، وعندما يخرجون يمارسونها، لكن من يتتلمذ على أيدي الروحانيين يحتفظ بكيس الذهب عاماً كاملاً، حتى يعثر على صاحبه، ويعيده إليه.

أيها الحمقى! إن الدين جنة على الأرض، أوجدتها أيدي الروحانيين الطاهرة، والروحانيون الذين تقارعونهم يديرون بصمت ثلثي البلاد، وأعمال اللصوصية والخيانات والجنايات وإراقة الدماء والفسق والفجور هي من أعمال الثلث الأخر، ممن لا علاقة لهم بالروحاني. ولو تركتم أنتم الحمقى جميع الناس ليكونوا على صلة بالروحانيين لانتفت الحاجة إلى الشرطة في العالم.

عمل مدرسة دينية واحدة يساوي عمل مئات من مراكز الشرطة.

ارجعوا إلى ملفات الشرطة وإلى السجناء، فهل ترون بينهم رجل دين واحد؟ إنكم إذ تحاولون التقليل من نفوذ الروحاني ومن مكانته لدى الناس، إنما ترتكبون أكبر خيانة للبلاد. فزوال نفوذ الروحاني يشيع التحلل الذي لا تستطيع مئات المحاكم ومراكز الشرطة إصلاح جزء يسير منه.

■ السؤال السادس والإجابة عليه:

«هل الأفضل للروحاني أن يؤمن مصروفه عن طريق العمل أو من مصدر ثابت، فيكون حرًا في قولة الحق، أم يحصل على ذلك من الناس فيضطر أن يسلك كما يشاؤون»؟

للإجابة على السؤال ننظر إلى عمل الروحاني وإلى مصادر إنفاقاته.

ما هو عمل الروحاني؟

للروحاني عدة أعمال؛ أبرزها تشكيل الحلقات العلمية، وتأسيس المدارس، وكليات العلوم الدينية، حيث تقوم عناصر روحانية متقدمة ومهمة بالتدريس فيها، ويعرفون باسم «المدرسين النهائيين للعلوم الدينية»، وهم الذين تتألف منهم الحلقات (الحوزات) العلمية العليا.

ويصل إلى هذه المرتبة من أنهى دراسة العلوم الأولية، واجتاز الدورات السطحية والخارجية، وأثبت خلالها استعداده الذاتي؛ ويكون بالإضافة لذلك متمتعاً بقوة البيان والقدرة على تقريب الأمور الدقيقة إلى أذهان الطلبة.

ويوجد مثل هؤلاء الأفراد في الحوزات الدينية في النجف وقم ومشهد، ولا يتجاوز عددهم العشرة.

أما لماذا قلة عدد هذه الفئة، فذلك لأن بلوغ هذا المقام ليس ميسوراً للجميع. ومن له دراية بالفقه الذي هو أحد علوم الاجتهاد، يعلم بأنه بحر بلا نهاية، لا يمكن الإحاطة به بعد أربعين سنة من الدراسة الدائبة.

إن أحداً لا يعرف مدى الجهود التي بذلت لتأليف كتاب صغير مثل «العروة الوثقى»، إنه ثمرة جهود ٦٠ ـ ٧٠ سنة لأحد الفقهاء، مع أنه لا يلم بجميع أمور الفقه.

إن الاجتهاد الذي يعني الاطلاع على جميع القوانين السماوية الخاصة بأمور

الفرد والمجتمع، وله دخل في أمور ما قبل ولادة الإنسان وما بعد وفاته، وله آلاف القواعد والفروع . . . لا يمكن الإحاطة به في خمسين عاماً من التفرغ التام لذلك. ومن رأى كتاب «جواهر الكلام» يدرك مدى جهود المجتهدين.

إننا نخاطب المتدينين المؤمنين بالله والقرآن والرسول ـ ولا نخاطبكم أنتم الذين تقولون: لا لزوم لذلك كله ـ متسائلين: هل جاءنا الله ورسوله بهذه الأحكام لكي نطبقها أم لتكون سواداً على بياض؟

لو جاؤوا بها من أجل التطبيق، فإن تنفيذها يصبح لازماً، والعمل بها يحتاج إلى وقت، لربما يبدأ ببداية العمر وحتى نهايته، فهل يحق للمجتهدين والروحانيين إذاً أن ينصرفوا إلى أعمال أخرى، وممارسة التجارة من أجل كسب العيش؟ ولا شبهة في أن الجمع بين الاثنين غير ممكن.

فإما أن يتركوا الحوزات العلمية والانصراف إلى القرآن وأحكام النبي ونفض أيديهم من الدين، وإما أن يتمسكوا بالقرآن وبأحكام النبي وأحاديثه. وعليكم أن تعلموا بأن هذه الفئة ليس لها أن تعمل عملاً آخر.

ثم إن علينا أن نعلم بأن كبار الروحانيين، أو الذين يعملون لبلوغ هذه المرتبة، أو المروجين للدين في القرى والمدن؛ إنما يساعدون على إحلال النظام في البلاد، ويحرصون على ترويج القوانين السماوية، ودعوة الناس إلى عبادة الحق، وإلى التقوى، وقلع جذور الفساد، والخيانة، والجريمة، والاعتداء . . . ويعملون في هذا المجال ما لم تفعل عُشْره المحاكم ومراكز الشرطة.

لذا فإن من لهم صلة برجال الدين ليست لهم أية سوابق في دوائر الشرطة، وإن كانت لهم فإنها تشكل أقل من الواحد بالمئة.

ولو فطنت الدولة إلى ذلك لكان عليها أن تدعم الروحانية، وتزيد من نفوذها، لكن ما العمل والحكام لا يهتمون إلا بأنفسهم، ولا يعنون بإصلاح البلاد؟

لقد تبين الآن أن دوران عجلات الدين بحاجة إلى مثل هؤلاء؛ الذين إن لم يتجمعوا في حزب له أهميته لدى الجماهير، فإن كلامهم لن يكون مؤثراً.

الكل يعرفون أن قيمة الكلام من قيمة قائله، فالإنسان عادة لا يفهم وزناً لكلام شخص لا ينظر إليه باحترام، وأنتم لو سمعتم كلاماً من شخصين، فإن أثر كلام الذي تحترمونه يكون عشرة أضعاف أثر كلام الشخص الآخر.

والبقال لا يقبل الموعظة من بقال مثله، لكنه إذا ما سمعها من إمام القرية يتقبلها منه فوراً.

ورجال الشرطة إن لم يكونوا حزباً مستقلاً، وكانوا كالناس في الملبس والمكسب والعمل، لما نظر الناس إليهم عشر نظرتهم الحالية.

والعسكري إن بدل زيه يكون شأنه شأن الآخرين، وإذا ارتدى زيه الرسمي فإن النظرة إليه تتغير.

فإذا ما أردنا ترويج الدين بين الناس، فتخدمهم ونخدم البلاد بذلك، فعلينا أن نوجد حزباً مستقلاً للروحانيين، وأن ننظر إليهم باحترام كبير، لا لأنهم بحاجة إلى ذلك، بل لأنهم بنفوذهم يديرون ثلثي أمور البلاد بدون مقابل.

□ نظرة إلى نفقات الروحانيين:

لا بد أن القراء المحترمين يقومون مرة أو مرات في العام بزيارة مراكز الروحانية الشيعية . . . فهل فكروا بزيارة مدارسها، وتفقد أحوال دارسي القرآن والأحاديث فيها، ومعرفة ما يأكلون وما يبذلون من جهود مضنية لخدمة القيم الروحانية؟

إن لم تفعلوا فاذهبوا وشاهدوهم، ولا نقول ساعدوهم ماديًا، فالله يدعمهم، ويحمي قوة روحانيتهم.

ثم مروا بدار أحد كبار علماء الدين وانظروا وضعه.

ثم توجهوا إلى دوائر التسجيل العقاري لتطلعوا على أملاك علماء يخدمون الناس منذ خمسين عاماً . . . فهل ستعثرون على سند لملك صغير يعود لواحد من هؤلاء؟ إن أغناهم لا يملك أكثر من بيت أو ملك صغير ورثه عن أبيه .

ثم اذهبوا إلى منزل أحد النواب ، وقارنوا بين ما يملك هؤلاء وبين وضع الروحانيين في المركزين الدينيين الكبيرين ، لتعرفوا ما يحصل عليه من مال .

فلنبحث الآن عن مصدر تأمين هذا المال القليل .

لو أقر المجلس قانوناً لضرائب تم استيفاؤها بالقوة من الناس ، لتدفع كرواتب للموظفين ، فإن أحداً لا يقول بأن هذه الأموال إتاوة ، وإن الموظفين يأكلون السحت .

إن الناس لا يدفعون الضرائب عن طيب خاطر ، ومع ذلك فإن موضع جمع تلك الأموال يسمى ببيت المال ، ورواتب الموظفين تعتبر حقًا مشروعاً .

ولكن إذا وضعوا قانوناً إلهيًا ، وعملوا بموجب الآية [٤٢] من سورة الأنفال القائلة : ﴿واعْلَمـوا أنَّ ما غَنِمْتُم من شيءٍ فأنَّ لله خُمُسَـهُ وللرسـولِ﴾ ، فإن الناس سيدفعون الضرائب الإلٰهية برضاهم ، ويسلمونها ـ في مراكز العلم ـ لأيدي من عينهم الله ، فيقوم هؤلاء بتوزيعها بين الآخرين .

إن هؤلاء يخدمون البلاد أكثر من سواهم ، ومع ذلك فإن نفقاتهم تؤمن من بيت المـال الصحيح ، وبمـادة قانـونية إلٰهية ؛ لكنكم لا تعترفون بهذه القوانين ، وتعادون القرآن ، وتحاربون الوجدان والحكمة . . بل إنكم تناوئون المبادىء لأنها تعارض أمانيكم .

تبًا لقوانين المجلس التي وضعها نفر معلوم ، أو تم اقتباسها من قوانين أوروبا ، ثم سميت باسم بيت المال أو الحق المشروع .

ويا لتلك الملايين التي تنفق على أمور نعرفها جميعاً ، وفي مقابل ذلك يتم تقديم البلاد للآخرين ، وتبديد ثروات البلاد عبثاً ، ثم تسمى القوانين الإلٰهية بأكل السحت .

□ خلاصة كلامنا في ذلك:

نستنتج مما تقدم بأن الروحاني ليس له أن يمارس غير العمل الروحاني المتمثل في إشاعة التوحيد والتقوى ونشر القوانين السماوية وتهذيب الأخلاق.

وواجب الناس والدولة هو مساعدة هؤلاء في بسط نفوذهم حتى يتيسر حفظ استقلال البلاد وحماية عظمتها من السياسات الخارجية، ويصان أمنه واستقراره الداخلي.

أما الجيش فينبغي أن يكون تحت نفوذ الروحانيين؛ لنجني من ذلك فوائد جمة وكبيرة.

وقوى الشرطة والقوات العسكرية بحاجة إلى الروحانيين أكثر من الفئات الأخرى

ففصل الروحانية عن الدولة كفصل الرأس عن الجسد، حيث إن الدولة ستفقد استقلالها وأمنها الخارجي والداخلي، والروحانية ستتبدد، والمؤسف أن حكامنا إما يغطون في النوم، أو أن الآخرين قد استغفلوهم.

واستنتاجنا الآخر مما تقدم أن الروحانيين يعتاشون من بيت المال، ولا يأخذون شيئاً من الناس مباشرة، وبيت المال هو الخزينة الإلهية، تم سن قانونها قبل أكثر من ١٣٠٠ سنة، والناس مكلفون بتنفيذه.

وسنتحدث فيما بعد عن بيت المال، وميزانية الدولة الإسلامية، لنثبت كم ضعفاً تجبي الدولة الحالية من ضرائب، ومع ذلك فإن الروحانيين يقتصدون أكثر من سواهم، وبينهم من لا يستعمل خيطاً واحداً مستورداً من الخارج.

أما الحكام الذي يتشدقون بالوطنية، فإنهم يرتدون ملابس من أقمشة سعر المتر الواحد منها بضع مئات من التومانات، وأثمان معاطف زوجاتهم لا تقل عن عدة آلاف من التومانات.

□ نظرة في الكتيب التافه:

يقول الكاتب: «وحيث يأخذ الروحاني نفقاته من الناس، فإنه يتكلم كما يشاؤون، أو لا يتكلم بما لا يحلو لهم، وللآمرين معايب، فالأفكار الخاطئة عندما يتقبلها الملالي، أو يسكتون إزاءها . . . تأخذ بالرواج وتؤول إلى ظهور الخرافات. كما أن الملالي يصبحون مقلدين للناس».

كان عليه أن يورد مثلاً واحداً يثبت به تقليد الملالي للعوام، واتباع ما يقولون.

منذ ألف عام وكتب الملالي يتداولها الناس، فهل توجد فيها عبارة واحدة تدل على أن الملالي تكلموا وفق رغبات العوام.

إننا نعرف ما يعنيه هؤلاء بالخرافات، إنهم يعتبرون احترام الرسول والإمام ومبدأ الإمامة . . . خرافة، لكنكم مما سبق لمستم مدى افتراءاتهم، ورأيتم أننا فضحناهم بإثباتات عقلية وقرآنية وتاريخية.

أما نفقات الملالي فهي من بيت المال.

وقد قال الملالي للناس بأن من يخطو منهم ضد ما قاله الإله والقرآن، فإنه يحرم من بيت المال، حتى وإن كان من كبار الملالي.

وهكذا؛ فإن هؤلاء لا يستطيعون تقبل أفكار العوام المخالفة للقوانين الإلهية، وإلا فإنهم يسقطون حتى في أنظار العوام.

إن المؤمنين بقوانين الإله، عليهم أن يعملوا بها حتماً، وأن يحاربوا الأفكار الفاسدة للجماهير، وإلا فإن هؤلاء سيعرضون عنهم، وعليكم أن تستمعوا إلى خطب الروحانيين في طهران وسواها، فهل فيها من الكلام ما يتفق ورغبات الناس أم أنهم يقولون ما يتعارض ورغبات الجماهير وأهوائهم؟

□ كذبة وفرية أخرى:

إنه يأتي بفرية أخرى فيقول: «الروحاني واحد من عباد الله، وهو إذ يرى البعير يبرك في دار مَن هو أكثر محافظة، ويرى الأموال تغدق على من هو أكثر إيماناً بالخرافات، وأن المستمعين يلتفون بكثرة حول منبر مَن يكذب، وعندما يرى هذا بأنه إن لم يتكلم وفق رغبة الجماهير فإنه سيبقى جائعاً، فسيضطر، آنذاك لأن يسلك طريقاً آخر».

يبدو أن هؤلاء الحمقى يريدون نشر كتبهم بين أناس لا يرون ولا يسمعون، فلجؤوا إلى الأكاذيب.

إن السيد أبا الحسن الأصفهاني وهو أكبر مرجع للتقليد، فهل سمعتم منه كلاماً خرافيًّا أو رجعيًّا؟ رسالته في متناول الجميع، هل فيها كلمة رجعية أو خرافية واحدة؟

وهناك الحاج آغا حسين القمي، وهو معروف بصراحته في قول الحق، وحارب كل ما يخالف قوانين الإله، وهو موضع احترام الجميع.

لقد كان عليكم أن تأتوا بشواهد تثبت افتراءاتكم، وهناك في كل مدينة روحاني معروف، يتمتعون باحترام كبير، فأي منهم كان خرافيًّا أو رجعيًّا؟

لو أن هؤلاء كانوا رجعيين لمدوا ـ خلال العشرين سنة المظلمة الماضية ـ أيديهم إلى الدكتاتوريين وسايروهم في إجراءاتهم التعسفية، لكنهم قدموا ـ بدلاً من ذلك ـ التضحيات من أجل قولة الحق، ولم يقولوا حكمة واحدة خلاف ما يعتقدون، متحملين في ذلك الضغوط والإهانات، وجابهوا الجوع والمصائب دون أن يذعنوا.

لقد أدوا الامتحان، وأداها سواهم، وبان جوهرهم وجوهر سواهم، ﴿والعاقبةُ للمتَّقين﴾.

انظر إلى المحدثين الأفذاذ، وزنوا ما يقولونه، وقارنوا ذلك بما يقوله هؤلاء المفترون من أكاذيب.

□ جريرة نشر الخرافات على عاتق من؟

ويقول: «يعرف الجميع أن التطير مخالف للشرع، وأن هذه وإن أقامت مجالس العزاء هي اليوم خداع وكذب، والكذب على النبي والإله أسوأ الكذبات. فلماذا لا يجرؤ الملالي على منع الناس من ذلك؟ لأنهم يعرفون بأن رزقهم سينقطع».

لنفرض أن التطير حرام، ومجالس العزاء كذب، فإذا لم يكن الروحاني قد قال ذلك، فمن أين عرف الناس بأنه حرام وكذب.

وإذا كان قد نادى بذلك وعرف به الناس، فكيف بوسعه أن يقف في وجه ذلك؟ ليس أمامه غير الكلام، وباعترافكم فإنه نادى بذلك حتى عرف به الناس، ونحن إذ ندعو إلى العمل على بسط نفوذ الروحاني فذلك حتى يكون كلامه مسموعاً بين الناس.

لقد صدرت من مركز الشيعة في النجف فتوى تحرم القبعة والصليب المسيحي، فمن الذي ألقى بالاً إلى ذلك؟ لذا؛ فإن الروحاني ينبغي أن يتمتع بالنفوذ والقدرة حتى يستطيع تنفيذ ما يقوله. وإلا فإنه لا يمل من القول.

□ قواعد الدين واضحة:

ويقول هذا الكاتب أيضاً: «لو كان الروحاني يقول كل ما يعلم لكان وضع الحياة والدين أفضل مما هما عليه الآن. لولا خشية الروحاني من حرمانه من لقمة الخبز، لما بقيت الأسرار خلف الستائر».

الأعمال لا تنجز بالأقوال، وإلا لا وجود للأسرار خلف الستائر.

لقد قال الروحانيون: إن قوانين السماء وقواعد الدين واضحة، وليس ثمة ما هو مخفي. إلا أن الأمر منوط بالسلطة التنفيذية، فلا القانون وحده يستطيع أن يفعل شيئاً، ولا يمكن تمشية الأمور بالقوة، فالسلطة التشريعية والتنفيذية كالعين والقدم. لا يمكن التخلي عن أحدهما للوصول إلى غاية معينة.

وأنتم تقـولـون: إن الروحانيين لا يقولون ما عندهم، لكننا نقول بأن الدولة إن نفذت ما يقوله الروحانيون فإنهم سيقولون ما عندهم، ويكررون القول.

الـروحـاني يقول: إن السفور أو تحقيق النهضة بالقوة يعودان بالأضرار المادية والمعنوية على البلاد، ويعدّان ـ طبقاً لقوانين الإله والرسول ـ حراماً.

الـروحاني يقول: إن القبعة حرام، وإن المدارس المختلطة تثير الغرائز وتقتل الرجولة؛ بل إنها حرام.

الروحاني يقول: إن محلات بيع الخمور تخدر أذهان الشباب، وتضر بالصحة والعفة والشجاعة، وينبغي إغلاقها، وإن الموسيقى تثير الغرائز وتحرك النزوات، وهي حرام، وينبغي أن لا تدخل ضمن المناهج الدراسية.

للروحاني كلام كثير، لكنكم لم ترفعوا خطوة واحدة لإصلاح البلاد، حتى يرفع الروحاني الخطوة التالية، ويضيء لكم الطريق.

إننـا نعرف عداءكم للعقل وللإله وللروحاني، وندري أنكم تريدون التخريب وإلقاء ذلك على عاتق الروحاني لإبعاد الناس عنه.

◻ تجريد الأحزان:

إن هذا الأحمق يتذكر الأيام التي كان يخطب فيها في مجالس العزاء، فيقول: «إن إذاعـة طهـران؛ بدلاً من أن تحترم الدستور الذي وضعته الحكومة، فإنها تقيم المناحات، وتلجأ إلى المبالغات».

إن هذا الأحمق لا يعرف بأن دستور حكومة رضا خان الدكتاتورية لا قيمة له، بل وينبغي إحراق جميع القوانين التي مررت على المجلس آنذاك، وأن نوابه لم يكونوا نواباً شرعيينَ.

أضف إلى ذلك أن الإذاعة المذكورة تكرس برامجها لأمور صبيانية، وموسيقى

شرقية، وغربية، وإيرانية، تبث التفسخ بين العوائل، لكنها لا تخصص دقائق لأحاديث، يلقيها عالم عن التضحية التي قدمها ذلك البطل الإسلامي الشهم من أجل الاستقلال الديني للبلاد.

إنكم تريدون العيش على فتات موائد عبدة النار، وتناوئون كل ما له علاقة بالدين، ولكن: ﴿والله متمُّ نورِهِ ولو كرِهَ الكافرونَ﴾.

□ طريق الإصلاح في نظر الكاتب:

هذا الأحمق؛ بعد أن يقول بأن الروحاني يجب أن يتقاضى راتباً من بيت المال، يمضي إلى القول: «والطريق الوحيد الذي لا يتعارض مع القانون والعقيدة هو أن الموقوفات التي تنفق من أجل إقامة مجالس العزاء وسواها، ينبغي أن تكون تحت إشراف زعيم ديني أو مؤسسة قويمة وغير حكومية، فيكون ذلك أكبر خدمة تقدم للدين والدنيا....».

اقرؤوا ثانية هذه العبارات التي كتبها صاحب هذا الرأس الأجوف، إنه لا دراية له بالدين وبقوانينه، فيقترح أن يأخذ الروحاني الأموال الموقوفة، وينفقها على نفسه. فإن كانت هذه المبالغ خصصت لإقامة مجالس العزاء فكيف يتسنى للروحاني التصرف بها؟ وكيف لا يتعارض ذلك مع القوانين السماوية وتوجيهات الإله والرسول؟ بل ومع معتقدات الروحانيين والمتدينين؟

في ضوء مبدإ الملكية الذي تستند عليه حضارة العالم، فإن لكل شخص الحق في أن يتصرف في ما يملك بالشكل الذي لا يتعارض وقوانين السماء؛ التي هي فوق قوانين الملكية، وأن يصرف إيرادات ذلك كيفما يشاء، وإن أحداً لا يحق له أن يتدخل في أوجه إنفاق ما حصلت عليه بكدي، فإذا ما رغبت في أن أهب ما أملك لأحد فإن أحداً آخر لا يحق له أن يمنعني من ذلك.

أما عندما ترتبط المسألة بإقامة مجالس العزاء، فإن الأصوات تتعالى ضد ذلك،

مع أن هذه المجالس ـ مع أنها غير مكتملة ـ تخدم البلاد وتخدم الناس معاً، فمن خلالها يتعرف الناس على القوانين السماوية، وعلى الأخلاق والمعارف، كما أنها تعمل على إبعاد عدد كبير من السكان عن الخيانة والجريمة.

وإن ذلك الكلام التافه النابع من رأس شخص أمي أصبح بالياً، وقانون السماء وحده هو الذي سيبقى والأيام لا تقضي على جدته.

ثم إن الروحاني الذي يريد أن يعالج أمراض الناس الروحانية وأن يقتلع جذور الخيانة واللصوصية والنهب من العالم . . . كيف يستطيع أن يخطو ضد قوانين السماء، وأن يعتاش بمال حرام وهو يتحدث للناس عن الحلال والحرام؟

إن الروحاني يعد التصرف بأموال الوقف خلافاً لمشيئة المالك، إنما هو أمر يتعارض مع ما يأمر به الله، وما تقره قوانين الإسلام.

ماذا نعمل وأنتم لا تقيمون وزناً لأوامر الله وتعاليم القرآن والإسلام، بل ولا شأن لكم بذلك كله؟

□ التلاعب بالمعقولات:

هذا الكاتب المسكين يورط نفسه وقلمه في أمور مناسبة وغير مناسبة، فيقول ما يلي:

وقد تقولون إنك إما أن تكون مجتهداً أو مقلداً، فإن كنت مجتهداً فكلامك يروق لك وحدك، وإن كنت مقلداً فإنه لا يحق لك أن تقول شيئاً. أجل؛ هذا الكلام صحيح، لكنكم لا تستطيعون أن تقولوا للمشرع: من أين جئت بهذا التشريع. بل إن القوانين التي وضعها لكم ينبغي أن تنسجم مع أحكام العقل وقوانين الطبيعة التي هي من أحكام الله، وإلا فإنه يمكن الكتابة حول الآية القائلة: ﴿إنَّ الله يحبُّ المتطهِّرينَ﴾ أضعاف حجم القرآن، فيكون نتيجة ذلك أن مياه حوض الحمام، ومياه حوض المسجد، تبدو-

على الرغم من تلوثها ـ نقية، ولكن أنقى المياه إذا لمستها يد نجسة . . . تصبح نجسة» .

إن هذا الأحمق لا يعرف أن الناس قرؤوا كتب الفقهاء، فيدعي أن آية ﴿إنَّ الله يحبُّ المتطهِّرينَ﴾، يمكن أن تكتب عنها أضعاف حجم القرآن .

ونحن ندعو القراء أن يراجعوا كتب الفقهاء ليروا ما إذا كان بوسعهم أن يعثروا فيها على ثلاثة أسطر حول هذه الآية .

أنا لا أتذكر بأن الكتب المذكورة تطرقت إلى ذكر هذه الآية، وحيث إنها وردت في ذيل آية : ﴿إنَّ الله يحبُّ التوَّابين﴾، فإنها تعتبر من الآيات الأخلاقية، وليس من آيات الأحكام .

أما ما يقوله هذا الأحمق حول تلوث المياه ونقاوتها، فإن ذلك يدل على مدى جهله وحماقته .

فإذا كانت تلك المياه قذرة وملوثة، فخير للناس أن يتجنبوها، فالله اعتبر النظافة من الإيمان، واعتبر الطاهرين أحباء له، كما رأينا ذلك في هذه الآية .

لذا، فإن على الجميع أن يراعوا ما ورد فيها، لأن قانون الإسلام اعتبر النظافة من الإيمان، حتى يوصي الناس بأنهم إن لم يكونوا متطهرين فإنهم خارجون عن دائرة المؤمنين وعن دائرة العقلاء والعلماء .

إذاً فالإسلام كان السبَّاق في هذا الأمر، وراعى النظافة إلى حد كبير، وحدد العقوبات للذين يخالفون ذلك .

عليكم أن تعترضوا على كل هذا الاهتمام بالنظافة من قبل رب العالمين، فيقال لكم آنذاك بأن لا تكونوا فضوليين، ولا تتدخلوا في أحكام الإله .

فالإسلام قد فاق الآخرين في اهتمامه بالنظافة، ومن يتمعن في أبواب الطهارات والقذارات الواردة في كتب الفقه، يتبين له بأنه ليس في العالم قانون اهتم بهذا القدر

برعاية الصحة ومراعاة النظافة. وليس من شأن هذا الكتاب الدخول في مزيد من التفاصيل.

ويعرب الكاتب في نهاية حديثه عن أسفه، فيقول: «إننا أمضينا ثمانين عاماً كحيوانات شدت إلى المدار، وهي معصوبة العين، متصورين بأننا طوينا المسافات من هذا العالم؛ فإذا ما فتحنا أعيننا، فإننا نجد أنفسنا ونحن ما نزال نراوح في أماكننا.

ونحن نتقبل منه حديثه هذا عن نفسه وعن رفاقه، فالدابة التي تشد إلى المدار تؤدي عملها دون أن تكون قد قطعت مسافة، والإنسان الذي يخرج عن إطاعة أحكام القرآن والله، إنما يكون أسوأ حالاً من هذه الدابة.

لقد خلق الله الإنسان لكسب الفضائل والمعارف والمساهمة في تحريك عجلات السعادة في العالم، وهذا لا يتم إلا في قوانين سماوية كفيلة بتحقيق السعادة الدائمة، ومن يتنصل من هذه القوانين القائمة على أساس متين من الحكمة، يصبح كالحيوان المشدود إلى المدار، يظل يراوح في مكانه، بل ويتراجع إلى الخلف، إلى أن يسقط في حفرة العدم والشقاء.

فانظروا إلى الآية [١٧٨] من سورة الأعراف، وتأملوا فيها:

﴿ولقد ذَرَأْنا لجهنَّمَ كثيراً مِنَ الجنِّ والإنسِ لهم قلوبٌ لا يفْقَهونَ بها ولهم أعينٌ لا يُبْصِرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعونَ بها أولئك كالأنعامِ بل هُم أضلُّ، أولئكَ هُم الغافلونَ﴾.

أيها القرآن، أنت التحفة السماوية والهدية الرحمانية التي أنزلها الله لإنعاش قلوبنا وفتح آذاننا وأعيننا، وأنت نور هدايتنا ودليل سعادتنا، تريد أن ترتفع بنا من الحيوانية إلى الذروة الإنسانية، لكن الإنسان لم يعرف قدرك، ولم يعتبر اتباعك فرض. من المؤسف أن قوانينك لم تنفذ، فعمت الظلمة، وعدت حفنة من الوحوش الضارية نفسها ورثة حضارة العالم.

إن الكاتب المذكور يقول في ختام حديثه: ولو تمسك الروحاني بواجباته حقًّا، لكان أعلى مقاماً من الطبيب؛ لأن الطبيب يحفظ الجسد، لكن هذا يمتلك الروح، إلا أنه إذا ما أخرج رجله عن بساطه، أو أدى واجباته معكوسة؛ يمكن أن يقال عنه بأنه أخس الجميع، وأنا أقول بأن ضرر هذا الإنسان كبير جدًّا؛ فإنه يأخذ المال والعقل، فهو يترك آثاره في نفوس الناس، وتبقى بدعه قروناً، حتى وإن زال هو من الوجود.

إننا نرحب بهذه الأسطر أيضاً، وقد أنزل الله في الروحاني الذي لا يعمل بواجباته آيات نذكر منها الآية: [٥] من سورة الجمعة:

﴿مَثَلُ الذينَ حُمِّلوا التوراةَ ثمَّ لمْ يحْمِلوها كَمَثَلِ الحمارِ يحمِلُ أسفاراً﴾.

نحن نعلم أيضاً أن الروحاني إن لم ينهض بواجباته فإنما هو أضر من الجميع، ولكن علينا أن نذكر هنا بأنكم لستم الذين تحددون واجبات الروحاني.

إنكم عبر كتيب صغير ارتكبتم الجنايات والخيانات، ولجأتم إلى الأكاذيب، فلا يحق لكم تعيين واجبات أحد. أنتم مزورون وتعدون من حزب المجرمين.

الحديث الرابع :

الحكومـــــة

■ **السؤال السابع والإجابة عليه :**

ما معنى أن يقال : إن الدولة ظالمة ، هل المقصود أن الدولة التي لا تقوم بواجباتها تكون ظالمة أم أنها ينبغي أن تكون في يد المجتهد . . . ؟

لقد أجبنا على هذا السؤال عند الإجابة على السؤال الخامس ، حيث تحدثنا عن أنماط حكومات العالم ، وعن قوانين البلدان .

ونضيف هنا بأن الدولة عندما لا تقوم بأداء واجباتها فإنها تكون ظالمة ، وإن قامت بها فإنها ليست بالظالمة ، بل إنها عزيزة عند الله وكبيرة ، ولكن ينبغي أن نحدد واجبات الدولة حتى يتم التمييز بين الظالم وغير الظالم .

ذكرنا من قبل أن تشكيل الحكومات قائم اليوم على قوة الحراب ، وعلى القوة ، وأن أيًا من الحكومات الموجودة في العالم الآن لا تقوم على أساس من العدل ، وعلى قواعد صحيحة ، بل إن أسسها واهية مستندة إلى الضغوط وقوة الحراب ، فليس من الحكمة أن يقوم نفر لا يختلفون عن الباقين في شيء باحتلال البلاد ، وإشاعة المجازر فيها ، ويعتبرون ذلك حقًا لهم ، بل وعدلاً ؛ واصفين حكمهم بحكم الحق .

ولكن هل تعرفون ما هو الحق؟ الحق هو أن يتصرف الشخص بما يملك ، وإن الاعتداء على أموال الآخرين إنما هو باطل وظلم .

المعتدي هو من يملك القدرة والقوة ، والمظلوم هو الأصغر والأقل قدرة وقوة .

كان هتلر يقول: إنني بقوة السلاح سأحتل بولندا. ومئات الآلاف يذهبون ضحية ذلك، وأنتم تمتدحون هذا العمل الأهوج.

إن هذه الأهداف تنبع من أفكار مسمومة وغير عادلة، وعلى كل محب للعدل أن يناوئها، وأن يعمل على اقتلاع جذورها، حتى يعود الاستقرار إلى العالم.

إن الحكومة الوحيدة التي تدين بالحق وتتقبله هي حكومة الله التي تعمل من أجل الحق، وكل ما في الوجود هو حق لها، تصرفها في كل شيء هو تصرف في مالها، كل ما تأخذه من الآخرين هو من مالها، ولا أحد ينكر ذلك إلا الذين في عقلهم مس.

وهنا تتوضح أحوال وأوضاع الحكومات، ويتم الإعلان عن رسمية الحكومة الإسلامية.

إن حكومتنا التي هي إحدى الحكومات الصغيرة في العالم، عليها أن تتبع هذه الحكومة الرسمية، وقانون المجلس ينبغي أن يكون تفسيراً للقانون السماوي، ليتبين بأن قانون الإسلام هو السباق في حضارة العالم، وبتطبيقه يتم تشكيل المدينة الفاضلة.

ونحن ـ كما أشرنا آنفاً ـ لا نقول: إن السلطة ينبغي أن تكون في يد الفقيه. بل نقول: إنها يجب أن تدار بقانون إلهي يخدم مصالح البلاد والجماهير، وهو أمر لا يتم بدون إشراف الروحاني.

وقد أقرت حكومة الدستور (مشروطة) هذا الأمر الذي لا يتعارض ونظم البلاد ورقيها، وحري بكم أن تلقوا نظرة على مؤسسات البلاد، اذهبوا إلى البلاط والوزارات وادرسوا أحوال الجالسين خلف المكاتب، ثم انظروا إلى القوات المسلحة وإلى الموظفين العسكريين والإداريين في جميع المحافظات، وأعضاء مجلس الشورى، وادرسوا أحوال السلطة التشريعية، وتفحصوا أراءهم وأفكارهم المختلفة المتنوعة، والمسوا بأنفسكم الأغراض والمقاصد والرغبات الشيطانية والجرائم والخيانات، ثم اعرفوا كيف تنفق ميزانية البلاد ومن أين تؤمن.

ولا تتوقعوا أن يعدَّ الروحانيون مثل هذه الحكومة حكومة حق، ولا أن يتعاون معها هؤلاء الأفراد؛ وهم يئنون من مظالمها، وأن يحجموا عن خيانة هذه الحكومة الخائنة.

طبقوا مادة واحدة فقط من قانون الحكومة الدستورية، وهي: «كل قانون يناقض قانون الشرع لا يعتبر قانوناً مشروعاً»، لكي تتوحد أصوات جميع الأفراد، وتتغير أوضاع البلاد، فتتبدل بذلك جميع هذه المؤسسات والدوائر التي تبعث أوضاعها على الأسف.

إننا نعرف أن هذا الكلام لا يروق للذين نشؤوا على الخيانة وعبادة الشهوات والرقص والقصف والفسق والفجور، فأولئك الذين يرون رقي البلاد في تعري النساء في الشوارع، لا يرضون للبلاد أن تدار بشكل معقول وتحت قانون الإله.

نحن لا نوجه كلامنا إلى أولئك الذين يهيمن الأجانب على أفكارهم، ويتخلون عن مشاعرهم وأحاسيسهم أمام الأجنبي، حتى إنهم يقلدون أوروبا، فيحددون الظهر في طهران قبل منتصف النهار بعشرين دقيقة.

عندما وضعوا قبعة بهلوي على رؤوسهم؛ قال الجميع بأن البلاد ينبغي أن يكون لها شعار وطني.

فالاستقلال في الملبس دليل على استقلال البلاد، لكنهم بعد أيام استبدلوا تلك القبعة بقبعة أوروبية، وبرروا ذلك بقولهم، بأن لنا اتصالات مع الأجانب؛ ولذا ينبغي أن يكون لنا زي واحد، حتى نضمن العظمة في العالم، والبلد الذي يستمد عظمته من القبعة . . . فإنه سيفقد هذه العظمة إذا ما فقد تلك القبعة.

وخلال ذلك كان الأجانب ينظرون إليكم بسخرية. كنتم تضعون القبعات على رؤوسكم وتتسكعون في الشوارع مع فتيات شبه عاريات، متفاخرين بذلك، متناسين بأنهم سلبوا منكم مفاخركم التاريخية، ونهبوا ثروات بلادكم، وجعلوكم تحت نفوذهم.

إن الكلام في هذا المجال كثير، ولكن من يسمع ويعي؟

والخلاصة؛ إن هؤلاء الحكام الخونة والحمقى ينبغي أن يتبدلوا، وإلا فإنكم

سترون أياماً أكثر سوءاً من أيامكم هذه.

◻ خطأ غريب:

هذا الكاتب الجاهل ينسب إلى الدين والمتدينين أقوالاً طائشة، ويستخلص من ذلك نتائج عجيبة، فيقول: «إن الدين يقول: كل حكومة تقوم قبل ظهور القائم[1] هي حكومة باطلة، وكل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله».

ثم يقول: «إن عمل السلطان عديل الكفر، سألته عن عمل السلطان، فقال: الدخول في أعمالهم، والعون لهم، والسعي في حوائجهم؛ عديل الكفر» . . .

ويقول بأن القتال مع الإمام مثل أكل لحم الخنزير.

إن هذا الكاتب يخلط الأمور، ويورد أقوالاً لا علاقة لها أبداً بتشكيل حكومة سماوية عادلة.

ففي الرواية الأولى يوجد ثمة احتمالان:

أولهما: أن تكون خاصة بأخبار ظهور ولي العصر وبعلامات هذا الظهور، ولعله يريد أن يقول بأن العلامات الخاصة بالإمامة قبل قيام القائم، إنما هي باطلة.

أما الاحتمال الآخر، فهو أن يكون من باب التكهن بأن الحكومات التي تتألف في العالم حتى موعد الظهور . . . لن تقوم بواجباتها، وهذا ما هو حاصل حتى الآن؛ **فأية حكومة قامت بعد حكومة علي بن أبي طالب عليه السلام على العدل، وكان سلطانها قائماً على إزالة الطغيان وتأييد الحق؟**

فإذا ما أذعنا بأن هذه الحكومات جائرة وأنه لا يمكن إصلاحها حتى ظهور حكومة الحق . . . فلماذا إذاً لا يتم تشكيل مثل هذه الحكومة؟ وكل من له إلمام يسير بالأخبار

---

(١) (القائم) كنية من كنيات المهدي المنتظر لدى الشيعة. (المترجم).

يعرف بأن أئمة الشيعة كانوا يعدون الحكومات القائمة آنذاك جائرة، لكنهم مع ذلك لم يكونوا ليبخلوا في تقديم النصح إليها، ومساعدتها ماديًا ومعنويًا.

كما أن شيعة علي كانوا السباقين في المساهمة في الحروب الإسلامية على عهد الخلفاء. وكما يقول التاريخ فإن الحروب المهمة والفتوحات الإسلامية تمت في الغالب بمساعدة أبناء الشيعة، ومع أن الحكم الأموي كان من أسوإ العهود، ومن أكثرها ظلماً بالنسبة لآل النبي ولأولاد علي بن أبي طالب، إلا أن علي بن الحسين كان يبدي تعاطفاً مع هذه الحكومة الوحشية الجائرة[1].

في كتاب «الصحيفة السجادية» نقرأ ما يلي: «اللهم صل على محمد وآله، وحصِّن ثغور المسلمين بعزتك، وأيد حماتها بقوتك، وأسبغ عطاياهم من جدتك، وكثر عدتهم، واشحذ أسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، وألِّف جمعهم، ودبِّر أمرهم، وواتر بين ميرهم، وتوحد بكفاية مؤونتهم، واعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر والطف لهم في المكر» . . . إلى آخر هذا الدعاء، الذي يتضمن توجيهات ودعوات موجهة للعسكريين.

ومع ذلك تقولون: إن الروحاني يقف ضد البلاد والحكومة والاستقلال. إنهم بالسيف أحياناً، والقلم واللسان أحياناً أخرى . . . يدافعون عن حكومات الإسلام، بدون أن يكون لهم طمع في مغنم أو سلطة، ومع أنهم يعتبرونها من أسوإ السلطات؛ إلا أنهم لا يبخلون بأي شيء من أجل دعم هذه الحكومة الإسلامية، وقد أثبتوا ذلك مراراً.

أما الرواية الثانية، فتقول: إن المساهمة في عمل السلطان ومساعدته في التغلب على مصاعبه إنما هو كفر.

---

(١) كيف والخلفاء ـ في نظر الشيعة ـ كافرون ومعتدون على حقوق آل البيت . . . وهل كانت للشيعة فئة متميزة حتى تمت الفتوحات بمساعدتهم؟!

لقد رأيتم أن هذا المشاغب الأحمق غير أمين في نقل الروايات، وإلا فإن المسألة أوضح من أن تحتاج إلى الرد.

إنها تعني الامتناع عن الانخراط في سلك الدولة لإعانة الظلم، وهذا أمر محذور في جميع قوانين العالم، فهل يعني ذلك أن كل من حمل اسم السلطان أو الحاكم . . . يحق له أن يتحكم في أموال الناس وأعراضهم؟ إننا نقول: إن من ينتمي إلى الأجهزة الدكتاتورية فإنه يعمل بذلك على الحيلولة دون استشراء الفساد، وعلى إصلاح وضع البلاد. بل إن هذا الانتماء يصبح بعض الأحيان واجباً. فليرجع السادة إلى كتاب «الفقهاء» ويقرؤوا باب الولاية . . . ليروا ما يقال بهذا الشأن.

إننا ننقل فيما يلي عبارات من كتاب «المكاسب» لأستاذ الفقهاء الشيخ مرتضى الأنصاري، لنكشف عن دجل هؤلاء الحمقى.

يقول الشيخ الكبير: اثنان يجيزان التولية من قبل الجائرين: أولهما: القيمومة على مصالح عباد الله؛ وليس في هذه النقطة ثمة خلاف، فقد قال بعضهم: إن الانخراط في أعمال الحاكم الظالم جائز فيما استطاع الإنسان أن يعيد الحق إلى صاحبه.

وينقل الشيخ رواية يقول فيها: إن الإمام الصادق سئل: إنْ أحد الموالين لآل محمد انخرطوا في خدمة الديوان، وقُتل تحت راية الحاكمين، فكيف يكون حاله . . .؟ فيقول الصادق: إن الله يحشره طبقاً لنواياه.

وينقل محمد بن إسماعيل بن بزيع، وهو من كبار أصحاب الأئمة، حديثاً عن موسى بن جعفر بأنه امتدح من دخل إلى بلاطات السلاطين الطغاة، وسعى لإصلاح أحوال البلاد والناس، وقال: إن هؤلاء مؤمنين، ونور الله في الأرض، ونورهم يضيء أهل السماء، وإنهم كالكواكب تنير السبيل أمام أهل الأرض.

وإن السماوات خلقت لهم وخلقوا هم للجنة.

ويقول الشيخ بعد ذلك: الانخراط في خدمة السلطان يصبح بعض الأحيان واجباً، وذلك عندما يدخل في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولكن يعمل هؤلاء على إثارة شكوك الدولة والناس ضد المتدينين والدين، ولا سيما الملالي، فإنهم يبحثون عن حديث ييسر لهم هذه المهمة، متناسين بأن معظم القراء يعلمون بأن أصحاب الأئمة وأتباعهم كانوا يمارسون أعمالاً حكومية، وأن ائمة الدين كانوا يؤيدون هؤلاء . . . مثل علي بن يقطين، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع، وعبد الله النجاشي والي الأحواز، وغير هؤلاء من كبار علمائنا الذين دخلوا بلاطات السلاطين.

وأما في الرواية الثالثة، فيقول بأن القتال في غير صحبة الإمام مثل أكل لحم الخنزير.

وهذا الأحمق الذي لم يقرأ كتب الفقهاء، يقول: إن في الإسلام نوعين من الحروب: أحدهما: الجهاد؛ وهو احتلال المدن وفق شروط، والآخر حرب من أجل استقلال البلاد ودفع الأجنبي.

إن الجهاد هو القيام بفتح البلدان، ويتم بأمر الإمام، ويصبح على جميع البالغين من غير العجزة والمملوكين أن يساهموا في عملية الفتح هذه، ونشر قانون الإسلام في ممالك العالم.

وعلى العالم أن يعرف بأن فتوحات الإسلام تختلف عن فتوحات حكام العالم، إذ إن هؤلاء يريدون السيطرة على العالم من أجل مصالحهم الشخصية.

الإسلام يريد الاستيلاء على العالم من أجل مصالح سكان العالم، لكن هؤلاء يريدون ذلك من أجل نشر المظالم والفجور.

الإسلام يسيطر على العالم من أجل نشر العدالة والأحكام السماوية الحكيمة، لكن هؤلاء يريدون ذلك من أجل تأمين حياتهم المادية المخزية.

الإسلام يريد الاستيلاء على العالم من أجل تحقيق حياة روحية، وأعداء الناس من أجل حياة طافحة بالسعادة والعزة، لكن هؤلاء يضحون بأموال الناس وأرواحهم من أجل سطوتهم وهيمنتهم.

جهاد الإسلام كفاح ضد الشرك والتفسخ الخلقي والسلب والظلم والاستبداد، أما حروب الحاكمين فدافعها الشهوات والملذات الحيوانية على حساب إبادة البلاد وتشريد السكان.

ومن يقرأ كتب الجهاد، ويطلع على طرقه، يتيسر له الاطلاع على وجهة نظر الإسلام في بسط الهيمنة على العالم.

إن الإسلام عندما يفتح بلاداً ويضع فيها قانوناً سماوياً فإن العمل به يشيع السعادة في تلك البلاد.

فليقارنوا إذاً بين القوانين الإسلامية الحكيمة، ليقارنوا القرآن بالكتب الأخرى، ليقارنوا بين فتوحات الإسلام مع قيام الحكام باحتلال مدن الآخرين.

من الذي أنقذ إيران من المجوسية وعبادة النيران غير الفتح الإسلامي؟

وحيث إن الجهاد الإسلامي مغاير لاحتلال المدن تماماً، فإن تشكيل الحكومة الإسلامية ينبغي أن يتم بإشراف إمام عادل أو بأمر منه، وإلا فإنه يصبح سواسية مع أي احتلال آخر، ويصبح أمراً خارجاً عن الحكمة، ويعدُّ من الأعمال الجائرة، ويصبح الإسلام والعدل الإسلامي بعيدين عنه.

وأما الجزء الثاني من الحروب الإسلامية، المعروف باسم الدفاع، ويكون من أجل استقلال البلاد وإخراج الأجنبي، فإنه غير مشروط بوجود الإمام أو نائبه.

ولم يقل أحد من المجتهدين بأن هذا الدفاع يجب أن يتم بوجود الإمام أو نائبه، بل إن الواجب على جميع الأفراد العمل على حماية البلد الإسلامي والحفاظ على استقلاله.

وقد قال الفقهاء في ذلك: «وقد يجب المحاربة على وجه الدفاع من دون وجود الإمام، ولا منصوبه، كأن يكون بين قوم يغشاهم عدو يخشى منه على بيضة الإسلام، أو يريد الاستيلاء على بلادهم، أو أسرهم وأخذ مالهم».

في جميع هذه الأمور واجب على الجميع الدفاع عن أرواحهم وأموالهم ومحاربة الأجنبي من أجل ذلك.

إن الإسـلام الذي يقول: ﴿وقاتِلوا المشرِكينَ كافَّةً كما يقاتلونَكُم كافَّة﴾، هل يقول: اجلسوا حتى تكونوا طعمة للآخرين؟

الإســلام الـذي يقـول: ﴿واقْتُلوهُم حيثُ ثَقِفْتُموهم وأخْرِجوهُم من حيثُ أخرجوكُم﴾، هل يقول: ضعوا يداً على يد إلى أن يسيطر الآخرون عليكم؟

الإسـلام الـذي يقول: ﴿وقاتِلوا في سبيلِ الله الذينَ يُقاتِلونَكم﴾، هل يطلب منكم أن تستسلموا للآخرين؟

الإسلام الذي يقول: «والخير كله في السيف وتحت ظل السيف»، و «لا يقيم الناس إلا السيف»، و «السيوف مقاليد الجنة والنار»، و «للجنة باب يقال له باب المجاهدين». وجاء بمئات من الآيات والأحاديث عن الحرب ضد الأجنبي وحماية استقلال البلاد.. هل يمكن أن يمنع الناس من الحروب؟

☐ مسألة محيرة:

ويقـول هذا الأحمق الـذي ثبتت حماقته: «حتى وحوش إفريقية يعرفون بأنهم بحاجة إلى من يلم شعثهم، وأقلُّ الحيوانات شأناً يعدون أنفسهم لمجابهة العدو، إلا أننا روجنا بين الناس وبين الحيوانات شيئاً جديداً اسمه الدين، لا يوجد مثيل له حتى في علب العطارين».

إن ما تنسبونه ـ زوراً وبهتاناً ـ إلى العلماء المتدينين لا وجود له لا في علب أي عطار ولا في مؤلفات أي فقيه، بل إنكم ـ بوحي من حماقتكم وحبكم للكذب ـ تنسبونه

إليهم.

إننا وجميع علماء العالم ننادي بوجوب القضاء على الحكومات الجائرة الدكتاتورية، وأن تحل محلها حكومات عادلة حكيمة.

إن أحكام الإسلام لن تعالج أمراضكم المتمثلة في عبادة الشهوات والتفسخ والكذب.

إن قانون الإسلام يهدر دماءكم ويضرب على أيديكم التي اعتادت على السطو، ومن هنا فإنكم تناوئون هذا القانون.

إن الملالي يريدون إعادة أفكار الشباب المضطربة إلى حالتها السابقة من الهدوء والطمأنينة، يريدون استبدال هذه الثقافة المتميعة المتفسخة بثقافة دينية نظيفة تتولى تنمية أفكار الجماهير وأذهانهم.

□ أكاذيب حمقاء:

ويقول الكاتب: «وعندما رأوا أن أحداً لا يتقبل أقوالهم؛ حاولوا صبغها بألوان أخرى. ونحن نتناول ذلك هنا، ونكشف عن أضرارها؛ إنهم يقولون: إن السلطة يجب أن تكون في يد الفقيه. وقد رأينا بأنهم ليس لديهم ما يثبت ضرورة ذلك، وأنهم إذا ما اعتبروا شيئاً شرطاً لشيء آخر، فإن التناسب ينبغي أن يكون قائماً بين الشيئين، فلو قالوا بأن على المهندس أن يكون ملمًّا بالعلوم الرياضية فإن كلامهم صحيح. أما إذا قالوا بأن المهندس يجب أن يكون فقيهاً، فإنكم تسخرون من هذا الشرط حتماً ...».

لقد أجبنا من خلال ردنا على السؤال الخامس ... على هذه الأباطيل، وأوضحنا بأن وضع السلطة في يد الفقيه لا يعني أنه يجب أن يكون شاهاً أو وزيراً أو قائداً عسكريًّا، بل إنه يجب أن يكون المشرف على السلطة التشريعية والتنفيذية للمملكة الإسلامية. فالقانون الذي يتقبله العقل والعلم ويؤمن بالحق ... ليس سوى قانون السماء.

وقلنا بأن القوانين الأخرى بعيدة عن ذلك تماماً.

نحن نقول بأن تأسيس مجلس تأسيسي من أجل تغيير نظام أو تأليف حكومة يجب ان يتشكل من فقهاء وملالي يتمتعون بالحكمة، وعلو المقام، ويؤمنون بالعدل والتوحيد والتقوى، ويتجنبون الأهواء والشهوات . . . ؛ حتى يأخذوا ـ في انتخابهم للحاكم ـ بمصلحة البلاد والجماهير بنظر الاعتبار، ويختاروا شاهاً عادلاً مطيعاً لقوانين البلاد التي هي قوانين الإله.

نحن لم نقل: إن على الشاه أن يكون فقيهاً، بل إنه يجب أن لا يتهاون بشأن القانون الرسمي للبلاد.

والمعلومات العسكرية والتاريخية ليست كافية للشاه؛ إذ لا يمكن اختيار العسكري المطلع لكي يحكم البلاد.

لقد كان رضا خان عسكريًا، لكنه لم يكن صالحاً لحكم البلاد.

الشرط الأول للشاه هو أن لا يسمح لنفسه بتجاهل القانون، بل إلزام نفسه بطاعته، والتمسك به.

الشاه يجب أن يكون الحارس على أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم، لا أن يجعل الحكم وسيلة لتحقيق الرغبات والسطو، ولا أن يستهين بأرواح الناس وأموالهم وأعراضهم . . . وإشراف الملالي وحده هو الكفيل بجعل قانون البلاد يأخذ مجراه، وأن يضرب على الأيدي الممتدة للسطو.

وقد رأيتم كيف أن هؤلاء الوزراء المزيفين لم يفعلوا شيئاً سوى ملء جيوبهم وكنز الأموال في البنوك الأجنبية.

إن ما يمكن أن يمنع الإنسان من الخيانة والجناية . . . هو الدين، وهو ما يفتقر إليه الحكام، وإن وجد لديهم فإنه ليس بمعناه الحقيقي.

الجميع يعرفون بأن كرسي النيابة إن لم يدر على صاحبه الملايين فإن مئات

الآلاف من التومانات لم تكن لتنفق من أجل الحصول على ذلك الكرسي، ولما تم شراء صوت كل ناخب بمئة أو بمئتي تومان.

هؤلاء الذين يُسْتَوْزَرون؛ قارنوا بين وضعهم قبل تسلمهم منصب الوزارة وبين وضعهم بعد عامين من ذلك، وابحثوا عن سندات عقاراتهم حتى تدركوا الحقيقة.

إنكم تعرفون بأن مدرسي كان عالماً متديناً، وقد انتخب نائباً للمجلس عبر عدة دورات، لكنه مع ذلك لم يترك بعد وفاته غير الشرف والذكر العظيم.

ونحن نقول بأن أمثال هذا المتدين ينبغي أن يترأسوا السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية . . . حتى تنجو البلاد من هذا الوضع المزري، ولا نقول بأن الشاه ينبغي أن يكون فقيهاً.

□ خطأ آخر وكذبة أخرى:

يقول الكاتب: «يقولون إن الحكم يجب أن يكون دينيًّا؛ فإن كان المقصود بالدين هو الانسجام والتوافق مع الحياة، فليس هناك ما هو أفضل من ذلك، ومتى ما طلبتم مثل هذا النمط من الدين من الحكومة، فإنها ستستجيب لكم، لأن الدين خير ظهير للدولة. أما إذا كان المقصود هنا هو الدين الذي نعرفه، فإنه أشبه بإنسان من ورق، يمكن وضعه خلف الواجهات فحسب، ولو أرادوا يوماً إخراجه من صفحات الكتب لوضعه موضع التنفيذ، فإنه ينبغي قراءة الفاتحة على البلاد والحياة».

نحن نسأل هنا ما هو قصدكم بالدين الذي ينسجم مع الحياة؟

هل تعنون بذلك الحياة التي تعيشونها الآن، حيث تجد الجميع يعمل ضد مصالح البلاد والجماهير؛ الحياة التي ظهر فيها عملاء العهد الدكتاتوري بلون آخر وبلغة أخرى، وراحوا يمتصون دم الجماهير؛ الحياة التي تشيع فيها المسارح ودور السينما والمراقص والمقاصف؛ الحياة التي تقوم على أساس إظهار المرأة الجميلة في الشوارع وهي عارية الصدر والساعدين والساقين؛ الحياة التي يعد استعمال المشروبات

والمسكرات أساسها الأكبر، وتعتمد ضرائبها على ما يجبى من الفاحشات وما يفرض على المسكرات من ضرائب، وتعتمد على جباية الرشوة واكتناز المال.

لو كانت مثل هذه الحياة هي المقصود، فإن أي دين أو عقل لا يتفقان مع ذلك، بل إن الدين قد جاء للقضاء على هذه الأمور، وتبديل الحياة المتردية وغير المشرفة إلى حياة إنسانية كريمة، تبديل الحيوانية إلى إنسانية.

الدين يضع اللجام في رقبة الحيوانات الوحشية، وهذا ما لا يتفق وأنماط حياتكم؛ الدين يقضي على التفسخ الخلقي وعلى الظلم في العالم، وهذا ما لا يتفق مع أنماط حياتكم.

ولو كان المقصود هو الحياة الكريمة المشرفة الخالية من الجور والمخالفات القانونية والمنزهة من التفسخ الخلقي والتبذل فإن الدين قد جاء لتحقيق ذلك.

ولكنكم أنتم الذين لا تعرفون عن الدين شيئاً، تقولون: إن دين اليوم يختلف عن دين صدر الإسلام، وكان الأجدر بكم أن تذكروا اختلافاً واحداً من ذلك لكي نتنور.

دين اليوم لا يختلف في شيء عن دين الأمس، ديننا قائم على تعاليم القرآن والرسول، ولكن الاختلاف نشأ عندكم، فقد غلوتم في وضع لا ينسجم مع دين أو عقل، وأنتم تريدون جعل الدين بالشكل الذي أصبحتم فيه، لكن ذلك لن يحدث.

أحكام الدين هي أحكام العقل، إنكم أنتم الذين تغيرتم والزمان لم يتغير. اثنان واثنان تساوي أربعة دوماً . . . والظلم دوماً مرفوض، والتفسخ الخلقي لم يكن ذات يوم محموداً، ولن يكون كذلك.

أما فيما يخص قولكم بأن الدين إذا ما أخرج من صفحات الكتب، ووضع قيد التنفيذ، فإنه ينبغي قراءة الفاتحة على البلاد، فإذا كان المقصود بأن الدين يقول بأننا لا نريد البلاد والحياة، فإن ذلك حديث لا يقره عقل، وأمر يلصق زوراً بالدين والمتدينين.

الدين جاء لتنظيم أمور الحكومة والبلاد والحياة، فأين أحكامه التي تتعارض مع

مصلحة البلاد ومع الحياة؟

أما إذا كان المقصود هو قراءة الفاتحة على هذه الحياة الملوثة بالقبائح والشهوات والخيانات والجنايات، واستبدالها بحياة مليئة بالمفاخر والمعارف والعدالة والحكمة، واستبدال البلاد ببلد مستقل ومنظم محب للمعارف ولا مكان فيه للصوص، فإن ذلك أمر محمود.

فهل حالتنا المزري مقبول؟ هل تعتبرون بلادنا في مصاف واحد مع البلدان الأخرى؟

لقد سرقوا منكم قوة التمييز، وأعطوكم أجهزة للراديو.

سلبوا عقولكم التي هي هبة الله، ووضعوا على رؤوسكم القبعات.

سلبوا منكم حياتكم، وأغروكم بالنساء العاريات السافرات في الشوارع والمتمددات عند حواف المسابح.

فلنقرأ إذاً فاتحة هذه الحياة المخزية . . . لعل حياة جديدة تطل علينا من وراء الأفق؛ «إن في قتلي حياة في حياة».

□ مبالغات وادعاءات:

ويكرر الكاتب مبالغاته، فيقول: «يقولون إن الحكم يجب أن يستند على العدل، وهذا شيء لا ينكره أحد. لكن الجميع يعرفون بأن هذه حجج وراءها أهداف معينة».

يا لهذا الكاذب، كم هو ضعيف الذاكرة، لقد أورد قبل ذلك كلاماً يتنافى وما يقوله هنا.

قال من قبل: إنهم حددوا واجبات كل شيء فيما عدا واجبات الحكومة، ويقول هنا: «إن هذه حجج وراءها أهداف معينة». ثم يقول بعد ذلك: «إنهم لم يحددوا مهمة للحكومة».

وقوله هذا يدل على أنه لا يتبع أهدافاً حكيمة، وأنه لا يخضع في ما يكتب ويقول إلى أية موازين.

إنكم تقولون بأن الدين لم يحدد موقفه من الحكومة، فكيف إذاً قام رسول الإسلام بتشكيل حكومة، واستطاع ـ كما تقولون ـ أن يحتل في نصف قرن نصف العالم؟

فهل كان ذلك مخالف للدين ولتعاليمه؟

وهل كان النبي وعلي بن أبي طالب يتصرفون في اتجاه مخالف للدين؟

وفوق ذلك كله؛ ألم تروا القرآن؟ ألم تقرؤوا بعض صفحاته؟ وهل نزلت جميع هذه الآيات في القتال ضد الكفار وفي الحرب من أجل استقلال البلاد الإسلامية بدون وجود حكومة وبدون تنظيمات إدارية؟ وهل تمت تلك الفتوحات الإسلامية في غياب السلطة؟

اسألوا الآخرين عن أحكام الجهاد، والدفاع، والسبق، والرماية، والأمر بالمعروف، والولاية.

إن السلطة تستند على السلطات التشريعية، والتنفيذية، والقضائية، وعلى بيت المال.

وبسط السلطة يعتمد على الجهاد، وحماية الاستقلال تعتمد على الدفاع.

وكل هذه الأمور ذكرها القرآن وحديث الإسلام.

والقرآن هو كتاب قانون، وقد حرص هو نفسه على تنفيذ هذا القانون، وحدد بشكل دقيق كل ما يتعلق بميزانية الدولة، وحدد كل ما يتعلق باحتلال البلدان وحفظ استقلال البلاد.

أنتم لا تعرفون شيئاً عن الإسلام وقوانين الإسلام، ولو تم تطبيق الإسلام في بلدنا

الصغير هذا لأصبح يوماً ما في مقدمة بلدان العالم الحضارية، لكن شهوات الحكام وخياناتهم، وأحابيل الأجانب، لا تسمح لأحكام الإسلام أن تخرج من صفحات الكتب؛ حتى يرى الجميع كيف نظم رب الرسول أمور السلطة، وعلى أي أسس أقامها.

أيها الأحمق! هل ترى من العجيب أن يعنى قانون السماء بالإنسان من قبل ولادته وحتى بعد وفاته، ولم يغفل عن أي أمر من أموره؛ ابتداء من جلوسه على كرسي السلطة، وحتى رقاده في التابوت.

والله واضع القوانين لم يغفل عن كل ما يتعلق بالبشر، ورتب له أموره المادية على أحسن نحو، وأمن له حياته الروحية على أحس وجه وأفضله، كما حدد له كل ما يتعلق بأموره، وأنتم السائبون من ضمن هؤلاء الذين عني الإله بأمرهم.

□ أخطاء أخرى وفتن أخرى:

ويمضي هذا الأحمق في أحابيله وبث فتنه، ويحاول أن يجعل موظفي الدولة يسيؤون الظن بالملالي، فيقول:

«لو لم تقم الدولة بواجباتها لوصفناها بالظالمة، ولو أنفقت الأموال في غير مواردها اعتبرنا ذلك حراماً، ولو أن أنوشروان العادل جلس على العرش في زمن الغيبة، فهو ظالم أو عديل للكفرة.

إننا نقول بأن جباية الضرائب قليلة كانت أم كثيرة، أمر حرام، ونحن نقول بأن هذه الضرائب يجب أن لا تدفع.

□ نظرة في واجبات الدولة:

لقد أجبنا على مثل هذه التفاهات من قبل، وقلنا بأن الحكومة لو أدت ما عليها من واجبات، ولو كانت دوائرها قائمة على أساس من الحكمة، ووفق الشريعة الإسلامية، ولو كان موظفوها ملتزمين بالحق؛ منزهين عن أعمال السرقة والتهريب،

ومنفذين للقوانين الرسمية للبلاد، وهي قوانين إسلامية، لو تحقق كل ذلك، فلن تكون الدولة ظالمة، ولن يكون موظفوها حامين للظلم والظالم.

إن الحكومة التي تقوم من أجل إشاعة استعمال القبعة بتوجيه النار إلى بضعة آلاف من سكان البلاد المتجمعين في معبد المسلمين الأكبر، واللائذين بإمام المسلمين العادل، وتمزق أجسادهم بالرصاص، فإنها دون شك حكومة الظلم والكفر، ومساعدتها تعادل الكفر، بل وتكون أسوأ من الكفر.

إن حكومة تخالف قوانين البلاد وقانون العدل، وتوعز لحفنة من الجلادين الذين يعرفون باسم الشرطة بالهجوم على النسوة العفيفات البريئات المسلمات ليمزقوا بحرابهم ما يسترهن من حجاب، ويسحقوا بأحذيتهم الثقيلة أجساد نساء محترمات، ويتسببوا في إسقاط جنين الحاملات، مثل هذه الحكومة تعد حكومة ظلم وجور، ومساندتها تعتبر كفراً.

إننا نعد الحكومة الدكتاتورية ظالمة، ونعد موظفيها ظالمين وجائرين، فلو كان لكم رأي آخر فاطرحوه.

إن الجماهير الإيرانية المظلومة لا تنظر بارتياح إلى عملاء الديكتاتورية الذين أساؤوا التصرف مع النسوة والأطفال، وتعد من ينظر إليهم باحترام؛ تعده مجرداً من الشرف والإنصاف.

والصحف التي تساند الإجراءات الديكتاتورية لإجبار النسوة على رفع الحجاب إنما تكون مساندة لأعمال دكتاتورية وحشية، ويجب أن تحرق في عرض الشوارع.

إننا لم نقل: إن الحكومة التي تضطلع بواجباتها تكون ظالمة، فمن أين لهم بهذا الكلام التافه الذي يلصقونه برجال الدين؟ اذكروا لنا حكومة واحدة التزمت بالقانون الرسمي للبلاد حتى نعدها أكثر عدلاً من أنوشروان.

لقد قلنا بأننا نحترم كل موظف يخدم الجماهير والوطن، ويقارع الجور والظلم،

ونعد عمله هذا عدلاً، ونعده مؤمناً بالحق.

في العهد الدكتاتوري كان يوجد ثمة موظفون نعد وجودهم في أجهزة الحكم أمراً ضرورياً، ونعد تخليهم عن وظيفتهم عملاً مخالفاً للدين.

دلُّونا على مثل هؤلاء الأشخاص لنحتضنهم ونعدهم إخوة لنا؛ ولكن فلتعلموا بأن أكاذيبكم لن يصدقها الشعب الإيراني الذي عرف فيكم عملاء للفترة الدكتاتورية المظلمة، ولن يصدق بعد الآن تفاهاتكم.

إنكم تعلمون بأن الملالي لو تغلغلوا معنوياً بين صفوف الجماهير فإنكم ستزاحون من خلف مكاتب اللصوصية، ليحل محلكم أفراد صالحون، وسوف يستيقظ الشعب الإيراني ـ بمشيئة الله ـ من النوم يوماً حتى يتحدد مصيركم إلى الأبد.

أما فيما يخص الضرائب فإننا سنتناول ذلك بالتفصيل في الإجابة على السؤال السادس.

□ أضرار كيفية:

رأيتم كيف أن هذا الكاتب يختلق الأشياء ويلصقها برجال الدين، ويستخلص منها استنتاجات تافهة، وها نحن نفند أكاذيبه واحدة فواحدة.

إنه يقول: «أما أضرار هذا الرأي فتتمثل في أنها تحير الناس بشأن الحكومة وتضللهم. فهم يقولون من جهة بأن أموال الدولة وأعمالها جديرة بالاحترام، ويحددون لها القوانين والمبادىء. لكنهم من جهة أخرى يقولون بأن مالك أموال الدولة مجهول، وأن جميع القرارات لا جدوى فيها.

إنهم من جهة يقولون: إن خدمة النظام واجب؛ لأن الإسلام أوجب النظام، ومن جهة أخرى يقولون: إن جهاد الإسلام شيء وهذه الأمور شيء آخر».

إننا سنتحدث في الإجابة على السؤال الثامن حول أموال الدولة ووضع الضرائب؛ أما بشأن العمل في جهاز الدولة فقد قلنا بأن هذا العمل نوعان . . .

أحدهما: التعاون مع الظالم، وملء الجيب، والإضرار بالبلاد وبالجماهير ـ كما هو الحال بالنسبة لموظفي الدولة اليوم ـ وهذا النوع من العمل حرام، والقانون يجيز معاقبة هؤلاء وفصلهم من العمل، ولكن أحداً لم يأخذ بهذا القانون، ولا بقول الروحاني القائل بأن هذا حرام وعديل للكفر.

أما النوع الآخر من العمل فهو مساعدة المظلومين ورفع الظلم عنهم، وخدمة الجماهير والبلاد، وهذا عمل غير حرام، بل وعبادة لله، والله يعطي جزاء ذلك خير الجزاء.

وقد جاء في رواية للإمام الصادق؛ بأن من يتولى الولاية، ويعدل مع الناس، ويفتح بيته في وجههم، ولا يسدل بينه وبينهم حجاباً، وينظر في أعمالهم، فإن الله يحميه ويقيه شر الخوف.

إذاً؛ فالروحاني لم يشغل نفسه بأعمال الدولة، وكل واحد يكون مسؤولاً عن عمله، فإن كان المقصود هو النوع الأول فليس هناك ما هو أسوأ وأكثر منه حراماً.

وإن كان المقصود هو النوع الثاني، فليس ما هو أحسن من ذلك.

وإنكم أنتم الذين تثيرون البلبلة بمثل هذه الأكاذيب، وتوجيه مثل هذه الافتراءات إلى الملالي.

□ نظرة إلى النظام القسري:

النظام القسري بالشكل الذي يبرز فيه في بلادنا، يقترن بالكثير من الأخطاء والتعسف، ويحتاج شرحها إلى كتاب؛ فما الذي كسبته إيران من هذا النظام القسري القائم على أسنة الحراب . . . سوى قيام حفنة بأعمال السلب والنهب في المدن والقرى، وضمان حياتهم من كد الكادحين؛ بدلاً من توفير الأمن للبلاد، وتشييد العمارات الشاهقة في طهران وسواها من المدن الأخرى؟

الكل يعرفون بأن كل حجر من هذه العمارات قد صنعت من دموع عجوز أُخرت

بضعة قروش لتخليص نفسها من قبضة هؤلاء الجائرين.

إن هذا النظام المستعين بالحراب قد شل زراعة البلاد وصناعتها، ولم نجن منه سوى قيام بعض الشباب الأبرياء بتمضية عامين من أعمارهم في مراكز الفساد والفسق والفجور، ومعاشرة مجموعة من الخونة والمتفسخين، حيث تبدلت الفضيلة لديهم إلى رذيلة، والأخلاق الحسنة والطيبة إلى عادات سيئة ورذيلة، ثم حدث أن عاد هؤلاء وتوزعوا في المدن والقرى، فسلبوا من سكانها حياتهم الهادئة الوديعة، وأشاعوا بينهم اللصوصية والخيانة والتبذل.

نحن لا نتوقع شيئاً من رضا خان. إنه نشأ نشأة عسكرية، واعتاد على مثل هذه الفجائع. لم يكن ليدرك بأن العفة والطهر والأمانة والاستقامة مهمة بالنسبة للجندي أكثر من أهميتها للآخرين، وأن الجندي أكثر من الآخرين احتياجاً إلى الدين.

لكننا نوجه كلامنا إلى المشرعين ممن يعدون أنفسهم علماء وعالمين؛ إنهم يعلمون بأن هذا النظام هش، قد سبب أضراراً كبيرة لبلادنا، وأننا لم نر منه حتى الآن أي خير، وأن القوى العاملة التي تعتمد عليها البلاد جالسة بصمت، ومنصرفة إلى أعمالها الشخصية، وإلى إرضاء أهوائها الخاصة، وملء جيوبها.

على عهد رضا خان كانوا يتذرعون بأنهم لم يكن بوسعهم أن يقولوا شيئاً أمامه، فما هو عذرهم اليوم؟ إن فئة من المنتفعين سيبقون حتى يوم القيامة في امتصاص دماء العمال، ونهب ثرواتهم المادية والمعنوية، وتجريد البلد الزراعي من خصائصه.

إن أفضل نظام قانون هو نظام الإسلام؛ وللإسلام نظامان:

أحدهما: اختياري، وهو يطبق في حالات تمتع البلاد بالهدوء، أي: عندما لا تكون البلاد في حالة دفاع أو هجوم. وفي مثل هذه الحالة فإن الله يدعو جميع الصالحين إلى تعلم فنون الحرب، فيقول في الآية [٦٢] من سورة الأنفال:

﴿ وأَعِدُّوا لهم ما استَطَعْتُم من قوة ومن رِباطِ الخيلِ تُرْهِبونَ به عدوَّ الله وعدُوَّكُم

وآخرين مِن دونهم لا تعلمونَهم، الله يعلَمُهُم وما تُنْفِقوا مِن شيءٍ في سبيلِ الله يوفَّ إليكُم وأنتُم لا تُظْلَمون﴾.

أفلم تستطع هذه الآية ـ ببلاغتها وبساطتها ـ أن تذكر عدة بنود أساسية تتعلق بالحكم وتتفق ومصلحة البلاد؟

إن الله يقـول للعـاملين: افعلوا ما في وسعكم في هذا السبيل. إن العمـال يستطيعون أن يشكلوا ـ في أوقات فراغهم ـ تنظيمات مناسبة، وأن يقوموا بهذا العمل كرياضة روحية وجسمانية.

ومع أن الإسلام قد حرم كل أنواع الربح والخسارة، إلا أنه سمح بمبدإ الربح والخسارة فيما يخص سباق الخيل والرماية؛ لأن ذلك يكوّن مبدأ هامًّا من مبادىء القوة العسكرية[1]. وكان النبي نفسه يحضر ميدان السباق، ويتراهن مع أصحابه، ويشارك في السباق بين الخيول، ويتراهن مع أبي قتادة وأسامة بن زيد، ويقول: إن الملائكة تنفر من جميع المراهنات فيما عدا المراهنة حول سباق الخيل والرماية. وإن جميع الألعاب التي يمارسها المؤمنون تافهة فيما عدا الألعاب الخاصة بتدريب الخيل والرماية.

والشيء الآخر الذي نتفهمه من هذه الآية هو أن الحكومة الإسلامية تصرف ما تشاء من اقتصاد البلاد لحماية البلاد وتخويف الأجانب وشراء المعدات الحربية وإعداد القوى اللازمة.

هذا بالإضـافة إلى الضرائب الإسلامية التي يتوجب على الجماهير دفعها إلى الدولة، وهو ما سنتحدث عنه فيما بعد.

وفي هذا المجال؛ فكل ما يدفع إعانة ومعونة في سبيل الله، ومن أجل تحقيق

---

(١) ينبغي للقارىء أن يراجع كتاب «الفروسية» لابن قيم الجوزية رحمه الله.

أهداف الدولة الإسلامية، سيقابله الله بالجزاء الحسن، بل وييسر أسباب العزة والعظمة للبلاد.

أما النظام الإسلامي الآخر فهو نظام إجباري، وهو ما يطلق عندما تنوي الدولة الإسلامية بشن هجوم على دولة أخرى، بهدف نشر الإسلام، وإخضاع دول العالم لقانون العدل الإلهي، أو عندما تتعرض البلاد الإسلامية إلى هجوم أجنبي.

في هاتين الحالتين تعلن الدولة الإسلامية النفير العام، وفي مثل هذه الحالة، لو استطاعت دائرة الدعاية؛ التي تعد أهم الدوائر في القانون الإسلامي، وتوكل إليها مهمات جسيمة جداً، أن تتغلغل بين الناس . . . فإنه لا تبقى ثمة حاجة للإجبار . . . إذ إن الجماهير تلزم نفسها بإطاعة الإله، وتستعد للجهاد والدفاع وحماية استقلال البلاد؛ إيماناً منها بالله وبالإسلام، وإذا ما تهاون بعض الناس، فإن هؤلاء يجبرونه على الرضوخ، وهنا يتم تنفيذ النظام الإجباري الإسلامي.

□ دائرة الدعاية الإسلامية:

تعد دائرة الدعاية الإسلامية من أكبر الدوائر، وطبقاً لقانون الإسلام فإن الجماهير ـ من رجال ونساء ـ تعتبر أعضاء فيها، وواجبات هؤلاء نظام ينبغي أن يحسم بين الجميع وأن يتمسك الجميع به.

إن تلك الدائرة ليست كدوائرنا الإعلانية المخزية التي تخلو من أقوال الدين والقرآن؛ لتحل محلها أمور نعرفها وتعرفونها.

إن دوائرنا الإعلامية تقضي على العفة والشهامة والشجاعة والمعارف.

إن أجهزة الدعاية الإسلامية كانت توزع بين الناس هذه الآية:

﴿إنَّ الله اشترى من المؤمنينَ أنفُسَهم وأموالَهُم بأنَّ لهمُ الجنَّةَ يقاتِلونَ في سبيلِ الله فيَقْتُلونَ ويُقْتَلونَ وعداً عليهِ حقًّا في التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ ومَن أوْفى بعهْدِهِ من الله فاسْتَبْشِروا ببيعِكُم الذي بايَعْتُم به وذَلك هو الفوزُ العظيمُ﴾.

وتذيع معاهدة الله هذه مع الجماهير.

والعسكري الذي ينشأ على ما تروجه دوائر الإعلام الإسلامية ؛ لا يعد روحه وماله ملكاً له، بل ويعدهما ـ وفق هذه المعاهدة ـ ملكاً للإسلام وللإله ؛ وفي مقابل ذلك يعد الجنة والسعادة ملكاً أبديًا له.

إن العسكريين الإسلاميين يتوجهون من صفوف الجماعة وعبادة الله إلى ميدان الحرب، وهؤلاء لن يخونوا الإسلام والبلدان الإسلامية. والعسكريون الذين نشؤوا في كنفكم يعرفهم الشعب جميعاً، وهؤلاء لن يجلبوا العظمة والخير للبلاد . . . بل يعملون على تخريبها.

□ أضرار خيالية والرد على ذلك:

هذا الكاتب يستنتج من تلك المقدمات أكاذيب أخرى ويقول: «إن ذلك أضعف من استقلال البلاد واستقرارها».

ثم يوضح ذلك قائلاً: «الجندي الذي ينهض على كتفيه استقلال البلاد، أو الشرطي الذي يتولى رعاية أمن البلاد، كيف يستطيعان بهذا المعتقد أن يقدما التضحيات.

إنهما سمعا في الثكنات وفي الصحف الشيء الكثير عن حب الوطن، وتعلما جيداً الأناشيد الوطنية، إلا أن ذلك كله لا يعدُّ شيئاً أمام كلمة واحدة يسمعانها عن الدين».

لقد ذكرنا من قبل أن من يعمل في جهاز الدولة من أجل خدمة الجماهير والبلاد ومن أجل رفع الحيف عن المظلومين فإن ذلك جائز؛ حتى وإن كانت هذه الدولة كافرة، بل إن ذلك لازم، وواجب أحياناً.

ونقول هنا بأن أقوال الصحف التافهة والأناشيد الوطنية الباهتة لن تغرزا روح التضحية وحب الوطن في الجندي.

أن من يدخل الثكنات يجد الجميع؛ ابتداء من الجندي الواقف عند الباب، وحتى أكبر ضابط، لا يعنون بغير ملء الجيوب، وبناء العمارات، وإرضاء النزوات. فهل تريدون من مثل هذا الجندي أن يصبح في ظل مثل هذه الأجواء، وببضعة أسطر تكتبها الصحف، وبعدة أبيات من الشعر، محبًّا للوطن وخادماً للبلاد؟

اختبروا هؤلاء الجنود، ثم انظروا بعد ذلك إلى ذلك الجندي الذي يهتم بأمور الدين، وله صلة بالملالي، فسترون أنه يؤدي واجباته الإدارية بشكل أتقن، ويخدم بلاده بشكل أكثر، ويحجم عن أعمال النهب وخيانة مواطنيه.

لو حرص الحكام على زرع روح حب الوطن والتضحية في الجندي فعليهم أن يشكلوا - بإشراف الخطباء والمتحدثين من رجال الدين - دائرة للدعاية الإسلامية، ويجعلوا الجنود على صلة مباشرة بالروحانيين.

فحب الوطن وروح التضحية ينبغي أن يُغرزا في الجندي عن طريق بث روح عبادة الله والإيمان بالغيب فيه.

فالإيمان هو الذي يشد الجندي إلى وطنه حتى اللحظات الأخيرة، ويمنعه من خيانته وخيانة مواطنيه، ويوجد فيه روح الشجاعة والشهامة.

إنكم بدعاياتكم الجوفاء المليئة بالأكاذيب تريدون أن تؤثروا في نفوس الجنود؛ فماذا يصنع الجندي المسكين عندما يجد نفسه وسط جنايات وخيانات أشخاص يتشدقون بالوطنية؟

أعرف كولونيلاً محترماً لم يرق تدينه وحبه للأمانة . . . للمسؤولين، فنحّوه عن منصبه إلى الأبد.

فالجندي الذي يرى بعينه أن هذا هو جزاء الأمانة، ويجد في مقابل ذلك قصور الخيانة عالية تضيع عليه المقاييس.

إنكم لن تستطيعوا بعد الآن أن تخدعوا أحداً بأقوالكم الباهتة هذه، وأن تلصقوا

جميع المفاسد بالملالي والمتدينين .

جميع أبناء هذه البلاد كانوا على صلة بموظفي الدولة ، ويعرفون كل شيء عنهم ، فخير لكم أن تتستروا على فضائحكم ، واتركوا ما خفي يبقى خفيًا ، ولا تزيدوا على الفضائح فضائح أخرى .

□ ما الذي يضر بخزينة الدولة :

والاستنتاج الآخر الذي يستخلصه هو: «أنهم ألحقوا الأضرار بخزينة الدولة» .

ثم يقول : «عندما يتعين على التاجر أن يدفع الضريبة ، ويجد أن إعطاء المال أعز من إعطاء الروح ، فإنه يتوسل بالدين ؛ حتى إن لم يكن متديناً ، ويحاول خداع الموظف أو رشوته لمنعه من استيفاء الضريبة» .

خير لكم أن تبحثوا عن السبل التي تصرف فيها أموال خزينة الدولة ، والنتائج التي تجنيها البلاد والجماهير من ذلك ؛ حتى تعرفوا مصدر الأضرار التي تصيب خزينة الدولة ، ومن هو الذي يمنع المواطنين من دفع الضرائب .

ولو رأى الناس بأن موظفي الدولة ورجال الشرطة والجيش يقومون بواجباتهم الخلقية ، ويؤمنون احتياجاتهم الإدارية ، ويحفظون لهم أموالهم وأرواحهم ، ويحافظون على أمن البلاد وعزتها ، ويصدون العدوان الأجنبي . . فإن أحداً لا يستطيع أن يلحق أي ضرر بخزينة الدولة .

فالتاجر الذي يحفظون له ثروته التي تقدر بالملايين لا يبخل بدفع بضع مئات من التومانات .

والمزارع الذي يحفظون له روحه وماله وعرضه ؛ كيف يمتنع عن دفع بضعة كيلوات من الحنطة أو بضعة تومانات في السنة؟

دلونا على حكومة يعمل موظفوها وفق القانون لكي يدفع الناس الضرائب عن

طيب خاطر، دون أن يقول أحد كلاماً، وإن قال فلا يسمعه أحد.

إلا أن الناس، عندما يجدون بأن ثمار جهودهم وكدهم تكتنز في بنوك أوروبا وأمريكا لحساب عدد من اللصوص الخونة، الذين جلسوا لبضعة أيام على كرسي الوزارة . . . فإنه يحجمون عن دفع مثل هذه الضرائب.

إن الأموال التي يجب أن تنفق لتوفير ما يحتاجه الجيش تذهب إلى جيوب عدد من كبار ضباط الجيش.

وإذ يجد الناس أفراد الشرطة المسؤولين عن حفظ الأمن وهم يباغتون المواطنين، ويبتزون منهم المال بشتى الأساليب والحجج، ويرون مراكز الشرطة مراكز للصوص . . . فهل تريدون منهم أن يملؤوا خزينة الدولة، أي: أن يملؤوا جيوب اللصوص؟

هل تريدون من الناس الذين يشاهدون الشرطي الذي ينبغي أن يحافظ على أمن المدينة . . . يضرب النسوة بحذائه ليحملهن على السفور، أو إشاعة البغاء . . . أن يقوموا بدفع حقوق الدولة؟

إن الجماهير على علم بكل ما يجري في دوائر الدولة، وبكل ما يقوم به موظفوها، والمآسي المماثلة لم تعد شيئاً مخفيًّا، ولذا فلا تتوقعوا منهم أن يحسنوا الظن بموظفي الدولة، ولا أن يقدموا ثمار كدهم وتعبهم بالمجان إلى حفنة من اللصوص والمهربين. فلماذا تحاولون تغطية هذه الفجائع الموجودة في كل واحدة من دوائر الدولة المدنية والعسكرية.

على الدولة أن تصلح أوضاع البلاد، وتقضي على أعمال النهب والخيانة، حتى يعمل الملالي والمتدينون على دفع الضرائب ويفعل ذلك الناس بكل رحابة صدر.

◻ من الذي يحمل موظفي الدولة على التهاون:

إن الكاتب يستنتج من مقدمته التافهة أموراً أخرى فيقول: «إنهم يحملون موظفي الدولة على التهاون والتراخي».

ثم يستطرد قائلاً : «إنهم يوحون لموظف الدولة ـ سواء أكان متديناً أو غير متدين ـ بأن العمل في جهاز الدولة أمر غير محمود ، وأن أموالها حرام» .

وقد ذكرنا من قبل بأن موظفي الدولة فئتان :

فئة تتمسك بواجباتها الخلقية والوجدانية ، وتعمل لخدمة الجماهير والبلاد ، وتقارع الظلم ؛ والروحاني لا يجد ضيراً في عمل هذه الفئة ، بل ويرى في أعضائها مؤمنين صادقين .

أما الفئة الأخرى فلا يهتمون بالواجب ، بل يدخلون في خدمة الدولة لملء الجيوب ، وممارسة أعمال الظلم والخيانة ، ونحن نعد هؤلاء من أتباع جهنم ، ومسيئين .

إننا نعد انتماء هؤلاء إلى أجهزة الدولة أمراً حراماً ؛ لكنكم ترون بأن من ينتمي إلى الدولة ، مهما فعل وأساء ، فإنه عمل عملاً حسناً . فهل أفكارنا هي التي تصلح موظفي الدولة أم أفكاركم المسمومة؟

إنكم تقولون عنا بأننا نحرم العمل في دوائر الدولة بصورة عامة ، ونبعث على الفتور في نفوس المخلصين ، ونصرفهم عن أداء واجباتهم ؛ فأنى لكم أن تعرفوا شيئاً عن دين المتدينين ومعتقداتهم .

إنكم لا تعرفون غير بث الفتن والفساد ؛ ومن هنا فإنكم تروجون كل هذه الأكاذيب في كتيب صغير ، وتريدون من الناس والروحانيين وموظفي الدولة أن يسيؤوا الظن بعضهم ببعض . وهذه هي أكبر جريمة ترتكب بحق البلاد .

إن الروحاني يميز الموظفين عن سائر الأفراد ، يفضل الطيبين منهم على الآخرين ، لأنهم يخدمون البلاد والجماهير بصدق ، ويعتبر السيء منهم أسوأ من الآخرين ، لأنه يخون البلاد والجماهير ، وتلك من أسوإ الجرائم وأبعدها عن الوجدان وفيها شقاء العالمين .

لو أن الدعاية الدينية راجت في بلادنا ؛ لرأيتم ما لم تروه في الأحلام . . . إنكم

بأسطركم القليلة قد ختتم البلاد والدولة خيانة لا مثيل لها، وجعلتم المخلصين يفترون في أداء واجبـاتهم، ووصفتمـوهم زوراً بأنهم من أتباع جهنم، وألصقتم الأكـاذيب بالملالي؛ حتى تؤثروا في نفوس تلك الفئة.

□ لماذا يسيء الناس الظن بالقانون ويحسنون الظن بالدين؟

يقـول الأحمق: «إننـا نعـرف أفـراداً يدفعون الرشوة للحصول على إذن بزيارة العتبـات، وهـذا أمـر حرام. إنهم يتقبلون أكبـر الأكـاذيب ما دامت مبرقعة بالدين، ويستخدمون ذكاءهم لكي يعبثوا بالقوانين والمقررات. إننا نعرف الكثيرين ممن يسرقون أو يخونون وينفقون تلك الأموال على زيارة العتبات».

لنفـرض أن ما قلتموه في هذه الأسطر صحيح، فذلك يدل على علاقة الناس بالدين وشعائره، وعلى انصرافهم عن الدولة وعن قوانينها وقراراتها.

ولكن؛ ينبغي البحث عن جذور ذلك.

لو فعلنا ذلك لظهر لنا أن الناس؛ مع كونهم لا يعرفون مقررات الدين جيداً، إلا أنهم يحسنون الظن به. ويرون في الدين والمتدينين أسباب في العالمين، ومن هنا فإنهم يميلون إليه. في حين إنهم لم يروا من القوانين والمقررات الحكومية غير الإساءة والظلم والخيانة والجرائم، فأصبحوا ينفرون منها، بل وجوزوا خيانتها؛ مع أن الخيانة ليست بالأمر المحمود.

أمـا قولكم بأن النـاس يمـارسـون أعمـالاً محرمة على أنها مستحبة، يرتكبون الجرائم، ثم يقيمون مجالس التعزية، فإن ذلك معناه أن الدعاية الدينية متصدعة في هذا البلد، وأن على الـدولة أن تؤسس دائرة للدعاية الدينية تحت إشراف المحدثين والكتاب الدينيين والروحانيين، وأن يتم نشر وإذاعة أحاديثهم بواسطة الإذاعة والمجلات الحكومية، وأن تقام مجالس لإلقاء الخطب الدينية؛ لكي يعود ذلك بالفوائد على البلاد وعلى الجماهير، وإلا فإن الدعايات الجوفاء التي تقومون بها لن تجدي نفعاً.

إن الناس غير مستعدين لتصديق أناس يرتكبون الجنايات، وإننا إذ نطالب بقيام الدولة بتشكيل دائرة للدعاية فلا نعني أن يتم ذلك في الظروف الراهنة؛ لأنه سيعطي نتائج معكوسة، بل إن الدولة يجب أن تصبح دينية وروحانية حتى تكون دعايتها مثمرة، لا أن يصبح الروحاني حكوميًا؛ إذ إن ذلك يجرده من روحانيته، ولا يجعل لكلامه قيمة عند الناس. أي: إن هذا الأمر لايصلح أمر الجماهير والبلاد، فلا يصبح في وسع الروحاني أن يجني ما يريد من ثمار، وتلك هي خسارة كبرى للبلاد وللجماهير.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن دفع الرشوة للحصول على جواز ليس بالأمر الحرام، مع أن ذلك حرام بالنسبة لمن يأخذ الرشوة، لكن الكاتب أجهل من أن يعرف ذلك.

□ استنتاجات أخرى من مقدمات كاذبة:

ويستنتج هذا الكاتب من مقدماته التافهة نتائج أخرى، فيقول: «إن ضغوط هذه الأعمال تقع على عواتق الجماهير المنكودة».

ثم يوضح ذلك قائلًا: «وحيث إن الغرض من إقامة الحكومة هو توفير الراحة للجماهير، وإن بقاء الحكومة رهن بالجماهير؛ لذا فإن أي عمل تخريبي يقع ضغطه على عاتق الجماهير نفسها، وبالتالي تعود أضراره الكبيرة على الملالي؛ إذ إن الذين يؤمنون بهم سينصرفون عنهم، لأنهم يعتبرون العمل في أجهزة الدولة أمراً غير مقبول».

يتضح من هذا القول بأن الأضرار التي تصيب البلاد ودوائرها تشمل جميع الأفراد من ملالي وغير ملالي، وذلك لأن موظفي الدولة لا يلتزمون بالواجب وخونة، وأن المتدينين والمخلصين قلما ينتمون اليوم إلى هذه الدوائر.

وليس هناك اعتراض على ذلك، لكن المسألة هي أن الأفراد المنزهين والمخلصين المتدينين يُعرِضون اليوم عن العمل في دوائر الدولة؛ لأن الملالي قالوا لهم: إن ذلك ليس بالأمر المحمود.

لقد سلطنا الضوء على هذه الأكاذيب، وأوردنا ما قاله كبار الملالي وما قاله

الإمام.

إننا نعرف بأن المخلصين لا يستطيعون الانتماء إلى هذه الدوائر القائمة على الظلم والخيانة، ولم يكن هذا الأمر يحتاج ـ في العهد الدكتاتوري ـ إلى دليل، إذ إن الواجب كان طاعة الأوامر الملكية.

أما في هذا العهد، فيمكن القيام بهذا الأمر نوعاً ما؛ إلا أن هؤلاء قلة جدًّا، ويتعرضون للحملات، وعلى أي حال، فإن الملالي يرون أن عمل هذه الفئة في أجهزة الدولة إنما هو عمل مقبول، بل ويعدونه في بعض الأحيان واجباً، لكنكم تلصقون الأكاذيب بالملالي، ولا قصد لكم غير بث الفتنة.

■ السؤال الثامن والإجابة عليه:

ما المقصود بأن الضرائب حرام، هل يعني ذلك وجوب الإحجام عن جباية الضرائب واستيفاء الزكاة بدلاً من ذلك؟ إن كان الشق الثاني هو المطلوب، فكيف يمكن اليوم استيفاء الزكاة في مدن مثل طهران ومازندان أو أية مدينة صناعية؟ . . .

□ نظرة شاملة إلى ميزانية البلد الإسلامي:

لو أردنا التحدث بالتفصيل عن الضرائب الإسلامية، وما يتعلق بالميزانية وبالإنفاقات، لأخذ ذلك منا وقتاً طويلاً. لكننا نشير هنا إلى ذلك بصورة عامة، حتى تتوضح الأمور.

في الإسلام أنواع من الضرائب، بعضها يستوفى بالإجبار، وبعضها الآخر اختياري.

النوع الأول: سنوي ودائم ويجبى في حالات السلم.

النوع الثاني: استثنائي ويعرض في حالة وجود مخاطر خارجية وداخلية، وليس لهذا النوع حدود، إذ إنه يتوقف على تقدير الدولة الإسلامية.

ويعتبر هذا النوع من الضرائب ضرائب غير مباشرة، ويستوفى عندما لا يكون في وسع الضرائب المباشرة أن تقف في وجه المخاطر المذكورة، فتستوفي الدولة ما ترتئيه من الضرائب، وإن شاءت فبصفة قرض، وإن شاءت فبصفة ضرائب غير مباشرة، يتم استيفاؤها حسب حاجة البلاد، وبشكل عادل، وحتى إن أدى ذلك إلى أخذ جميع أموال الجماهير، وذلك من أجل إنفاقها على حفظ استقلال البلاد الإسلامية، حيث يصبح - في مثل هذه الحالة - على جميع الأفراد التوجه بصورة إجبارية إلى الجبهة، والتضحية من أجل الاستقلال.

أما الضرائب المباشرة التي تفرض لإدارة أمور البلاد المدنية والعسكرية، ويتحتم على الجماهير أن تدفعها إلى الدولة، فهي على عدة أنواع؛ نذكرها فيما يلي:

١ ـ ضرائب تستوفى من أراضي شملتها الفتوح الإسلامية، ولم تكن عند فتحها بائرة أو مواتاً.

مثل هذه الأراضي تكون ملكاً للمسلمين، ينبغي أن تصرف عائداتها لصالح البلاد والجماهير، وتقوم الدولة بتسليم هذه الأراضي إلى الجماهير، وتستوفي لقاء ذلك ضرائب معينة، تنفقها على البلاد وعلى الجماهير.

وتعد مثل هذه الأراضي ملكاً صرفاً للدولة، ولا يحق لأحد بيعها أو شراءها، وتشكل مصدراً هامًا من مصادر عائدات الدولة، إذ كلما ازدادت فتوحات البلد الإسلامي ازدادت حاجته إلى الأموال . . . فتزداد في الوقت ذاته عائدات الدولة.

٢ ـ ضريبة العشرين بالمئة التي تستوفيها الدولة بصورة إجبارية، وقلما يوجد في البلد الإسلامي من لا يكون مشمولاً بهذه الضريبة؛ التي تشمل جميع عائدات الجماهير مهما كان نوعها . . . وسواء أكانت على شكل ذهب، أو فضة، أو نفط، أو قير، أو فحم حجري، أو ماس، أو ياقوت، أو كنوز مستخرجة من تحت الأرض، أو من جوف البحر، أو كانت على شكل عائدات تدرها التجارة والصناعة والزراعة، وحتى العجائز اللواتي يجلسن خلف ماكينات الخياطة قديمة العهد يشملهن هذا القانون.

هذه الضرائب التي تعرف باسم الخمس تفرض كذلك على الأراضي التي يبتاعها أهل الذمة؛ اليهود والنصارى، من المسلمين، سواء أكانت زراعية أم سكنية أم مشجرة.

كما وتفرض على الأموال الحلال الممتزجة بالحرام، وهي من أكبر الضرائب، وتكفي لإدارة أمور بلاد تبلغ سعتها نصف سعة إيران، إذا ما تم استيفاؤها من مدينة تجارية واحدة مثل طهران.

وجباية هذه الضريبة تتطلب إجراء إحصاء دقيق للنفوس، وإجراء إحصاء دقيق للأعمال والمهن، وصولاً إلى تحديد المدخولات بصورة دقيقة، حتى لا يقع الثقل على فئة دون أخرى.

٣ ـ الضـرائب المفـروضـة على البضـاعـة؛ وتعرف باسم الزكاة، وهي ليست بالثقيلة، حيث تراعى فيهـا أوضـاع المـزارعين الذين تخصهم هذه الضريبة أكثر من سواهم، حيث تتـرواح نسبـة الضـريبـة المستوفاة منهم من ٥ ـ ١٠ بالمائة، كما أن المحاصيل التي تحتاج زراعتها إلى جهود كبيرة ـ مثل الرز والقطن ـ لا تشملها هذه الضريبة.

أما الملاكون فيستوفى منهم العشر ونصف العشر أيضاً لكونهم مشمولين بضريبة العشرين بالمئة، أي إنهم يدفعون ٣٥ بالمئة من مدخولاتهم الزراعية لقاء ٥ ـ ١٠ بالمئة يدفعها الزارع.

وهـــذا النـوع من الضـريبـة مهم جدًا، وعلى الـدولـة أن تقـوم بتسجيل دقيق للأمـلاك، وعلى وزارة المالية أن تطبق القانون في جباية هذه الضريبة، ولدافع الضريبة أن يدفع الضريبة على شكل بضاعة أو ما يعادلها نقداً.

٤ ـ الجزية؛ وهي ضريبة على الأفراد وعلى الأراضي، تستوفى من أهل الذمة بالقدر والنحو الذين تحددهما الدولة.

٥ ـ ومن مدخولات الدولة التي تجبى بالإجبار . . . تركة الأشخاص الذين يتوفون وليس لهم من يرثهم، سواء أكان مسلماً أو كافراً حربيًا، أو من أهل الذمة، حيث إن الدولة تستولي على أموال وأملاك هؤلاء.

هذه هي الضرائب الإجبارية، ولو كانت هناك دائرة للدعاية الإسلامية، تعمل وفق ما ورد في القانون الإسلامي، فإن الجماهير كانت ستدفع الضرائب بكل رحابة صدر، ولا تحتاج الدولة إلى القسر في واجباتها، ولما وقعت هذه الخيانات في تأديتها.

◻ إنفاقات ميزانية الدولة الإسلامية:

نورد فيمـا يلي إجمـالاً لانفـاقات الميزانية الباهظة كما هي مدونة في القوانين الإسلامية، حتى يطلع القراء على خيانات وأباطيل هؤلاء الخونة:

١ ـ هناك من لا يستطيع إدارة شؤون حياته؛ ليس له ما يعتاش به، وليست له قدرة الكسب والعمل؛ أقعده العجز أو المرض، وعلى الدولة أن تتكفل بهؤلاء، أو تفتح لهم داراً للعجزة، وأن توفر لهم المأكل والملبس بشكل محترم، أو أن تدفع لهم مرتبات سنوية، ولا فرق في ذلك بين (السادات) و (غير السادات)[1].

٢ ـ هناك أشخاص اقترضوا ثم عجزوا عن تسديد القرض؛ كالتجار الذين أفلسوا، أو الكسبة الذين تعرضوا للحريق، وتستطيع الدولة أن تدفع الزكاة لهؤلاء، وتسدد لهم ديونهم، بل وتمدهم برأس المال لكي يواصلوا الكسب، على شرط أن لا تكون قروض هؤلاء منشؤها القمار أو التهرب من قوانين الدولة.

وهنا أيضاً يميز القانون بين (السادات) و (غير السادات)؛ ذلك أن (السادات) الذين أفلسوا وأصبحوا غير قادرين على العمل تقوم الدولة بدفع قروضهم، وبتزويدهم بالمال؛ لكي يدبروا أمور معيشتهم.

٣ ـ وحيث إن الإنفاق الأساسي هو الميزانية، فإنه بعد تأمين احتياجات (السادات) والفقراء، فإن الأموال تنفق من أجل إقامة المؤسسات الإدارية، والعسكرية، وتشييد المباني اللازمة للوزارات، وتوسيع أمور المعرفة، والثقافة، ودائرة الدعاية، وشق الطرق، وإنشاء الجسور، والمستشفيات، والمدارس، ومد سكة الحديد، وتهيئة المعدات العسكرية.

وبعبارة أخرى؛ فإن ما تحتاجه البلاد لحفظ عظمتها واستقلالها يتم تأمينه من الميزانية الحكومية.

ولو نظمت دائرة الحسابات جدولاً بانفاقات ميزانية الدولة الإسلامية، لوجدت أنها تسد النفقات، وعلاوة على ذلك فإن للدولة أن تجبي الضرائب من الناس . . وبالقوة ان

---

(١) (السادات) عند الشيعة لفظة تطلق على الأفراد الذين ينتهي نسبهم إلى الأئمة، ولا سيما الإمام علي وولديه الحسن والحسين. (المترجم).

امتنعوا عن دفعها. وهناك ضرائب إسلامية أخرى لو نظمتها دائرة الدعاية فإن ميزانية البلاد تتضاعف.

□ رأي في المحتويات المخزية للكتيب:

من له اطلاع يسير على القوانين الإسلامية؛ تتضح له أكاذيب هؤلاء الحمقى الخونة. لكننا نستعرض هنا أقوال الكاتب واحدة واحدة، لنبين أنه كتبها عداء لدين الإسلام.

إنه يقول: «ديننا يقول: إن الضرائب حرام، واستيفاؤها ظلم، ودفعها دعم للظلم، وينبغي أن يستوفي الزكاة بدلاً منه. والزكاة تؤخذ على تسعة أشياء؛ مثل: الذهب والفضة وسواهما، وأما الخمس فيؤخذ من أرباح التجارة والصناعة، ونصف الخمس يكون من سهم الإمام وينبغي دفعه للمجتهد الذي عليه أن يوزعه على (السادات) أو على الملالي أو إيداعه لدى أيد أمينة أو دفنه تحت التراب، حتى يأتي إمام الزمان ويأخذه» . . .

إن هذا الغبي لم يطلع على قوانين الإسلام، أو إنه يريد اتهام الآخرين ويحدث البلبلة؛ فهو قد حصر ضرائب الإسلام بخمس الزكاة، مع أن للضرائب أنواعاً أخرى تكفي لإدارة أمور البلاد، وهي أموال خاصة للدولة.

كما أنه حصر الخمس بأرباح التجارة والصناعة؛ فيما يفرض الخمس على جميع المدخولات، ومنها مدخولات الكسب، ولعل الخمس الخاص بالنفط ـ هذا الذهب الأسود ـ هو من أكثر الضرائب أهمية، لكن هذا الغبي أسقطه من حسابه.

إن الخمس يفرض على جميع المدخولات، والجزء الأكبر منه ينفق على البلاد، و(السادات) المتمكنون لا يستوفون منه شيئاً. أما الفقراء منهم الذين لا يقدرون على الاكتساب، وليست لهم قدرة على العمل، فإنهم يأخذون منه ما يكفي لمعيشتهم. والملالي الذي يعملون في دائرة الدعاية عليهم أن يأخذوا منه ما يسد نفقاتهم

الاقتصادية.

ويعرف الجميع بأن قانون الضرائب الإسلامي لا يطبق اليوم في البلاد، وأن الدولة لا تستطيع جباية هذه الضرائب كما هو مذكور في القوانين الإسلامية وأن تنفق في الأوجه الواردة ذكرها في تلك القوانين.

والخلاصة؛ أن جميع التشكيلات الإدارية الموجودة اليوم ليست إسلامية، ولو تيقظ المسؤولون يوماً وأدركوا فوائد القوانين الإسلامية، فسوف يدركون ماهية الميزانية الإسلامية.

□ أكاذيب وافتراءات:

ويدعي هذا الأحمق الإحاطة بقوانين الإسلام فيقول: «لم يكن عبثاً ما قلناه من أن تعاليم ديننا لو انتُزِعت من بطون الكتب لقرأنا الفاتحة على البلاد والحياة . . ذلك أن الشرط الأول للحفاظ على أي شعب هو امتلاك قوانين مالية صحيحة. فكيف يستطيع أولئك الذين يقولون بأن كل ما في الأرض ينبغي أن يكون تحت إمرتنا، أن يديروا أمور هذا البلد الصغير بتعاليمهم الكيفية؟».

لو كانت التعاليم الدينية بالشكل الذي تنسبونه إلى الدين نفسه؛ فإن هذا القانون لن يعجز عن إدارة شؤون البلاد فحسب، بل وشؤون مدينة واحدة.

إننا نشير هنا إلى أن قوانين انجلترا تتيح للقساوسة أخذ خمسة بالمئة من الغنم، ونقول بأنه لا يمكن إدارة أمور البلاد بمثل هذا القانون، لأنهم يجهلون القوانين المالية الإسلامية.

إن هذا القانون كان سائداً على العهد الإسلامي لمدة تقرب من الخمس مئة عام، وبواسطتهم كانت تدار أمور بلاد واسعة الأرجاء؛ مع أن القوانين الإسلامية، بما في ذلك القانون المالي، لم تكن تطبق بدقة.

فليقارن الخبراء بين القانون المالي الإسلامي، وهو قانون العشرين بالمئة، وبين

ما هو مدون في القوانين، حتى يلمسوا الفارق، ويتأسفوا على بلاد تركت القانون السماوي جانباً، واسترشدت بذهن شخص أجنبي. ولا يشك عاقل في أن قوانين الأجانب تنفعهم وحدهم ولا تنفعنا.

أما قولكم بأن تعاليم الدين لو خرجت من بطون الكتب، وطبقت، فإنه ينبغي قراءة الفاتحة على البلاد وعلى الحياة .. فإنه ليدل على جهلكم بالقوانين الدينية.

إنكم بشرحكم للقانون المالي الإسلامي أعطيتم تصوراً عن معلوماتكم الخاوية، وقد أعطينا نحن لمحات عن ذلك القانون الذي يحتاج شرحه إلى مجلد ضخم.

ونقول الآن بأن الحياة إن كانت على ما هي عليه الآن، والبلاد إن كانت تسودها مثل هذه الفوضى القائمة، فالأفضل أن نقرأ الفاتحة على هذه الحياة وعلى هذه البلاد.

□ أباطيل وتفاهات أخرى:

هذا الكاتب، لقلة معلوماته، يكرر الحديث الواحد عدة مرات، حتى يزداد عدد أوراق كتابه التافه، فيقول مثلاً: وأما الزكاة؛ فيجب أن تفرض على أمور ليست موجودة اليوم؛ مثل: العملات الذهبية والفضية، وعلى أشياء أخرى نادرة الوجود؛ مثل: البعير، والتمر، والزبيب، وبعضها الآخر لا يتواجد في كل مكان؛ مثل: البقر، والغنم، والحنطة، والشعير.

ولذا؛ فسكان مازندران الذين يزرعون الرز، وسكان طهران والمدن الصناعية الأخرى، أي نوع من الضرائب سيدفعون؟».

لكأن هذا الأحمق لا يعرف شيئاً عن قوانين الإسلام، ولا يعلم بأن الزكاة يجب أن لا تدفع عن العملات الذهبية والفضية، وذلك لعدم تداولها.

ولو كان المقصود بأن هذه المعادن قد حولت إلى سبائك فهذا كلام يثير حتى سخرية الأطفال، وإن كان المقصود عدم رواج هذه العملات وأنها أصبحت محتكرة لدى فئة معينة فإن الإسلام قد أوجب الزكاة حتى على الذهب والفضة المحتكرين وليس

على السكة الرائجة. فالذهب والفضة ـ بموجب قانون الإسلام ـ مشمولان أكثر من سواهما بالزكاة. فهما إذا وضعا موضع التعامل فسيكونان مشمولين بقانون العشرين بالمائة، أما إذا احتكرا؛ فإنهما يكونان مشمولين بالزكاة.

وأما إذا كان المقصود أن الذهب والفضة غير متوفرين في بلادنا؛ فإن قانون الإسلام لم يسن من أجل بلادنا وحدها، بل من أجل جميع البلدان، فالإسلام لم يأت من أجل بلد واحد، فالضرائب والأموال أينما كانت يتم حفظها في خزينة البلاد لتلبية احتياجات البلاد والجماهير.

أما قولكم عما تدفعه مازندران التي لا تزرع غير الرز فنقول: إن الملاكين في مازندران مشمولين بضريبة العشرين بالمائة وبالضرائب الأخرى؛ وإذاً فإن الرز يكون مشمولاً بذلك أيضاً.

أما بالنسبة للمزارعين؛ فإن القانون يأخذ وضعهم البائس بعين الاعتبار؛ لأن شمول هذه الفئة الكادحة بقانون الضرائب بعيد عن الإنصاف، ولا سيما أن زراعة الرز تمر بمراحل طويلة ومتعبة.

ومع أن قانون الإسلام يفرض ضرائب كثيرة؛ إلا أنها وزعت توزيعاً عادلاً ومعقولاً، بحيث لا تضايق أحداً، بل قد روعي فيها وضع الطبقة الكادحة بشكل خاص.

أما فيما يخص المدن الصناعية والتجارية مثل طهران وسواها، فإنها مشمولة بضريبة العشرين بالمائة. ولو أحصينا ضرائب طهران وحدها لعرفنا كم هي مهمة وكبيرة الضرائب الإسلامية.

وإذا تمت إقامة دائرة الدعاية الإسلامية؛ فإنه قلما يبقى من يتهرب من دفع الضرائب والرسوم، وحيث أنكم بعيدون عن الإسلام وقوانينه فإن هذا الكلام لن يؤثر فيكم.

□ اعتراض تافه :

وهنا يورد هذا الأحمق كلاماً تافهاً غير مفهوم فيقول: «أما الخمس كما قيل عنه، لا يتفق والحياة المعاصرة، إذ إن الجمرك لا يمثل اليوم مصدراً مهماً للإيرادات».

لا أعتقد بأن الكاتب نفسه يستطيع تفسير هذا القول.

ما معنى القول بأن الخمس لا يتفق والحياة المعاصرة؟ وأن الجمرك لا يتفق مع الخمس؟ وما هي العلاقة بينهما حتى لا يكون انسجام أو توافق فيما بينهما؟

لقد أوضحنا بأنه ومن معه يجهلون ما يتعلق بالخمس تماماً، وأثبتنا بأن الضرائب التي حددتها القوانين الإسلامية على أفضل وجه، وروعيت فيها مصالح البلاد والجماهير؛ قادرة على تأمين احتياجات البلاد، مهما كانت تجارة البلاد.

لقد وُضع القانون المالي الإسلامي بشكل لا يضر بالتجارة والصناعة، لكن قانون الجمارك يُعنى بأخذ الضرائب قبل الاهتمام بالتجارة، ويسبب أضراراً كبيرة للصادرات والواردات، ويولد الفتور في سوق التجارة. إذاً فالبلاد ليست بحاجة إلى هذا القانون؛ لذا ينبغي إلغاؤه بأسرع ما يمكن، وإزاحة المشكلات من وجه التجارة، حتى تتقدم البلاد مالياً.

وبالإضافة إلى ذلك؛ فإن قانون الإسلام ليس كالقوانين الأخرى تم وضعه لبلد معين حتى يتضمن ضوابط خاصة بالجمارك . . . قانون الإسلام ينشد إزالة الحدود في العالم، وتشكيل دولة جماعية واحدة، وجمع البشر تحت علم واحد، وقانون واحد، والقضاء على الجرائم والجنايات، وليس لمثل هذه الحكومة حدود وجمارك.

والحكومة الإسلامية تعنى بالقيم الخلقية والروحية، وبالحياة المادية والمعنوية لجميع البشر، وهي تناوىء القومية؛ التي هي وليدة أفكار بدائية للبشر.

ليس في القانون الإسلامي وجود لعربي وفارسي وانجليزي وفرنسي[1]. هدف

---

(١) لماذا الإصرار إذن على تعابير: الإيراني، والشيعي، والفارسي، كما أوردها خميني في صفحات =

الإسلام التوحيد والتقوى ومن كان أكثر تقوى كان أكثر إلى الله قرباً ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُم عِندَ اللهِ أَتْقَاكُم﴾. المشرع هنا هو الله، وليس لله قرابة بأحد، ولا يؤيد طائفة دون أخرى، ينظر إلى الجميع نظرة واحدة، وأرسل القانون والإسلام والقرآن لسعادة البشر.

وهذه السدود التي أوجدوها باسم الأوطان هي من بنات أفكار البشر الضيقة، فراية الله تخفق فوق جميع البلدان، والعالم بأسره وطن البشر، وللبشر أن ينال سعادة العالمين، وهذه السعادة هي اتباع قانون السماء الذي يلبي جميع احتياجات الحياة الدنيا، ويهب الرحمة والمحبة للعالم.

□ تدخل أهوج في المعقولات:

إن هذا الأحمق يمد رجله إلى أبعد من بساطه، ويقحم نفسه في علوم لا يعرف عنها شيئاً، متناسياً بأن علم الحقوق الإسلامية ليس بالعلم الذي يقحم فيه الأطفال أنفسهم.

إنه يقول: «الخمس أكثر فاعلية من الزكاة؛ إلا أنه يجابه بمشكلتين: فقد ورد في الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث بأن الإمام تنازل عن الخمس، فلماذا إذاً لا يتنازل عنه الآخرون؟».

إن المناقشة الفقهية في هذا الموضوع تحتاج إلى بحث علمي؛ لا تتسع له هذه الصفحات، ولا يفهمه هؤلاء، لكن علينا أن نوضح ماذا يعني التنازل عن الخمس؟

لقد تضمن القانون إنفاقات تخص مصالح البلاد وأمورها؛ من ذلك أنه تم تخصيص مبلغ معين لرئيس البلاد، فإذا قال ذلك الرئيس بأنه تنازل عن راتبه هذا للناس؛ فإن هذا من حقه. فهل هذا الإقدام يخل بأوضاع البلاد؟

ثم إن الخمس هو ضريبة العشرين بالمئة، وهو يستوفى من جميع مدخولات

= سابقة من هذا الكتاب؟

الناس، وينفق لأمور البلاد.

وقد جاء في الآية ٤٢ من سورة الأنفال:

﴿واعْلَموا أنَّ ما غَنِمْتُم مِن شيءٍ فأنَّ لله خُمُسَه وللرسولِ ولذي القُربى واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيلِ﴾.

ونحن نسأل: هل يحق للإمام أن يخل بمثل هذا القانون السماوي ويبطله؟ الكل يعرفون أنه لا يحق له ذلك، فالإمام مفسر للقانون، وليس ناسخاً له.

لذا؛ فإن الهبة تشمل ما يخصه وحده، مثل هبة الرئيس لراتبه مثلاً.

والدليل على ذلك أن أمير المؤمنين[1] عليه السلام قال ـ حسب هذه الروايات ـ: إني وهبت حصتي من الخمس لشيعتي، وأن الباقر والصادق عليهما السلام وسائر الأئمة كانوا يأخذون الخمس من الشيعة، ويقولون: بأن من لا يدفع درهماً واحداً من الخمس مكانه جهنم، وأن من يتعامل بالخمس فإن تعامله يكون باطلاً.

ولئن كان ما يقوله هؤلاء الحمقى صحيحاً؛ فكيف كان الأئمة يأخذون ما وهبه علي بن أبي طالب؟

يتبين من ذلك بأن ما كان يوهب ليس هو الخمس؛ لأن الإمام الذي قال: إني حللت الخمس على الشيعة، كان نفسه يأخذ الخمس.

فيتضح إذاً أن ما كان يوهب لم يكن يشمل مرتباتهم، بل إن هذه الهبة كانت تخص الأموال التي تقع في أيدي المسلمين، ولم يتم دفع خمسها من قبل الآخرين.

فالنفط الذي يستولي عليه الأجانب؛ ينبغي على هؤلاء أن يدفعوا خمس ما يحصلون عليه من ذلك، لكنهم لم يفعلوا ذلك؛ ولذا فإن على من تقع هذه الثروة في يده أن يدفع هذا الخمس. فالقانون ينص على أن من لم يدفع الرسوم عن شيء فإننا

---

(١) يراجع كتاب (الوسائل).

ينبغي أن ندفع ذلك إذ ما آل ذلك الشيء إلينا.

والخلاصة أن أحداً أو إماماً لا يستطيع أن يبطل قانوناً، وأن الهبة ليست إبطالاً للقانون.

وبالطبع فإن هذه المسائل ينبغي أن يتم توضيحها في الفقه وأن يقوم العلماء بتحليلات علمية لهذه المسألة.

□ تفاهات وأباطيل أخرى:

ويشير الكاتب بعد ذلك إلى المشكلة الثانية في مسألة الخمس فيقول: «ثانياً: إن الهدف الأصلي من ذلك ليس هو أخذ المال، بل تأمين نفقات الدولة. وقد رأينا بأن إنفاق الخمس لن يجدي البلاد نفعاً، بل إنه عملية استجداء كبرى، فلو كان لكم ولد عاطل فإنكم ترفضون دفع نفقاته، فكيف بالآخرين إذاً؟ إن محمداً وعليًّا كيف يقبلان أن يدفع الآخرون المال لأولادهما بدون عوض . . ؟».

لقد تحدثنا عن إنفاق ضرائب البلدان الإسلامية، ولا سيما بالنسبة لمبلغ العشرين بالمائة الذي يسمى بالخمس المخصص للإنفاق من أجل مصلحة البلاد والجماهير.

لكن هذا الأمي يدعي ـ كذباً ـ بأن أمور البلد الإسلامي كانت على عهد النبي والخلفاء تدار بهذه الأموال؛ مع العلم بأن قانون الضرائب لم يكن ليطبق على عهد النبي والخلفاء بصورة تامة.

أما وصفه أخذ الخمس بأنه عملية استجداء، فإن ذلك مصدره الجهل.

لقد قلنا من قبل بأن الخمس ينبغي أن لا يدفع لـ(السادات) الأصحاء، أو لذوي اليسر المالي، بل يدفع للفقراء العاطلين، وبالقدر الذي يسد حاجاتهم. وهذا وازع لمحاربة الاستجداء دعاه الإسلام. ولو تم تطبيق مبدأ العشرين بالمائة فإن الاستجداء يزول من العالم.

والحكومة الإسلامية مكلفة بأن تدفع القادرين على العمل إلى أن يعملوا، وأن تتكفل هي بأمر العاجزين عن العمل ممن لا مورد لهم.

فهل هذا يزيد الاستجداء أم يقضي عليه؟ فإما أن تكونوا أنتم جاهلين بالقانون، أو أنكم تريدون ـ بلا حياء ـ إلصاق التهم الكاذبة بالمتدينين؟

أما قولكم بأنهم يدفعون المبالغ للآخرين باسم الدين؛ فإن كنتم تعنون بذلك الملالي أو طلبة العلم الدينية، فإن هؤلاء من موظفي الدولة الإسلامية ودائرة الإعلام، وتفسير القوانين قائم على أكتافهم، ولو كان لديهم مال يصرفونه فإنهم لا يحق لهم أن يأخذوا من مال المسلمين شيئاً، بل إنهم يقدمون الخدمة مجاناً، ويبدون أجر. أما إذا عانوا من نقص في المعاش، فلهم أن يأخذوا من صندوق المال. ومن لا يملك منهم شيئاً؛ فيجب أن يعطى له ما يعيش به، ليقدم لقاء ذلك الخدمة إلى الدين والبلاد.

والحكومة الإسلامية غير قائمة اليوم، والقوانين غير الإسلامية هي التي تطبق، ومع ذلك فإن خدمة هؤلاء للبلاد أكثر من خدمة الآخرين لها . . . فهم يحافظون على القانون، ويمثلون السلطة التنفيذية، وهم يديرون بصمت ثلثي أمور البلاد، وأنتم لا علم لكم بذلك. تظنون بأن جهاز شرطتكم بشكله الذي نعرفه جميعاً قد أوجد الاستقرار في البلاد.

أجل؛ إن ذلك ممكن نوعاً ما لو كانت إدارة الجهاز صحيحة، فالشرطي الذي يضعه الروحاني يرعى أرواح الناس وأموالهم، ولو قويت الدعاية الدينية وعرفت الدولة واجباتها فإن جهاز الشرطة لن يبقى فيه من يكون بحاجة إلى المادة أو تقل حاجته إليها على الأقل.

□ نظرة إلى الحياة الأوروبية المضطربة:

ويقول هذا الكاتب: «من المضحك أن يقال بأن الأوروبيين أخذوا عنا القوانين، فبلغوا هذه المرتبة، ويقال بأن العالم لو طبق ذلك لصار كذا وكذا. فأنا أستطيع أن

أنزوي في غرفتي وأبني في الخيال بلاداً واسعة فوق مياه المحيط الأطلسي، وأقيم فيها عمارات شاهقة، لكن هذه البلاد سرعان ما تزول بكلمتين اثنتين».

وأنا أقول أيضاً: إنه من المضحك، بل ومن العار، أن يقال بأن الأوربيين طبقوا القوانين الإسلامية فبلغوا هذه المرتبة. فهل يمكن اعتبار أوروبا التي يتمناها حفنة من الأغبياء ضمن البلدان المتحضرة؟

وما شأن أوربا الغارقة في الدماء ولا هدف لها سوى القتل والتدمير، وليس فيها غير الفوضى الضاربة أطنابها في كل مكان بقانون الإسلام؛ الذي هو أساس العدل والإنصاف؟

أوربا التي تسحق أبناءها بالدبابات، وتصرعهم بنيران المدفعية . . . هل يعتبر من فيها من الجنس البشري؟

إنكم تمتدحون أوربا التي تقذف بمئات آلاف الأطنان من القنابل على رؤوس أبنائها، وتستأصل جذور حياة النسوة المنكودات والأطفال الأبرياء.

أين القانون الإسلامي من أوربا؟

ما في أوربا ظلم وفتك الإسلام بريء منهما، ما فيها دكتاتورية واستبداد بعيدان عن العدالة.

وعلى البشر أن يحطموا بقبضتهم الحديدية هذه الأدمغة الفوضوية المخبولة حتى يعود الاستقرار إلى العالم . . .

لو كانت الحضارة الإسلامية قد سرت إلى أوربا لما حدثت فيها هذه الفتن والاضطرابات الوحشية التي يأباها حتى الوحوش.

أين تقف أوربا اليوم حتى نقول: إن قوانينها تدل على الحكمة والتعقل؟

الحياة في أوربا من أسوأ أنواع الحياة التي لا يمكن أن تنسجم مع أي قانون؛

لكنكم أنتم المساكين قد فقدتم توازنكم إزاءها، حتى نسيتم موازين العقل والحكمة، وأصبحتم تمتدحون كل ما يفعله الأوربي، وهذا هو أكبر خطأ ارتكبتموه.

أما قولكم بأن العالم لو طبق هذه التعاليم لأصبح كيت وكيت، فإنما يدل على غبائكم وانتقادكم للشيء دون رؤيته أو اختباره. أجل لو كانت قوانين الإسلام بالشكل الذي تحدثتم عنه فإنها تغلو مثل نقوش فوق سطح الماء. لكن تصوراتكم الجوفاء تشبه تماماً تلك القصور المشيدة فوق سطح مياه الأطلسي.

إن قوانين الإسـلام تختلف كثيراً عما تخيلتموه، لقد عرفتم شيئاً عن قوانين الإسلام المالية وعن نظمه، ولو اطلعتم على جوانبها الحقوقية والجزائية لتوضحت تلكم الأمور جيداً، وستتحدث في الحقل الخاص بالقانون عن ذلك قليلاً، حتى لا يتصور الأغبياء ذلك مثل خطوط فوق صفحة ماء.

عبر عدة قرون طبقت البلدان الإسلامية الكبرى جوانب من القوانين الإسلامية، فكانت أحسن البلدان، وقدمت للعالم أحسن الحضارات.

يجدر بكم أن تطلعوا على كتاب جوستاف لوبون ـ مع ما فيه من نقائص ـ حتى تدركوا أبعاد الحضارة الإسلامية. إن هذا الكتاب لا يرى من الحضارة الإسلامية سوى الأقواس المزيفة والأواني المنقوشة والعمارات الشاهقة والستائر الثمينة.. مع أن هذه الأمور وسواها هي جزء من الحضارة الإسلامية.

□ أقوال غير عقلانية أخرى:

ويقـول الكاتب: «لو كانت هذه التعاليم عملية لكان من الجدير أن تطبق في مواقعكم أولاً؛ في إيران كان ثمة ملوك كثيرون ممن يعملون بتوجيه من العلماء، فلماذا لم يلتقط هؤلاء هذه الجواهر الغالية التي وقعت في أيدي الآخرين؟ واليوم؛ قولوا لقادتنا وزعمائنا وكتابنا المؤيدين للدين أن يطبقوا هذا المبدأ الهام في الدين حتى يكون تسلم المال أكثر يسراً، وحتى يتخلص الناس من أموال الدولة الحرام».

هذا الأحمق لا يتخلى عن تفاهاته ومغالطاته، ولا يعرف أن عدم تطبيق القانون يكون على نحوين:

أحدهما: أن يصطدم القانون عند تطبيقه ببعض العقبات، وهذا النوع ليس سوى قانون خيالي.

والآخر: أن لا يصطدم تطبيق القانون بأية عقبة، إلا أن الناس يحجمون عن تطبيقه لأسباب معينة، وهذا لا يعتبر انتقاصاً للقانون، فجميع البشر متفقون على أن الخيانة والتفسخ الخلقي والظلم أمور مدانة، وأن الأمانة وعفة النفس والعدالة أمور مقبولة، لكنهم هم أنفسهم لا يطبقون ذلك. فهل يمكن أن يقال بأن الخيانة والتفسخ والظلم هي من الأمور المقبولة لكونها لا تطبق؟ أم أن يقال بأن البشر إن أصبحوا خونة وظالمين فإن ذلك أمر سيء وأن العدل والأمانة من الأمور الحسنة المقبولة..؟

علينا أن ننظر إلى القانون، ونميز الجيد من السيء، أما التطبيق فهو مرحلة أخرى.

إننا عندما ننظر إلى القوانين الحقوقية والجزائية والجنائية وطراز تشكيل الحكومة وإلى القوانين المالية والاقتصادية للإسلام؛ سنجد أن جميعها مطابقة للعقل والحكمة.

وقانون القصاص والدِيَة وحده إذا ما طبق لسنة واحدة فإن أي أثر لن يبقى للظلم واللصوصية والتفسخ الخلقي.

من يريد القضاء على اللصوصية عليه أن يقطع يد اللص، وإلا فإن سجونكم هي التي تشجع اللص واللصوصية.

إن حياة البشر ينبغي أن تضمن عن طريق القصاص: ﴿ولكُم في القِصاصِ حياةٌ﴾، وإلا فإن السجن لعدة أعوام لا يجدي نفعاً.

لو تم ضرب الزاني والزانية بالسياط لما شاعت الأمراض التناسلية.

وإجراءاتكم كلها لا تستند إلى قوانين الحكمة، فقطع يد الخائن له دخل في

إصلاح روحه وإصلاح البلاد أيضاً . .

تقـولـون : إن ذلك أمر غير إنساني . لكنكم لا تعتبرون قتل مئات الآلاف من الأشخـاص، وحرق المـدن عمـلاً غير إنساني . يبدو أنكم أضعتم الحكمة؛ إنكم تعتبرون قتل القاتل خسارة للعالم، ولا ترون بأن ضرب المدن بالقنابل المحرقة وإبادة سكانها خسارة في السكان .

أما قولكم بأن ملوكاً كثيرين كانوا يعملون بتوجيه من علماء الدين؛ فيدل على جهلكم بالتاريخ ؛ لأن ذلك كان أمراً صورياً ؛ إذ إنهم لم يكونوا ليلتزموا بتلك التوجيهات وبقوانين الإسلام، ومع ذلك فإن القوانين التي تم تطبيقها آنذاك بشكل منتقص، مثل قانون القضاء وسواه، أفضل بكثير من قوانين العدل المجحفة التي تطبق اليوم في بلادنا .

ويقـول هذا الكاتب بعد ذلك: «هم يقولون بأن الناس لو وجدوا حكومة وطنية مخلصة فإنهم سيساندونها ويبادرون إلى دفع ما عليهم من أموال الوقف والنذر والوصية . إن من له تربية حسنة يمكن أن يلتزم بذلك، ولكن لا ينتظر ممن لا يتمسك بالدين أن يلتزم به، كما أنه لا يمكننا أن ننتظر التضحية من أجل الوطن ممن يترك جاره يبيت جائعاً» .

صحيح بأن من تربى تربية قوية يؤدي أعمـالاً مفيدة للبـلاد وللجماهير، ولكن المسألة هي : هل التربية الدينية كفيلة بالنشأة والتربية الصحيحة أم سبل التربية الأخرى التي نشهدها اليوم؟

نعـرف جميعـاً أن أسـاس التـربية الدينية هو دفع الناس إلى الفضيلة الروحية والمعنوية، وجعل أفكارهم تتجاوز أبعاد العالم المادي؛ لتمتد إلى الأبعاد اللامتناهية للعالم الغيبي النوراني .

إن أساس التربية المادية المعاصرة هي حصر الحياة بهذا العالم الظاهري، ومن

تربى على ذلك لا يستطيع أن يرى غير هذا العالم، بل ويريده لنفسه، ويفتدي نفسه بجميع البشر، وإن قال بأنه يخدم البلاد والجماهير؛ فإنه إما مخادع، أو يفعل ذلك من أجل مصالحه الشخصية؛ لأن هذا التركيب من التربية قائم على النفع، وإن هذا الشخص لا يمكن أن يضحي بمصلحته للآخرين.

لكن الذي نشأ على الدين لا يرى الحياة منحصرة بهذا العالم، بل هو يتطلع إلى عالم أسمى وأرحب، ويضحي بمصالحه الخاصة من أجل مصالح أكبر، هذا الشخص؛ عندما يسمع أن الله يقول في قرآنه أن من يخدم ـ من أجل الله ـ الناس والوطن مثله مثل من يزرع حبة ويجني سبع مئة حبة، والله يضاعف لمن يشاء. فيوجد فيه حب خدمة الناس والبلاد.

أجل إن ذلك الدين الذي أوجدتموه أنتم، وعرضتموه على الناس، هو من ذلك النوع الذي تتحدثون عنه. إن الدين الذي يبتعد عن التعاليم الدينية ليس هو بالدين.

وليرجع القراء إلى كتاب «الوسائل» ويطلعوا على الفصول الخاصة بالزكاة والصدقات والمعروف والجهاد، حيث لا توجد تعليمات أفضل منها في مجال التربية الأخلاقية. فهل من تربى على ذلك يؤمن بغير خدمة البلاد والجماهير؟

عندما مرت الجماهير الفقيرة ـ في السنة الماضية ـ بظروف صعبة . . . مَن الذي قدم طعامه للآخرين وحرم نفسه منه؟ ثم من الذي هبَّ لمساعدة الجماهير الجائعة بعد ذلك؟ هل الذين فعلوا ذلك كانوا من أولئك الذين يتوجهون إلى كربلاء جماعات جماعات أم من الذين يترددون على دور السينما والمسارح؟

وعندما اجتاحت السيول مدينة قم، وتشرد آلاف الأشخاص، فمن الذي هب بهمة ورجولة وبإحساس ديني وشيد البيوت لهؤلاء وأنقذهم من التشرد؟ لقد تم ذلك بهمة المرحوم الشيخ عبد الكريم وبمساعدة مجموعته.

□ أراجيف أخرى:

يقول: «ولقد أوجد الله حب الخير في الإنسان، فإذا ما استخدم ذلك في أمور تافهة، رضي به، مثل الذي يرضي رغباته الجنسية بطرق غير مشروعة، فيتصرف عن الطرق الشرعية. ومن هنا نجد في إيران ثمة أموالاً كثيرة تصرف باسم النذر والوقف والوصاية، ولكن قليلاً من تلك الأموال يصرف من أجل شؤون الناس».

إننا نطالب بأن تُعمل دائرة للدعاية الدينية بموجب ما أمر به الدين حتى لا يتبدد الحس بالخير في أمور غير مجدية. ولكن ما هي هذه الأمور غير المجدية؟ هل هي الالتزام بالدين؟

إذا كان النذر والوقف والوصية من الأمور غير المجدية، فلماذا إذاً أمر الله في القرآن، والرسول في أحاديثه بالالتزام بذلك، فقد جاء في الآية [٣٠] من سورة الحج:

﴿ثمَّ لْيَقْضوا تَفَثَهم ولْيوفوا نُذورَهُم﴾.

ويقول في مدح من يوفي بنذره في الآية [٧] من سورة الدهر:

﴿يوفونَ بالنَّذْرِ ويخافونَ يوماً كانَ شرُّهُ مُسْتَطيراً﴾.

وقد أوصى الإسلام كذلك بالعمل بالوصية بالاتفاق، فقدم بذلك كل خدمة للبلاد وللجماهير؛ إن جميع هذه المدارس والكليات الدينية قد تم تأسيسها من النذور والأوقاف ومن أموال الوصيات.

ومجالس التعزية التي تستهينون بها هي الأخرى قدمت خدمات كبيرة؛ فالخطب والأحاديث الأخلاقية التي تلقى فيها هي التي تنمي في النفوس حب الخير، وتحمل الجماهير على الاتجاه نحو المسائل الروحية والإعراض عن المفاسد الخلقية.

قارنوا بين هذه المجالس وبين مجالس السينما الخلقية التي تقيمونها في هذه البلاد؛ حتى يتوضح أيهما التافه.

لو راجعت دائرة الدعاية الإسلامية لرأيتم ما تقدّمه النذور والأوقاف والتوصيات ومجالس التعزية من خدمات للبلاد وللجماهير.

إنكم تقولون بأن التكايا والمدارس والقبب والمراقد تبنى وتشيد من الأوقاف، ولا يشيد بها مستشفى أو دار للعجزة أو للأيتام.

إن المسؤول عن إقامة مثل هذه المؤسسات هو الدولة، وقد قامت ببناء بعض منها، ومع ذلك فإن معظم أمثال هذه المؤسسات المقامة في المدن الإيرانية هي من صنع المتدينين ومشيدة باسم الدين . . . وإن أولئك الفاسدين لم يكن لهم ضلع في ذلك؛ إذ إن أعمالهم الخيرة تتمثل في مساعدة مؤسسات اللهو والتمثيل ودور السينما التي تبدد الأموال والأخلاق وتبدل الفضيلة بالرذيلة.

□ نظرة إلى طب اليونان:

ويقول هذا الكتاب: «في بلد يملك جامعة مثل جامعة (جندي شابور) كان تلامذته أطباء الملوك . . . يتولى التدريس فيها أساتذة يهود أو من يعدونهم أنفسهم أفذاذاً».

إن أساتذة (جندي شابور) كانوا من أطباء الروم واليونان، وهم الذين علموا الطلاب الإيرانيين الطب اليوناني، وأشاعوه في البلاد، فمن الذي استأصل من العالم هذا الطب الذي كان فيه العلاج لجميع أنواع الأمراض بأحسن السبل، وأسهلها، وبشكل أفضل مما يتم اليوم في أوروبا؟ . . .

إننا نعلم أن الطب الأوروبي قد انتقل إلى إيران في القرن الأخير، وأدى بعض الخدمات إلى الجماهير، لكن الإيرانيين، ولا سيما المسؤولين، استسلموا لكل ما هو أوروبي، فحاربوا هم أنفسهم الطب اليوناني، بل إنهم قاوموا بقاياه الموجودة هنا وهناك، وقضوا عليه تماماً.

وقد فطن كبار الأطباء اليوم إلى أن علاج بعض الأمراض كالتيفوئيد والتيفوس

يتطلب الاستعانة بالطب اليوناني، وأن الطب الأوروبي لا يستطيع أن يفعل شيئاً في هذا الشأن.

وليس في إيران؛ التي كانت توجد فيها جامعة مثل جامعة: (جندي شابور) شخص يستطيع أن يتفهم «قانون» ابن سينا، وهذه ضربة موجهة إلى البلاد، بسبب هؤلاء المسؤولين الحمقى.

إن جميع الأمور أصبحت في بلادنا متشابهة، ولن يتم إصلاح الأمور ما لم تتوفر الشجاعة لدى كتابنا، فلو تجرأ أحد اليوم، وانتقد الحياة الغربية، فإنه يتعرض للأذى، ولا سيما من قبل المثقفين، وعلى الكتاب أن يتيقظوا وأن لا يخشوا هؤلاء الحمقى، وأن يقولوا ما ينبغي أن يقال.

لقد سمع الجميع بأن الشاه الحالي أصيب على عهد أبيه بالتيفوئيد، وعندما يئس كبار الأطباء من معالجته، قام طبيب الطالقاني بمعالجته بالطب القديم، وكان على رضا أن يفطن آنذاك إلى وضع الطب عندنا، لكنه وبقية المسؤولين كانوا يحرصون أن يتم اتخاذ كل شيء من أوروبا.

يعرف الجميع أن الأوروبيين ليس لهم تخصص في الكسور، بل إنهم كثيراً ما كانوا يقطعون العضو المصاب، فيما كان الإيرانيون يربطون العضو المكسور بشكل يجعله كما كان قبل إصابته.

□ أقوال مضطربة:

ويورد الكاتب أقوالاً مضطربة، فيقول: «الطريق الوحيد الذي لا يتعارض مع أي قانون أو معتقد هو أن يتم إيقاف صرف عائدات الموقوفات التي تُنفَق من أجل إقامة مجالس التعزية، وأن يتم صرف تلك الأموال بإشراف رئيس روحاني ومؤسسة غير حكومية، ولأغراض الروحانية نفسها، فيتم بذلك تقديم أكبر خدمة للدين وللأمور الحياتية».

إنه يحدد الصرف لصالح الروحاني ، ولا يعد ذلك مخالفاً للقانون ، وقد أثبتنا من قبل بأن أحداً لا يستطيع أن يتصرف بملك بدون موافقة صاحبه . وكان هذا هو من إحدى الأعمال السيئة التي أقدم عليها رضا خان .

أما بالنسبة لأمور الثقافة ؛ فمع كل ما ينفق في هذا السبيل ، فإن ذلك يعود بنتائج معكوسة ، حيث إن دوائرنا الثقافية مركز لفساد الأخلاق ، وللكوارث ، ودوائرنا الصحية لا تشفي علل المعوزين والفقراء ، فكل ما يتم عمله هو إقامة المباني الفخمة ، وزرع الورود الجميلة ؛ فيما يسلم المرضى المعوزون أرواحهم في الطرقات والمساجد .

وفي كل عام تصرف في هذه الوزارة ملايين التومانات بدون جدوى ، والكتاب لا يكتبون عن ذلك شيئاً ، وإذا ما وجد بينهم من يريد أن يكتب ، فإنه لا يملك الجرأة على ذلك .

ومن الأمور التي تحتاج إلى الإصلاح في يومنا هذا . . . هي الصحف والمجلات ، التي يمكن وصفها بأنها غدت مراكزاً لنشر الفساد والمنكر ، فليس هناك اليوم ما هو أكثر لنشر الفسق والفجور من هذه الوريقات المخجلة .

إن هذه الوريقات التافهة تعود بالأضرار الكبيرة على البلاد وعلى الجماهير ؛ لأنها تخنق عند الفرد الإحساس بالنبل ، وتبعث فيه روح المجون والخيانة ، وعلى الذين لم يمت فيهم بعد حبهم لوطنهم ، وإحساسهم بالشرف ، أن يحرقوا هذه الوريقات ، حتى يعود الكتاب إلى رشدهم .

من هم أولو الأمر؟

ويستخلص الكاتب من كتاباته ما يلي :

والخلاصة أن الإنسان المسلم بحاجة إلى من يدير أموره ، وهذا ليس من حق أي أحد ؛ إذ إن الحكومة تتولى ذلك ، والشخص الوحيد الذي يستطيع أن يفعل ذلك هو الذي يستطيع أن يقوم بذلك بشكل أفضل من سواه ، فإن أوفى ذلك حقه فهو من أولي

الأمر، وطاعته أمر واجب، وإلا فيجب تنحيته واستبداله بمن هو أكفأ».

إننا أوضحنا في الحديث عن الإمامة، معنى (أولي الأمر)، وقلنا من هم هؤلاء، ونقول هنا: لو أدوا واجباتهم فإن طاعتهم أمر لازم، حيث إن القرآن قد قال: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمرِ منكُم﴾.

ولكن؛ هناك أولو أمر من أنماط رضا خان، ومصطفى كمال، وهؤلاء إن قالوا أمراً يخالف ما قاله الله ورسوله فإن علينا طاعة الله والرسول، لأننا إن أطعناهم فإننا نخالف أوامر الله، ولقد سلمنا بأن من يخالف أقوال الله لا يليق أن يكون من بين أولي الأمر، لأن أولي الأمر لا يخالفون أمراً للإله ولرسوله.

إذاً، فإن أحد أولي الأمر هو ذلك الذي أمسك الرسول ـ أمام سبعين ألف شخص ـ بساعده وقدمه للحاضرين، وهو كذلك ذلك الغائب الآن عن الأنظار، وبيده أمور اليوم[1]، وقد تحدثنا عن ذلك إلى حد ما في الفصل الخامس.

ثم إن هذا الأحمق يعد بيع الأوقاف من الواجبات، فيقول: «إن أحسن ما فعله رضا خان هو قيامه ببيع الأملاك الموقوفة».

□ أباطيل حول الزكاة . . . أيضاً:

ويقوم الكاتب بتفسير آية الزكاة، فيقول: «في زمن ما كان الناس يعطون التمور والبعران كضرائب، واليوم عليهم أن يعطوا المعامل والآلات، والقرآن الذي أمر بالزكاة لم يقل عن أي شيء تؤخذ الزكاة».

لقد وقع المسكين ـ عبر سطرين ـ في عدة أخطاء، فقد تصور أن الإسلام لم يفرض الضريبة على المعمل والآلة؛ مع أن الضريبة عليها هي عشرون بالمئة؛ فيما لا

---

(١) هكذا يخلع الخميني على الوهم والخيال رداء الألوهية . . . إن الذي بيده مقاليد الأمور في كل زمان هو الله؛ ﴿فسُبْحانَ الذي بيدِهِ ملكوتُ كلِّ شيءٍ وإليهِ تُرْجَعونَ﴾ [يس: ٨٣].

تتجاوز الزكاة العشرة بالمئة . . .

إذاً؛ فالإسلام حدد الضريبة على كل ما وجد ويوجد وسيوجد في العالم، لكن هؤلاء يجهلون قوانين الإسلام، وينسبون إلى الله ما لا ينبغي أن ينسب إلى طفل صغير، فيقولون: إن الله أمر بالزكاة، لكنه لم يقل عن أي شيء يجب أن تؤخذ.

فيالهؤلاء الذين يتحدثون مثل هذا الحديث عن إله عادل، ومن هنا يتضح بأنه لا يمكن تفسير قانون الإله تفسيراً عشوائيًّا، وقد جعل الإسلام لمن يفعل ذلك جزاءً.

وقد فرض النبي الزكاة على تسعة أشياء، وقد عين للمعمل والآلة ضريبة أخرى.

ويقول في ختام كلامه: «والتاجر الذي لا يدفع الضريبة، والموظف الذي يخون، والجندي الذي يتهرب، يكون مسؤولاً أمام الله».

كما أن موظفي الدولة تقع على عواتقهم مثل هذه المسؤولية إذا تنصل الناس من دفع الضرائب، كما أن على هؤلاء أن يتجنبوا الخيانة؛ فالخيانة في الإسلام أمر محرم؛ لكنه في بيئة ينظر فيها إلى الأمانة باستهزاء، وتعتبر الخيانة مفخرة، فإن الموظف المسكين الذي يجد نفسه محاطاً بالخونة . . . يفقد أمانته مهما كانت درجة هذه الأمانة.

والجندي الذي يعيش وسط أوضاع مؤسفة، تحيط بالثكنات، ليس له بد من التنصل من واجباته.

إذاً؛ فإن كل شيء في هذه البلاد ينبغي أن يتبدل، وإلا فينبغي أن نقرأ عليها الفاتحة.

☐ نصائح حمقاء:

وفي ختام حديثه يقول: «أيها الجندي! إنك لو أرقت قطرة واحدة من دماء العدو فذلك أفضل من أن تملأ الأحواض بدموعك، وأنت يا أيها الحارس! لو أمضيت ليلة

في حراسة المواطنين، فإن ذلك أفضل من أن تمضي الليالي وأنت تحرك شفتيك بالتسبيح».

الإسلام والقرآن هما اللذان يدعوان إلى التضحية من أجل استقلال البلاد وحراسة الناس، وهما يكرمان الشهداء من أجل الإله في ساحات الحرب، ويقولان: لا تحسبوا الذين قتلوا أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. والإسلام لن ينسى الذين ضحوا من أجله، بل يذكر بالإكبار أسماء الذين استشهدوا على طريق التحرر.

أنتم تخطئون إذ تتصورون بأنكم قادرون بنصائحكم الجوفاء هذه أن تخدعوا الجندي والشرطي، إن ما يحمل الجندي على التضحية في الجبهات . . . إنما هو الإيمان.

ولئن أمضى الحارس ليلة وهو يرى الله إلى جانبه، وأوصل الليل بالنهار وهو يلهج بذكر الله . . . فإن ذلك نابع من أمانته.

وما الذي يبعث الشجاعة وحب التضحية إلى قلب الجندي وهو يواجه خطر الموت غير الإيمان بالحياة الدائمة والنعم الخالدة؟

ما الذي يحرس قلب الحارس في حلكة الليل، ويمنعه من أن يكون شريك اللص غير ذكر الله والثقة بمكافأة الدولة؟

لو حلت الدعاية الدينية محل هذه الأغاني التي تثير الغرائز لدى الجندي، ولو اختلط الجنود وأفراد الشرطة بالمتدينين، ولو حلت موجات الفضيلة والنصائح الدينية محل هذه الموجات الإذاعية المفسدة للأخلاق لما آل وضع البلاد إلى ما هو عليه الآن.

إن الجنود المكلفين بحماية استقلال البلاد، وأفراد الشرطة المكلفين بالحفاظ على أمن البلاد، هم أكثر حاجة من الآخرين إلى الروحاني، وإلى الرياضة الروحية. والمؤسف أن كتابنا يغطون في النوم، وحكامنا يغطون في نوم أعمق.

وفي ختام هذا الفصل، نطلب من الله أن يوقظهم وأن يبعث فيهم محبة الوطن.

الحديث الخامس

القانــــــون

■ السؤال التاسع والإجابة عليه:

هل يحق للبشر أن يضع لنفسه قانوناً أم لا . . . ؟ إن كان له مثل هذا الحق فهل طاعة هذا القانون واجبة؟ وفي حالة وجوب ذلك فما جزاء من لا يلتزم بذلك؟

أجبنا على هذا السؤال في الإجابة على السؤال الخامس، ونضيف هنا بأنه إن كان المقصود هو قيام عدة أفراد بوضع قانون من عندهم، ومن ثم فرضه على الناس، ومعاقبة من لا يلتزم به ـ كما هو الحال بالنسبة لقوانين بلدان العالم ـ فهذا مخالف لأحكام العقل والحكمة. فليس هناك قانون يضعه عدة أشخاص، ثم يتحتم على الآخرين طاعته، وإلا فإنهم يعدون مجرمين.

خير لكم أن تتخلوا عن مظاهر الجهل التي تسود العالم تحت أسماء: المشروطة (الدستورية)، والديموقراطية، والشيوعية، والاشتراكية.

عودوا إلى العقل المجرد من النزعات، وانظروا؛ تجدوا الإنسان لا يريد أكثر من التصرف في حدود إمكاناته المالية، والعيش بما حصل عليه بالطرق المشروعة.

إذا ما قام عدد من المتعلمين ووضعوا قانوناً، وارتأوا فيه أن يبدلوا النظام الملكي بنظام جمهوري، وفرضوا على الناس دفع مبالغ معينة لإقامة مؤسسة للكهرباء، فهل ترى الدولة ضرورة تنفيذ ما يرتئيه هؤلاء أم لا تعيره اهتماماً وإن أصروا على ذلك تعدُّهم مجرمين وتحيلهم إلى المحاكم؟

وباختصار؛ إن البشر ليس لهم مثل هذا الحق، وإن أي قانون يضعونه إنما هو سواد على بياض. وبالاستناد إلى العقل؛ فإن أحكام شخص ما غير ملزمة بالنسبة لأي شخص آخر، فيما عدا حكم رب العالمين؛ فحيث إن العالم من صنعه، وملك له، فإن حكمه نافذ، وطاعته أمر واجب.

والعقل لا يعطي لأحد الحق في أن يتحكم بأموال الآخرين وأحوالهم، حتى إن كان ذلك في صالحهم، اللهم إلا في أحوال نادرة.

انظروا إلى الحكومات التي تشكلت منذ وجود البشر حتى اليوم؛ حيث ظهرت حكومات كبرى بأسماء مختلفة . . . فهل ترون غير مجموعات استعانت بالقوة والسلاح لتجعل الفئات الأدنى فداءً لمصالحها ورغباتها، وتخدع الجماهير، وتضللهم باسم الوطن، وبحجة الاستقلال، واحترام القانون؛ مع أنها أبعد الناس عن الوطن والاستقلال والقانون؟

انظروا إلى الفضائح التي تُرتكب في هذا البلد من أجل الوصول إلى الوزارة أو النيابة، وإلى ما يقومون به من دسائس ومخالفات للقانون.

إن جميع قوانين العالم ما هي إلا أحابيل أوجدها الإنسان لكي يحقق الفائدة لنفسه، وذلك عن طريق فرض تلك القوانين على الآخرين. وفي هذا المجال؛ كل من كانت أحابيله أكثر فإن الأسماء التي يتخفى تحتها تكون أكثر خداعاً، ولا فرق بين النظام الدستوري (مشروطة)، والاستبدادي، والدكتاتوري، والديموقراطي؛ إلا في الألفاظ الخادعة والتحايلات القانونية.

فالشيوعي هو كالديكتاتوري ولا فرق فيما بينهما إلا في الاسم؛ ففي كلا الجانبين يوجد كادح وغارق في الشهوات، وحزب كادح وفئة متحكمة تمتص الدماء وتعيش في قصور شاهقة وتستقل مركبات فارهة. فهل يمكن القول بأن البشر يحق له سن القانون وفرضه على الآخرين؟

المشـرع ينبغي أن يكون منزهاً عن الشهوات، والهوى النفسي، والجور، وأن تكون الشبهات بعيدة عنه؛ ومثل هذا المشرع لن يكون غير الإله العادل، ولا يمكن أن يكون أحداً سواه.

ومن هنا؛ فإن العلماء المتدينين يعدون الدين قانوناً إلهياً أكبر، جاء لإدارة أمور البلدان في العالم، وتحريك عجلة الحياة، ومن يتمسك به ينال سعادة الدنيا والآخرة.

☐ كتيب تافه:

ويقول: «الدين يقول: إن القانون الرسمي الذي ينبغي أن يطاع هو النابع من الشرع، أما القوانين الأخرى فهي كيفية وبدعية. ولو دققتم في ذلك لوضحتم يدكم على مصدر كبير لتعاسة هذا البلد».

لقد أثبتنا في الإجابة على السؤالين الخامس والتاسع أن أي قانون غير القانون الإلهي لا يمكن أن يكون رسميًّا، وفي الإجابة على السؤال الخامس أوردنا آيات قرآنية تؤيد أقوالنا.

ولا يخفى على أحد أن الدين الإسلامي قد أبطل جميع القوانين النابعـة من أدمغة موبوءة، ولا يعد أيًّا منها قانوناً مشروعاً.

وقد أرسل رب العالمين الإسلام، وأنزله ـ إلى الأبد ـ على البشر، ولدينا من القرآن إثباتات على ذلك سنذكر بعضها ـ بحكم الضرورة ـ في الإجابة على السؤال العاشر.

أمـا إشـارتـه إلى أن ذلـك هو المصدر الكبير للتعاسة، فإنما تدل على جهله وحماقته. فهل العمل بقانون رب العالمين القائم على العدل والصدق هو مدعاة لتعاسة البلاد؛ فيما يكون العمل بقوانين بالية نابعة من أدمغة أجنبية مسمومة هو مصدر للسعادة؟

هل العمل بأوامر الله ورسوله هو مصدر للتعاسة، والعمل وفق أقوال ثلة من النواب الذين يستغلون الكرسي لأغراض غير مشروعة هو مصدر للسعادة؟

□ تفاهات ومشاغبات:

هذا الكاتب الجاهل بقوانين الإسلام، والذي لمسنم مدى ضحالة معلوماته من خلال كتيبه التافه . . . يقول: «من المؤكد أن قوانين الشرع مهما كانت شاملة وكاملة فإنها غير قادرة على تأمين احتياجات البشر في كل زمان ومكان. فنحن اليوم بحاجة إلى قوانين كثيرة؛ مثل: قانون التسجيل العقاري، والبنوك، وقوانين العدل، والمحاسبات، والميزانية، والجمارك، ومئات من القوانين الأخرى التي لم ترد في الشرع».

تبًا لكم، هل قصدكم أن قانون الشرع مهما كان متكاملاً فإنه لا يفي باحتياجات البشر، وأن الله لا يستطيع الإحاطة باحتياجات الأفراد وأحوالهم بالنظر لاتساع رقعة العالم وازدياد عدد البشر، وأن عليه أن يضع قانوناً جامعاً آخر يفي باحتياجات الجميع . . . ؟ طوبى لهذا النوع من المعرفة برب العالمين.

إننا نعرف أن الإله يدير هذا العالم المترامي الأطراف، ويسيطر على ملايين الملايين من المنظومات الشمسية، وأنه لا يغفل عن ذرة واحدة من ذرات العوالم الشاسعة، الظاهرة منها والخفية، وأنه عليم باحتياجات أي مخلوق، وقادر على تأمينها.

إن إلهاً لا يعلم باحتياجات حفنة من البشر في هذه المنظومة الشمسية، ولا يستطيع أن يضع قانوناً صميماً لتلبية احتياجاته لا يمكن أن يكون إلهاً.

إنكم تستصغرون الإله، فتشككون بقوانينه، وتظنون بأنه غير عليم بقوانين التسجيل والجمارك، وأن علمه لم يصل إلى الحد الذي يجعله يعمل على إيجاد قانون للجمارك.

وعلينا أن نلقي الآن نظرة على القوانين المذكورة لنرى ما الذي اتخذه الله بشأنها.

□ نظرة عامة إلى قوانين البلاد:

القوانين التي يقول عنها الكاتب بأن البلاد بحاجة إليها، ولا وجود لها في الشرع . . . على نوعين.

أحدهما: مخالف للشرع، مثل: قانون الضريبة على المومسات والمسكرات وما شابه ذلك، ومثل هذه القوانين مسيئة إلى البلاد والجماهير، بل وتضر بمصلحة البلاد، ولو عددنا ذلك لعرفتم مدى الأضرار التي تعود بها مثل هذه القوانين على البلدان الإسلامية. ومثل ذلك قوانين القضاء، والمحاكم، والمعاملات غير المشروعة، وقانون الزواج، وما إلى ذلك.

انظروا إلى قانون الزواج مثلاً، تجدونه يمنع الشاب عند بلوغه سن الرشد من الزواج لمدة ثلاث سنوات، مخالفاً بذلك سنة الطبيعة[1]، فيساعد بذلك على تفشي البغاء والفساد الخلقي.

إن البلوغ الشرعي مطابق للبلوغ الطبيعي، والقوانين الطبيعية لا تقبل التغيير، ومخالفة ذلك يساعد على إشاعة المنكر وتفشي الأمراض التناسلية المختلفة؛ ولا سيما أن اختلاط الشباب الفائر بالشابات المثيرات المتبرجات ذوات الزنود والسيقان العارية والاستماع إلى الموسيقى المحركة للغرائز، وكذلك تهاون الأساتذة في أمور التربية والتوجيه، وسعي الدولة على تحريك عجلة الفساد، ومنع الشباب من الزواج الشرعي ... هذه الأمور تجعل البلاد غارقة في أنواع من الفساد، والتطلع إلى إصلاح أمر مثل هذه البلاد ليس جهلاً، والأمل في إشاعة موازين العفة والشهامة والشجاعة بين الشباب ليس أمراً باطلاً ...

ومن القوانين الأخرى التي تحتاج إليها البلاد ... تلك التي لا تتنافى وقوانين الشرع، ولها اليوم دخل في تنظيم أمور البلاد وتقدمها، مثل هذه القوانين يمكن

---

(١) القوانين تعد الثامنة عشرة سن البلوغ، فيما يحدد رجال الدين - في قوانينهم - الخامسة عشرة لذلك، ويجيزون فيها الزواج أيضاً. (المترجم).

قلت: سن البلوغ يتأثر بالمناخ، وهذا أمر مشاهد في العالم، والإسلام يعد الاحتلام بالنسبة للذكور، والحيض للإناث، هو سن البلوغ، وهو سن التكليف الشرعي، أما تحديده بسنين فهو تعسف، والمفتونون بأوروبا وأمريكا يأبون إلا التقليد في جميع مناحي الحياة. (المعلق).

تحديدها بواسطة خبراء في أمور الدين، وبالشكل الذي يتطابق مع القوانين الإسلامية.

فلو كانت هناك أية حاجة إلى قوانين لا تتعارض مع قوانين الإسلام، وتأيد ذلك من قبل خبراء دينيين، فإنه لا مانع من سنها وتنفيذها، كما ورد ذلك في الآية [٦٢] من سورة الأنفال.

أما فيما يخص قانون التسجيل العقاري والبنوك، فإنه ذلك القانون إن لم يكن متعارضاً مع قانون الإسلام، ولا يضر بتقدم البلاد، فإن الدولة تستطيع تطبيقه، حتى وإن لم يرد ذكر ذلك في القوانين الإسلامية، ولا سيما أنه في صدر الإسلام لم تكن ثمة حاجة للبنوك ودوائر التسجيل العقاري، وإحصاء النفوس.

كما أن الأمور المتعلقة بالجيش تختلف عما هي عليه اليوم، ولم يكن هناك وجود لوزارة البريد والبرق؛ إلا أن الإسلام لم يمنع دون تأسيس هذه الدوائر والمؤسسات، وعلى خبراء الدين أن يوافقوا على قيام أية واحدة منها فيما إذا لم تكن مخالفة للقوانين الإسلامية.

كما أن معدات الجيش ينبغي أن تهيأ بالشكل الذي يتفق ومصلحة البلاد، فالإسلام لا يعارض أبداً مثل هذه الأمور، ولا يعارض أي تقدم سياسي أو اجتماعي.

□ قانون التسجيل في الإسلام:

إن قانون التسجيل الذي يطلق الآن يعد من أكبر المآسي في بلد ليس له قانون عدلي صحيح. إن قانون العدل في الإسلام الذي سنتحدث عنه فيما بعد، قد تم وضعه بحيث لم يكن هناك حاجة لوجود قانون للتسجيل العقاري، ومع ذلك فإن قانون الإسلام قد وضع لذلك ثمة قانوناً يلبي احتياجات ذلك العهد.

وفي الآية [٢٨٢] من سورة البقرة؛ وهي أطول آيات القرآن[١]، مقررات بهذا

---

(١) هي آية الدين.

الشأن، ولكن هؤلاء المشاغبين لم يلتفتوا إليها، فلجؤوا إلى هذه الأحابيل والخيانات.

إن قانون البنوك هو فرع من قانون المعاملات التي وضعت لها في الإسلام آلاف القوانين، لكن هؤلاء الحمقى لا يعرفون شيئاً من ذلك.

إن قانون المعاملات في الإسلام ينظر في مصلحة البلاد والجماهير، ولا يعترف بالمعاملات الشخصية التي تتعارض مع هذه المصلحة، ويمنع التعامل بالمسكرات، وبالاتفاقات التي تؤدي إلى الخسارة والربح، كما يمنع إنفاق المال من أجل ارتياد الملاهي، ودور الرقص، والسينما؛ على أساس أنها مصادر لإفساد الجماهير.

إن القوانين الإسلامية قد عالجت الجوانب الاجتماعية والأخلاقية بشكل كاف، لكن حفنة من الوقحين يتعمدون توجيه مختلف الاتهامات، ولا يتورعون عن أي شيء، ويعادون رب العالمين وقانونه الأكبر. أليست هذه خيانة للثقافة؟ أليس هذا عبث بمصالح البلاد والجماهير؟

□ قانون المحاكمات في الإسلام:

الغريب أن هؤلاء التافهين؛ على ضحالة معلوماتهم، يحاربون القرآن والإسلام، ويعترضون على قوانين السماء.

ولا ندري ما إذا كان هذا هو مستوى معلوماتهم حقًّا، أم أنهم يتظاهرون بالجهل، ويلصقون ـ عمداً وعداوة ـ مثل هذه الاتهامات بالدين.

فكاتبهم يقول: «ليس في الشرع قانون للمحاكمات».

مع أن قانون المحاكمات يعتبر من أكبر قوانين الإسلام، وله آلاف البنود، ومن له أدنى اطلاع على الإسلام، والقانون، والشروط التي حددها الإسلام لاختيار القاضي والشاهد . . . يعترف بوجود قانون المحاكمات في الإسلام، ويستطيع أن يميز الفرق بين قانون السماء وقانون البشر.

ونشير فيما يلي إلى مواد من قانون القضاء في الإسلام، لنكشف عن ضحالة معلومات هذا الكاتب.

□ شروط القاضي في الإسلام:

إن قانون الإسلام عُني عناية خاصة بالقضاء وبمقام القاضي، وقدم التوصيات بأبسط الأمور المتعلقة بهما، حتى أمير المؤمنين عليه السلام قال[1] مخاطباً شريحاً القاضي:

«إنك جلست في مكان لم يجلس فيه سوى الرسول، أو وصيه، أو من كان شقياً».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «احترزوا من القضاء، فإنه من اختصاص العالم العارف بأحكام القضاء والأخذ بالعدل بين المسلمين».

وفي رواية أخرى قال: «حضرة القاضي يقف على حافة جهنم . . .». وما شابه ذلك من هذه الشروط المشددة الموضوعة للقاضي . . .

وللقاضي في الإسلام شروط، لو روعيت مع غيرها من شروط قانون المحاكمات . . . فقلما يتعرض حق للضياع.

ونحن نورد هنا بعض الشروط التي وضعها الإسلام للقاضي[2]، فليقارن القراء بينها وبين قوانين اليوم وبين القضاء آنذاك وقضاة اليوم.

١ ـ أن يكون كامل العقل والوصول إلى سن البلوغ، فمن لم يكن بالغاً أو لم يكن عقله مكتملاً لا يستطيع أن يحكم.

---

(١) هذا الحديث وما بعده من أحاديث ورد في كتاب «الوسائل»، باب القضاء. (خ).

(٢) تراجع كتب القضاء في ذلك. (خ).

٢ ـ أن يمتلك الإيمان ، أي أن يؤمن بأصول الديانة والمذهب .

٣ ـ أن يكون طاهر المولد ، أي أن يكون ابن حلال .

٤ ـ أن يكون رجلاً ؛ فالنساء لا يحق لهن ممارسة القضاء .

٥ ـ أن يكون عادلاً ، أي أن تكون لديه قوة تعينه على الامتناع عن مخالفة القوانين السماوية . إذ لا يحق ممارسة القضاء ممن يخالف القانون ويكون مذنباً .

٦ ـ أن يكون عالماً بأحكام القضاء وبقانون الإسلام .

٧ ـ أن يكون متمتعاً بذاكرة قوية ، فمن يتعرض للنسيان ليس له حق ممارسة القضاء .

انظروا إلى هذه الشروط وقارنوها بأحول قضاة اليوم . . . ومعظمهم من الشباب الذي لا يمتنع عن شرب المسكرات ؛ وهو ـ كما يقول الله والأطباء ـ يحدث تخلخلاً في الدماغ .

فما الذي ينتظر من أولئك الذين ينتقلون من حفلات السينما والملاهي ومجالس القمار إلى كراسي القضاء؟

أتريدون من هؤلاء المجردين من أي تقوى أو دين أن يراعوا حقوق الناس، وأن لا يدوسوا الحق، وأن يمتنعوا عن أخذ الرشوة؟ من يتوقع ذلك فقد جرد نفسه من الحكمة .

وقد يقال بأن القضاء عندما كان فيما مضى في أيدي الملالي فإنهم لم يراعوا هذه الشروط، بل كانوا يأخذون الرشوة ويصدرون أحكاماً غير عادلة .

فنقول : أجل ، هذا صحيح ، إذ إن قانون الإسلام لم يكن يعمل به تماماً، ولكن هذه المرة ينبغي أن تلقى الجريرة على عاتق القانون، ولو تم إقامة الدولة الإسلامية ، فإن هذه الأمور ستوقف عند حدها ، إلا أنهم لم يتيحوا لمثل هذه الدولة أن تقوم ، ولو تم

ذلك لتم تطبيق قوانين الإسلام وحيل دون هضم الحقوق[1].

إن قوانين الإسـلام راعت جميع ما يتعلق بالمحـاكمـات حتى لا تضيع حياة المتحاكمين سدى.

في المحاكمات الحالية قد تجري المحاكمة عشر مرات، وقد تطول الواحدة منها عشرين عاماً؛ لتنظر بعد ذلك في قضية إرث، فيكون الوقت قد ضاع سدى، وتكون أموال غير مشروعة قد أنفقت بدون جدوى.

المطلوب في محاكمة ما أن يتم أولاً: النظر في القضية بأسرع ما يمكن، لكي ينصرف الجانبان إلى أعمالهما. وأن لا تلحق ثانياً أضرار غير مشروعة بالطرفين. وأن تتم المحاكمة ثالثاً، بشكل يجعل الحق يعود إلى صاحبه.

وقد راعى قانون الإسلام هذه الأمور الثلاثة التي يمكن أن تطبق فيما إذا جرت المحاكمات وفق القانون، وروعيت الشروط التي يجب توفرها في القاضي والشاهد وفي ظروف المحـاكمـة؛ إلا أن القوانين السارية اليوم تخلق عقبات أمام الجانبين يحتاج تذليلها إلى أعوام.

وقـد يوفق محـام في أن يهضم حق الناس أو لا يجعله يعود إلى صاحبه طوال العمر، أما في القوانين الإسلامية فإن المحامي مهما كان بارعاً فإنه قلما يستطيع أن يفعل ذلك، لأن حل الخصومة يكمن في يد القاضي، وليس لبراعة المحامي دخل في ذلك إلا ما ندر.

في القانون الإسلامي يمكن إنجاز عشرين قضية في يوم واحد، أما اليوم فإن حل قضية واحدة يحتاج إلى عشرة سنوات.

---

(١) وها هو الخميني قد أقام دولته التي كان يحلم بها، فهل غير وبدّل، أم أنّ أول ما فكر فيه هو تصدير خرافات مذهبه وأباطيل شيعته، ومارس التعصب الباطني بجميع أشكاله ضد أهل السنة في إيران!

أما قانون تقادم العهد فهو من أسوإ المظالم التي ينبغي الإسراع في إزالتها، فما دخل تقام الزمن في إبطال حقوق الناس؟

إن هذا تقليد أعمى لا ينسجم مع قوانين العدل والحكمة، والحكام والكتاب يعرفون أحسن من سواهم أضرار قوانيننا العدلية، لكن أحداً منهم لا يفكر في الإصلاح.

لقد تحدثنا قبل هذا عن قانون الميزانية الإسلامية، وقلنا: إن قانون المحاسبات هو من القوانين الفرعية، ووجوده ضروري، ويجب أن يطبق، والميزانية الإسلامية هي أحوج من سواها إلى المحاسبات؛ لا سيما وأن إنفاقات الفقراء تؤمن من هذه الميزانية، وذلك يحتاج إلى حسابات دقيقة.

وأثبتنا بأن قانون الجمارك يضر بالدولة وبالتجارة إلا إذا فرضت على الأجانب، حيث إن الدولة الإسلامية تستطيع أن تستوفي ما تراه ضرورياً.

□ القانون ينبغي أن تكون جذوره في القلوب:

يقول الكاتب: «القانون يظل قائماً عندما تتغلغل جذوره في النفوس، وإلا فإنه أشبه بشجرة من ورق . . . تتهاوى بنفخة واحدة».

صحيح أن القانون يجب أن يتغلغل في النفوس، ولكن يجب البحث عن سبب عدم إيمان الناس بالقانون، وعدهم التنصل منه مفخرة، وعن العلة في ذلك؛ فالقانون يكون موضع احترام عندما يؤنه به الناس، وذلك لعدة أسباب:

١ ـ أن يرى الناس أن المشرع شخص صالح يفضل مصلحة الوطن والجماهير على كل شيء، ويكون منزهاً عن الأغراض الشخصية والنزوات، ولو رأى الناس بأن المشرع يتبع نزواته ويسعى إلى الجاه، فإنهم لا يؤمنون بما يشرعه من قوانين؛ بل ولا يتوقع منهم أن يؤمنوا بها.

٢ ـ أن يكون القانون ذاته قد روعيت فيه مصلحة الوطن والجماهير، ومن هنا فإن قوانين بلادنا الخاصة بالخدمة العسكرية وبالعدل والجمارك لا تحظى باحترام أحد.

٣ ـ أن لا يتنصل المشرع من القوانين التي شرعها بنفسه، وأن يرشد الناس إلى التمسك بها.

إذاً: فإن جميع قوانين البلاد ليست لها جذور في قلوب الناس، والمشرع هو أول من يتنصل من القوانين التي وضعها بنفسه.

٤ ـ أن يتأكد الناس من أن ما يدفعونه من كدهم تنفيذاً للقانون إنما ينفق من أجل البلاد، ولا يذهب إلى جيوب المسؤولين.

لذا فإن المسؤول عن التنصل من القوانين، وعدم الإيمان بها هو المشرع والحاكم؛ فلا يجب أن يتوقع أحد من الناس أن يقدموا ما حصلوا عليه من كدهم لكي تنفق على أمور تافهة، وتذهب إلى جيوب الخونة.

ومن هنا فإننا ندعو إلى أن يكون المشرع هو الله، وأن يعمل الموظفون وفق ما حدده لهم قانون الإسلام، حتى يتغلغل القانون في قلوب الناس.

□ ما هو سبب التخريب:

وبعد أن يكرر الكاتب بعضاً من تفاهاته، يقول: «لماذا يرمي جنود الدول الأخرى أنفسهم تحت الدبابات، ونحن نجلس خلف المكاتب، وأمام المراوح والمدافيء، ولا نؤدي واجباتنا؟ لماذا مواد المعيشة تتدفق على البلدان الأخرى، وتبقى بلادنا خاوية من كل شيء؟ لماذا تجند ملايين النسوة في البلدان الأخرى وندفع نحن الرشوة للهروب من الواجب؟».

إنه يريد بذلك كله أن يلقي بجميع الأمور على عاتق المتدينين والملالي وإن لم يقل ذلك صراحة.

علينا أن نشكر هذا الكاتب لأنه لم يقل بأن ملالي إيران هم السبب في إضرام الحرب العالمية، والهجمة الشرسة على بولونيا، وأنهم هم الذين أقاموا مجالس الرقص وحوانيت بيع المسكرات والمسابح والكشافة للبنات.

هل تريدون من الجندي الذي يرى أن كبار الضباط جعلوا الآخرين آلة في أيديهم، ولا يغضون الطرف عن راتبه الزهيد (سبعة ريالات ونصف)، ويكونون ـ عند الملمات ـ أول من يخلع ملابسه العسكرية ويهرب بملابس مدنية . . . هل تريدون من هذا الجندي أن يلقي بنفسه تحت الدبابة؟

هل تتوقعون من الناس الذين يرون أن الضرائب التي يدفعونها إنما تصرف على الملذات، وأن أموال الدولة تنفق على الحدائق وشراء السيارات الخصوصية . . . أن يستمروا في دفع الضرائب برحابة صدر؟

إن الجماهير قد عرفت بهذه العيوب، ولا يمكن خداعها باسم عظمة الوطن واستقلاله، وجعلها تدفع ما تحصل عليه إلى جيوب الآخرين، لكي يملؤوا بها بنوك أمريكا.

□ الدين والعقل والطبيعة:

ويعمد الكاتب إلى التكرار، ونورد هنا خلاصة لما قاله في عدة صفحات:

«الإنسان بحاجة لمن يهديه السبيل، ولكننا نستطيع تمييز طريق الله بثلاثة أشياء: الأول: الدين. والثاني: العقل، وتسمونه أنتم بالدليل. والثالث: مبدأ الطبيعة، الذي يعبر عن إرادة الله. وحيث إن هناك محركاً للأعضاء المختلفة باسم المخ المحفز على العمل، فإن الناس بحاجة أيضاً إلى محرك، وإلى قانون، وإلى جندي. وحيث إن حركة العالم تتم وفق قانون الطبيعة، لذا فإن الحديث عن المعجزة والكرامة والشفاء وما إلى ذلك كلها أمور كاذبة، ولا يمكن تبديل قوانين الإله بالأقوال.

والخلاصة، أن الدين والعقل والطبيعة . . . تؤلف بمجموعها رسالة للصدق . . . وما تقوله هو الصدق بعينه».

إنكم تقولون: إن أقوال الله أمور مسلم بها، والقرآن هو من إحدى الأمور المسلم بها . . . فلماذا إذاً تتحدثون في كتابكم حديثاً مخالفاً للقرآن؟ أفلم يرد في القرآن ذكر

لمعجزات الأنبياء؟ ثم إننا نقول أيضاً: إن البلاد بحاجة إلى من يديرها وإلى قانون، وقد تحدثنا عن ذلك، فلترجعوا إلى ذلك.

◻ تفاهات ذلك الحشاش:

وفي ختام هذياناته التافهة يقول: «الله أرسل الدين لكي يفك الإنسان العقد التي صادفته في حياته، لا ليزيد من عقدها، ولا ليفرض عليها نزوات دامت ألفاً وثلاث مئة عام. إن رأيتم تعاليم باسم الدين لا تتفق مع العقل والحياة، فاعلموا بأنها ليست من الدين في شيء».

إن هؤلاء لا يرون الحياة سوى الحياة الحيوانية التي يعيشونها في هذه الدنيا، ومن هنا فإنهم يطبقون الدين بها فحسب، ويرون انسجام الدين بالحياة في الانسجام مع هذه الدنيا لا غير، متناسين بأن الحياة لو كانت من هذا النمط المقرون بآلاف المصائب والتعاسات فإنها لشيء تافه، ولما أقدم رب العالمين؛ الذي تستند أعماله على الحكمة والعقل، على إيجادها.

ونحن قد عرفنا ذلك الإله الذي يقاضي الظالمين الذين أساؤوا إلى الناس، وامتصوا دماءهم، وأبادوا آلاف آلاف الأشخاص الأبرياء، بالرصاص والدبابات، ذلك الإله الذي له عالم آخر يعطي فيه جزاء هؤلاء.

إن إلهنا هو الذي يفرد للمظلومين الذي سحقتهم أقدام الظالمين بدون ذنب . . . مكانة في عالم أفضل، ويعوضهم عن هذه الصعاب التي يجابهونها.

إن العقل يؤمن بوجود عالم واسع أفضل من هذه الدنيا التافهة، وقد خلق الله طبيعة هذه الدنيا كوسيلة للعيش هناك، وبعث الرسل إلى هذه الدنيا لكي يهدوا الناس إلى ذلك العالم، والقوانين السماوية ترمي هي الأخرى إلى تدبير أمور العالم المذكور، مع أنه وضع لهذه الدنيا قوانين خاصة. لكن الهدف الأصلي هو ضمان الحياة في العالم الآخر، ومن أجل هذا فإن الله نعت في كتابه السماوي هذه الدنيا بأنها لهو ولعب. وهي

كذلك بالفعل.

إذاً، فالقوانين التي يقال عنها بأنها لا تنسجم مع الحياة، ليست قوانين إلهية، فإن كان قصدهم من ذلك القوانين التي سنها الله، فإنه لا يوجد ثمة قانون ديني لا ينسجم وهذه الحياة، إذ إن القوانين الإسلامية تمثل الأساس في الحياة القويمة، والقاعدة في الحياة الكريمة.

أما إذا كان قصدهم بالقوانين الحياة في ذلك العالم ـ مثل الصلاة والصيام والحج والعبادات الأخرى ـ فإن هذه الأمور هي التي ينبغي أن تكون منسجمة مع ذلك العالم، وهذا الانسجام والتوافق لا يعلم به غير الله الذي أوجد هذه القوانين، ولا سيما أن عقل الإنسان قاصر عن طبيعة الحياة بعد هذه الدنيا.

إن هؤلاء الذي يدعون المعرفة بما في القرآن عليهم أن يتلوا بعضاً من صفحاته حتى يعرفوا ما يقوله الله عن هذه الدنيا، وما يقوله عن الآخرة، وحتى يدركوا لماذا خلق الله الإنسان في هذه الدنيا، ولا يتشبثوا بهذه الحياة الخسيسة.

ونختتم هنا هذا الحديث ونطلب من الله التوفيق.

الحديث السادس:

الحديــــث

■ **السؤال العاشر والإجابة عليه:**

من المعروف بأن الناسخ والمنسوخ كثير في القرآن وفي الحديث، والسبب في ذلك تقادم الزمن. فإذا كان القانون عرضة للتبدل في مجتمع ما، وعبر فترة زمنية قصيرة، فهل يمكن أن لا يتعرض إلى التبدل على وجه هذه البسيطة وحتى آخر الزمن؟ أما بشأن قولهم بأن قوانين الإسلام أبدية فعليهم أن يقدموا الدليل على ذلك».

السؤال هنا ذو شقين؛ الأول هو: هل هناك على دليل على أن قوانين الإسلام وجدت لكل زمان ومكان؟

والثاني: إذا كان هذا الدليل موجوداً، فكيف يمكن أن يقال بأن هذا التغيير قد حدث عبر عشرين عاماً، وأن لا يكون هناك أي تغيير عبر الأزمنة الطويلة؟

وأما إذا آتينا بدليل من القرآن على أن الإسلام قانون أبدي، وأن هذا القانون غير قابل للنسخ، فإن ذلك لا يحدث أي ضرر إذا كنا نجهل بذلك، وسنورد فيما يلي الدليل على أن الإسلام جاء ليبقى إلى الأبد، وليكون للجميع.

□ **أدلة من أقوال القرآن:**

في القرآن شواهد على أن أحكام الإسلام وجدت لتبقى إلى الأبد، ولتكون للجميع، ونورد البعض منها فيما يلي:

١ ـ الآية [٤٢] من سورة فصلت قالت:

﴿وإنَّهُ لَكِتابٌ عزيزٌ لا يأْتيهِ الباطِلُ من بينِ يديهِ ولا مِن خلفِهِ تنزيلٌ مِن حكيمٍ ...﴾.

وكيف لا يكون كذلك وهو منزل من الله، فهل تريدون أن تحل القوانين الأوروبية وقوانين المجلس محل قوانين الإله، التي يقول الله بأنه لا يوجد ثمة ما يجعلها باطلة ...؟ أفليس هذا نكران للإله؟

٢ ـ الآيات من [٤٨ ـ ٥٠] من سورة المائدة التي أوردناها خلال طرح السؤال الخامس، وقد جاء فيها أنه لا يحق لأحد إصدار أحكام غير أحكام الله. فلو كانت القوانين الموضوعة هي من هذا القبيل، فذلك شيء جيد، وإلا فإن واضعها يعتبر ـ بموجب هذه الآيات ـ كافراً وفاسقاً وظالماً.

٣ ـ الآية [٨٩] من سورة آل عمران تقول:

﴿ومَن يَبْتَغِ غيرَ الإسلام ديناً فلَنْ يُقْبَلَ منهُ وهو في الآخِرَةِ مِن الخاسرينَ﴾.

ولو جاء دين غير الإسلام لما نزلت هذه الآية.

٤ ـ الآية [٤٢] من سورة فاطر تقول:

﴿ولن تَجِدَ لسُنَّةِ الله تحويلاً﴾.

وهذا خير دليل على خلود سنة الله وتعاليم السماء.

٥ ـ الآية [٩٠] من سورة الأنعام تقول:

﴿قُلْ لا أسألُكُم عليهِ أجْراً إنْ هُو إلا ذِكْرى للعالَمينَ﴾.

٦ ـ الآية [٧٠] من سورة الأنبياء تقول:

﴿وما أرْسَلْناكَ إلا رحمةً للعالَمينَ﴾.

في هذه الآيات وسواها يصف الله ورسوله بأنه بشير ونذير للعالم، وبأن القرآن تذكرة للعالمين، ولا شك في أن البشر أينما وجد، وفي أي وقت وجد؛ إذاً وبموجب هذه الآيات فإن هناك رسولاً لجميع القوانين، وإن الإسلام هو قانون للعالمين، أينما كانوا، وفي أي عصر عاشوا. وإذا ما كان القانون لعهد معين ولفئة معينة فإن نقضه من قبل الآخرين لا خوف فيه.

٧ ـ الآية [٤٠] من سورة الأحزاب تقول:

﴿ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ مِن رجالِكم ولكن رسولَ الله وخاتَمَ النبيِّينَ﴾.

إن الله يعلن أن محمداً هو خاتم الأنبياء، وأنه لن يأتي من بعده قوانين سماوية وإلهية أخرى. وقد أثبتنا من قبل بأن أي قانون سوى قانون الإله لا يعد شرعيًّا، وأن تقبل القوانين البشرية أمر خارج عن الحكمة، ومناقض لتعاليم القرآن.

إذاً؛ فقانون الإسلام الذي هو آخر القوانين السماوية موجود ـ بحكم هذه الآيات ـ عبر الأزمنة ولجميع البشر، وقوانين أوروبا المطبقة اليوم في بلدنا ليست سوى حبر على ورق، ولا ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار، ولو أردنا أن نذكر جميع الآيات المتعلقة بذلك لطال بنا الحديث . . . فنكتفي بما تقدم.

□ شواهد من العقل لإثبات هذه الأقوال:

نسترشد هنا بالعقل لنثبت بأن قانون الإسلام جاء لجميع البشر، وأن عليهم أن يتمسكوا به.

فنتساءل أولاً: هل يحق للإله سن القوانين للبشر أم لا؟

إن قلتم: لا. فإنكم تكونون قد خالفتم أحكام العقل، واستهنتم بالإله.

ونقول: لماذا إذاً وضع في القرآن وفي الكتب السماوية الأخرى قوانين للبشر؟ يجب أن نذعن إذاً بأن الله يحق له حق سن القوانين.

في هذه الحالة؛ فهل القانون الذي وضع في الإسلام هو لجميع البشر، ويمكن أن يطبق في هذا العصر أم لا . . .؟ إن لم يكن كذلك؛ فلماذا عين مصير البشر في السابق وتخلى عنهم الآن؟ هذا شيء لا يقبله العقل.

إذاً؛ ينبغي القول بأن هذا القانون الذي لم يأت بعده أي قانون . . . يمكن أن يفيد البشر اليوم، بل وينبغي أن يطبق.

□ بقاء قانون الإسلام ضروري:

أحكـام العقل نوعان: فهناك أحكام واضحة لا تحتاج إلى دليل، مثل أفضلية العـدل والعلم على الظلم والجهل، وتسمى بالأحكام الضرورية، وهناك أحكام غير واضحة مثل العلوم التي تحصل على أثر الدراسة ـ مثل الجبر والفلسفة وسواهما ـ مما تسمى بالأحكام النظرية، وتكون بحاجة إلى دليل وإثبات.

وهناك أحكام دينية كثيرة أصبحت من الضروريات، ومن الأمور الواضحة. فمن يسأل مثلاً: من أين لمحمد بن عبد الله أن يدعي النبوة؟ ومن أين للقرآن أن يكون كتاباً دينيًّا؟ يعد مجنوناً، ولا يمكن الإجابة على أسئلته بغير الاستهزاء والسخرية.

كما أن من يسأل: ولماذا يكون قانون الإسلام أبديًّا، ولماذا يكون محمد خاتم الأنبياء، فإن الإجابة على أسئلته لن تكون بغير السخرية والاستهزاء.

من الأمور المسلمة لدى المسلمين أن القرآن كتاب الرسول، وأن محمد بن عبد الله ﷺ هو خاتم الأنبياء، وليس هنـاك مسلم يحتاج إلى دليل على أن هذا من دين الإسلام، فمن يؤمن بالإسلام عليه أن يؤمن بخاتمية النبوة.

□ شواهد من الأحاديث:

ولئن لم تكن المسألة بحاجة إلى دليل، فإننا نورد من الأحاديث ما يثبت ما ذكرناه آنفاً.

في باب الإمامة جئنا بحديث يعد بمثابة حديث المنزلة[1]، حيث قال النبي لأمير المؤمنين: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

هذا الحديث متواتر عند الشيعة وأهل السنة، والتواتر معناه أن الرواة من الكثرة بحيث يثبت أن الحديث صادر عن النبي، وتواتر هذا الحديث ثابت للشيعة، ومتواتر عند أهل السنة[2] وقد صرح بتواتره الحاكم النيسابوري؛ وهو من كبار مشايخ أهل السنة، وكذلك السيوطي؛ وهو من كبار محققيهم، كما أن التنوخي؛ وهو من كبار المشايخ للسنة، ألف كتاباً في إثباته. وقد جاء هذا الحديث في «صحيح البخاري» و «صحيح مسلم» و «صحيح الترمذي» و «صحيح أبي داود» و «صحيح ابن ماجه» و «صحيح النسائي» وفي «مسند أحمد بن حنبل».

وطبقاً لأحكام القرآن الذي يعتبر الإسلام أبديًا ولجميع البشر، وطبقاً لأحكام العقل الذي هو هبة من الله، وبحكم الضرورة، وبحكم الحديث المتواتر، فإنه لا حاجة إلى دليل آخر على أن قانون الإسلام أبدي، أم أنه ينبغي أن نمد أيدينا إلى الأوروبيين ونأخذ عنهم قانون الحياة وقوانين البلاد من عسكرية وقضائية ومدنية؟

□ حول الناسخ والمنسوخ:

لقد ثبت أن قانون الإسلام أبدي وللجميع، وأن الله قال في السورة [٥] من سورة المائدة: ﴿اليومَ أكمَلْتُ لكُم دينَكُم وأتمَمْتُ عليكُم نعمتي ورضيتُ لكُم الإسلامَ ديناً﴾.

إذاً، فالله هو الذي أكمل الدين، وليس في وسع أحد أن ينسخه ويبطله، ولو أرادت البرلمانات نسخه فإن ذلك يعتبر نقضاً لقانون السماء؛ مما لا يقبله العقل، والله لن ينزل سواه، لأن النبوة قد ختمت.

---

(١) المنزلة غير الإمامة، وقد حررنا القول في الباب الذي أشار إليه الخميني.

(٢) يراجع كتاب «العبقات»، و «غاية المرام». (خ).

□ ليس للنسخ مكان في الإسلام:

ينبغي الرجوع إلى أحكام العقل للنظر في القوانين السماوية، ورؤية ما إذا كان القانون الذي جاء به الإسلام قابلاً للنسخ أم أنه قانون كامل ومناسب لكل الأزمنة، وأنه لا ينبغي أن ينسخ، لأنه نسخه خارج عن العقل.

وإن كان بحق هذا الأمر يحتاج إلى وقت طويل، إذ إنه يتطلب مقارنة آراء وقوانين العالم مع ما جاء به الإسلام حتى يتوضح الفرق، لكنتنا هنا نجري مقارنة إجمالية لإثبات جهالة هؤلاء.

□ أي القوانين قابلة للنسخ؟

القوانين القابلة للنسخ هي التي لا تكفي لإدارة الأمور المادية والمعنوية للحياة البشرية.

ونعلم جميعاً بأن الفلسفة قد برهنت بأن للإنسان حياتين، إحداهما: الحياة المادية في هذه الدنيا، والأخرى: الحياة المعنوية في العالم الآخر، ولكل منهما وسائل على الإنسان العمل على إعدادها، وقد ثبت في السياسة العليا والقرآن الكريم وتعاليم الأنبياء أن هذه الوسائل ينبغي أن تهيأ في هذه الدنيا، ومن يرجع إلى القرآن يدرك هذا الأمر جيداً.

بعد هذه المقدمة نقول بأن القانون الذي وضع للحياة المادية وحدها، أو للحياة الروحية وحدها، هو قانون غير معترف به، وأن الدين المتعلق به ليس ديناً كبيراً.

والقوانين البشرية تدعوا الإنسان إلى الحياة المادية الدنيوية، وتنسيه الحياة الأبدية، ومثل هذا القانون يسبب كثيراً من الأضرار للإنسان الذي له حياتان، ويحتاج إلى توفير متطلبات كل منهما.

□ نظرة إلى القانون المادي والروحي للإسلام:

جميع القوانين الإسلامية تعنى بالحياتين المادية والروحية، وبإعداد متطلباتهما،

فالدعوة إلى التوحيد والتقوى تعنى بتوفير متطلبات الحياة الروحية، ومن هنا فإن دفع معظم الضرائب يقصد منه التقرب إلى الله، وكذلك الأمر بالنسبة لقانون الخدمة العسكرية وقانون القضاء وسواه من القوانين.

إن نظام الإسلام إذ يعمل على حفظ عظمة الإسلام، فإنه يساعد كثيراً على إشاعة الحياة الروحية، والله يشير إلى هذا المعنى؛ إذ يعد الذين قتلوا في سبيله بالحياة الخالدة والرزق عنده.

والإسلام قد مزج الحياة المادية والروحية معاً بحيث تسند إحداهما الأخرى، وتلك من أكبر الأعمال، ومن أبرز مميزات هذا القانون.

□ مقارنة بين القوانين:

نقارن هنا بين القوانين الإسلامية؛ المدنية منها والعسكرية، والقوانين الأخرى؛ لنثبت بأنها جديرة بإدارة أمور البلاد، وأن البلاد كلما تقدمت . . . تقدم القانون معها.

فالقانون المالي الإسلامي الذي تستند عليه حياة البلاد وضع بشكل بحيث إن البلاد كلما تقدمت فإن الضرائب تتضاعف، ومثل هذا القانون القابل للتمدد لا يمكن أن ينسخ، بل وضع ليبقى إلى الأبد، وليكون لجميع البلدان.

وقانون الخدمة العسكرية في الإسلام هو اختياري بالقدر الذي يسد الحاجة، والخدمة الإجبارية تحصل أحياناً عند النفير العام. ومثل هذا القانون يكبر ويتقدم كلما سار العالم إلى التحضر، وكلما تعاظمت البلاد . . . وهو غير قابل لأن ينسخ، وقانون القضاء تم وضعه بأحسن وجه، ويطبق قريباً إلى الواقع وبسهولة وبساطة، ويتميز كثيراً عن بقية القوانين، وهو أيضاً لا يمكن أن ينسخ، هذه هي قوانين البلاد وفي الإسلام قوانين فرعية أخرى.

□ لأية أحكام يكون الناسخ والمنسوخ:

علينا الآن الإجابة على هذا الاعتراض الذي يقول فيه: «من المؤكد أن الناسخ

والمنسوخ كثير في القرآن وفي الحديث».

كذب أن يقال: إن الناسخ والمنسوخ كثيران في القرآن وفي الحديث، إذ لا يمكن العثور في جميع الأحاديث على مثل ذلك، وكان على الكاتب أن يأتي بأمثلة ليثبت قوله.

أما في القرآن، فهما قليلان، بل ولا وجود لهما في القوانين الأساسية العامة، فليس في القوانين المالية والقضائية أو العسكرية أي ناسخ أو منسوخ، قد يكون هناك تغييرات طفيفة أو شيء من التصرف في بعض العبارات، وسبب ذلك أن الإسلام وضع الأسس القانونية بالتدريج، إلى أن تم وضع جميع القوانين السماوية خلال عشرين عاماً ونيف، حيث اكتمل الدين وتم.

إذاً، فالقول بأن الناسخ والمنسوخ في القرآن والحديث كثير إنما يدل على الجهل بالإسلام، وبقوانينه، وبالقرآن والحديث.

أما القول بأن الناسخ والمنسوخ كانا وفق مقتضيات زمنية فإنما هو كلام أجوف، فمن يعود إلى مواضع النسخ يجد أنها أمور جزئية لن تؤثر ولن تحدث أي تغيير.

إن ما يمكن أن يتغير وفق المقتضيات الزمنية إنما هو القوانين الأساسية، ومثل هذا النسخ لا وجود له في الإسلام أبداً، كما يحاول هؤلاء الحمقى أن يقولوا[1].

□ قانون الإشراف على القوانين:

من القوانين الإسلامية التي وضعت لصالح الجماهير قوانين الحرج والضرر والإضرار والإكراه وسواها، وهي كلها تعتبر بمثابة قوانين مشرفة على قوانين أخرى،

---

(1) الصواب أن النسخ مجاله الأحكام الشرعية، وأن الذي لا ينسخ هو الأخبار، ومن شاء الزيادة فلينظر كتب أصول الفقه، كالموافقات للشاطبي، وإحكام الأحكام لابن حزم، وإرشاد الفحول للشوكاني ... وغيرها.

وذلك خدمة للناس . . .

والإسلام في وضعه لهذه القوانين قد راعى مقتضيات الزمن، واحتياجات البلاد والناس؛ فلو جدت مثل هذه الظروف بالنسبة للبلاد أو للأفراد، فإن ثمة تغييرات تجري على القوانين القائمة، ولا يعود هناك أي مجال لاعتراض هؤلاء.

□ نظرة إلى محتويات هذا الكتيب التافه:

في حديثه السادس يقول: «الواجبات التي حددها الله للإنسان موجودة في الأحاديث المتوفرة لدينا، وهناك أدلة على ذلك ثبتها الكتاب والسنة والعقل والإجماع؛ لكنهم هم أنفسهم دحضوا ذلك، فيما عدا دليلين اثنين سأتناولهما أنا، ثم آتي بأدلة على عدم صحة هذه الأخبار».

من هنا تستطيعون أن تلمسوا خيانة هذا الشخص وأكاذيبه، إن القوانين الأساسية؛ مثل قانون الضرائب، والقضاء، والخدمة العسكرية، والزواج، والطلاق، والإرث، والمعاملات التجارية، وقضايا الإيجار، والصلح، والهبة، والمزارعة، وقانون التسجيل، والعقوبات . . . قد ورد ذكرها في القرآن، والأحاديث قد جاءت ـ في الواقع ـ لتوضيح جميع هذه القوانين التي ورد ذكرها في القرآن.

إذاً فما يقوله هذا الكاتب من أن واجبات المسلم موجودة في الأحاديث إنما هو محض كذب. وحتى إذا ما تضمنت الأحاديث القوانين الدينية، فلا يمكن أن يكون في ذلك ثمة خير.

وأما قوله بأننا أوردنا أدلة ثم دحضناها؛ فيما عدا دليلين اثنين، فإنه يكشف عن ضحالته، إذ من له أدنى اطلاع بكتب الأصول يعرف أن هناك أدلة جاءت بها الأحاديث المتواترة، وقد قبلوا بها هم أنفسهم، ولم يدحضوها، كما أنهم قبلوا غير ذلك من الأدلة الكثيرة الأخرى.

□ حول دليل الانسداد[1]:

ويقول الكاتب حول الدليلين اللذين أشار إليهما من قبل: «إن الدليل الأول هو الانسداد الذي يقولون فيه: إن الله كلفنا بشأنه، وحيث إن هذا التكليف موجود بين هذه الأخبار، وحيث إننا قاصرون عن العلم به، فإننا نعمل بموجبها . . .».

حتى الذين لا علم لهم بعلم الأصول يدركون جهل هذا الأحمق، ولكن على القراء أن يعلموا بأن ما يقوله هؤلاء إنما هو مناقض لما قيل، إذ إن العلماء دحضوا دليل الانسداد، وهم لا يعرفون شيئاً عن انسداد باب العلم، بل إنهم يعتبرون هذا الباب مفتوحاً، وقد سمع هذا الجاهل بدليل انسدادي واحد دون أن يعرف بأن دليل الانسداد الوارد ذكره في الكتب مرده إلى أن بعض العلماء عده دليلاً؛ فيما رفضه الآخرون، ولذا فإن علماء اليوم لا يعرفون دليل الانسداد جيداً، ويعدونه بأجمعهم باطلاً.

فما الذي يمكن أن يقال لهذا الجاهل والخائن والتافه الذي يلصق مثل هذه التهم بالعلماء؛ والجميع يعرفون بأن دليل الانسداد ـ مع ضعفه ـ ليس هو كما يقول عنه هذا الأحمق، بل له عدة مقدمات يجهلها هؤلاء، وليس من البساطة بحيث يستطيع هؤلاء دحضه، لكن هؤلاء لا يتورعون عن أي كذب، وعن إلصاق أية تهمة، فيختلقون، ويبدون رأياً صبيانيًّا بشأنه، ثم يوجهون بوقاحة الشتائم إلى العلماء.

□ حول سيرة العقلاء:

ويقول الكاتب: «والدليل الثاني الذي جاؤوا به لإثبات صحة الأخبار هو سيرة العقلاء، أي إن شخصاً لو سمع خبراً من مصدر، وصدَّقه، فإن علينا أن نصدقه أيضاً. أجل إننا نصدق الكلام ما لم يكن هناك دليل على عدم صحته، ومن أجل هذا فإننا لا نصدق اليوم تاريخ الـ (بيشداديين)[2]، ونحن لدينا ستة أدلة على عدم صحة هذه

---

(١) هو القول بإغلاق باب الاجتهاد ومنعه، وهو باطل كما قرره المحققون أهل الأصول.

(٢) إن التاريخ المدوّن للسلالات الأولى التي حكمت بلاد فارس، تسبقه فترة زمنية طويلة غير مدونة، =

الأحاديث».

إن سيرة العقلاء والحكماء هي من إحدى الدلائل الثابتة على مدى الاهتمام بالأخبار، وعلى أن نظام حياة الناس والبلدان قائمة عليها. فمال التجارة الذي يُتناقل من بلاد إلى بلاد، والقوانين التي تنفذ في أقطار العالم، والدعايات التي تروجها الحكومات والبرلمانات أو وسائل الإعلام هي من هذا النمط.

وقد قبل الكاتب بمبدإ سيرة العقلاء؛ لكنه جاء بستة أدلة على عدم صحة هذه الأحاديث، نوردها فيما يلي، لنوضح أخطاءه...

أورد الكاتب هذه الاعتراضات في السؤالين ١١ و ١٢، والإجابة على تلك الاعتراضات هي الإجابة على السؤالين المذكورين.

١ ـ الكثير من الأحاديث لا يتقبلها العقل، وقد أوردنا نماذج من تلك الأخبار في الفصول السابقة، ثم لنفرض جدلاً بأن ثمة روايات لا يتقبلها العقل، موجودة في إحدى الكتب، فما ذنب بقية الكتب والأخبار؟ فلو أنكم لم تتقبلوا صحة ما قيل عن تاريخ البيشداديين؛ فهل يعني ذلك أن لا تصدقوا بتاريخ الصفويين؟ أو إذا نقلوا لكم عن بعض التواريخ أشياء غير معقولة، فهل يعني ذلك أن تعرضوا عن جميع التواريخ؟ إن هذا يعني أن نترك تاريخ العالم جانباً، لا لشيء، إلا أن بعض أخبار العالم لا يقبلها العقل.

☐ نقطة معروفة:

هنالك نقطة أساسية لا يعرف بها هذا الكاتب، ولذا يطرح هذه الاعتراضات، ذلك أن الأحاديث المتوفرة تكون على نوعين:

أحدهما: أحاديث ذات جانب عملي، أي: أحاديث وردت حول القوانين

= يتحدث عنها التاريخ بشكل أسطوري، وليس بصفة تاريخ حقيقي. والبيشداديون هم إحدى السلالات التي حكمت البلاد في تلك العهود الأسطورية. (المترجم).

الإسلامية، وينبغي الأخذ بها، مثل الأحاديث الخاصة بالعبادات، وما يتعلق بذلك من تعاليم، أو تخص تفسير القوانين القضائية، والمالية، والعسكرية.

أما النوع الآخر، فأحاديث ليس لها جانب عملي، مثل أحداث التاريخ المنقولة، والأخبار الخاصة بالفلك والجغرافية. وبعبارة أخرى: الأحاديث التي لها جانب علمي. وما كتبه العلماء والفقهاء هو من هذا النوع. وهي لا تعتبر حجة أو أساساً، ولا تستحق العناية أو الدراسة.

هذا الأحمق يتصور بأن علماء الإسلام يدعون إلى التمسك حتى بالأخبار التي لا يتقبلها العقل. لكن هؤلاء العلماء كتبوا وقالوا بأن الأخبار التي لا يتقبلها العقل مرفوضة.

لقد قلتم بأن امتلاك الملائكة للأجنحة غير مقبول من العقل، لكنكم لا تملكون دليلاً على ذلك. وقلتم: إن مثول الملائكة أمام الإمام غير مقبول عقليًّا، وقد دحضنا أقوالكم في الحديث الأول، فلترجعوا إليه.

أجل، لو جئتم بمئة حديث بأن الله اثنان أو أن اجتماع النقيضين جائز، أو أن زوايا المثلث تساوي ثلاثة قوائم . . . لما قبلنا منكم ذلك أبداً. لكن الأخبار التي تشرح القوانين السماوية وتوضحها وتتميز بجوانب علمية، هي التي يعكف العلماء على دراستها وبحثها وتأليف الكتب عنها.

وكتاب «الوسائل» هو من أكبر الكتب الإسلامية، وقد تناول مثل هذه الأخبار التي لها جانب عملي؛ فهل تجدون بينها رواية لا يقبلها العقل؟ إن هذا يفتح الطريق للرد على اعتراضات هذا الأحمق الذي لم يتقصَّ الكتب العلمية وغير العلمية، وجعلها جميعاً سواسية، وراح يقدم الاعتراضات؛ مع أن العلماء قد أوضحوا ذلك واهتموا به.

◻ ما هو كتاب «بحار الأنوار»:

«بحار الأنوار» من تأليف العالم الأكبر والمحدث المبجل محمد باقر مجلسي،

وهو يجمع بين دفتيه أربع مئة كتاب ورسالة، يعد مكتبة مصغرة، وعندما رأى مؤلفه بأن هناك كتب أحاديث صغيرة معرضة للزوال، قام بجمعها في كتاب واحد، أطلق عليه اسم «بحار الأنوار»، وذلك دون أن يعني بصحة جميع تلك الأحاديث؛ لأنه لم يرد أن يؤلف كتاباً ذا جانب عملي يجمع فيه تعاليم الإسلام وقوانينه.

والواقع أن الكتاب كنز لجميع الأخبار المنسوبة إلى زعماء الإسلام، سواء أكان ذلك صحيحاً أم غير صحيح، بل حتى وإن كان صاحب «البحار» يعدها غير صحيحة.

ومن هنا فليس في الإمكان إلصاق ما ورد في هذا الكتاب بالمتدينين، والقول بأن ذلك مخالف للعقل.

٢ ـ بعض من تلك الأحاديث لا يتفق وموازين العلم والحس، فالحديث الذي لا يتفق مع أسس العلم الثابتة ينبغي أن يرد، إلا أن الأحاديث ذات السمة العملية ليس بينها حديث واحد من هذا القبيل، بل هو موجود في ذلك النمط غير العملي، وقد رد العلماء منذ البداية هذا النوع؛ مثل الأحاديث الخاصة بالجغرافيا، والفلك، كما أن الحديث الذي لا يقبله الإحساس يكون مرفوضاً أيضاً.

فالأخبار الخاصة بالسماء . . . فنحن لا نعرف المقصود بالسماء، هل هو مدار الشمس أم الكواكب؟ إن الكاتب لم يوضح قصده حتى نعرف ما إذا كان ذلك مخالفاً للعلم أم للإحساس.

وأما الحديث عن غروب الشمس وانتقالها من سماء إلى أخرى، والوصول إلى ما تحت العرش، والسجود لها . . . فإن هدفه غير معروف.

أولاً: ما معنى السماء؟ وثانياً: ما معنى العرش؟ العرش له عدة معان، فأي معنى هو المقصود؟ وثالثاً: ما معنى السجود؟ لعله ذلك السجود الذي ورد ذكره في القرآن ـ سورة الرحمن ـ حيث تقول الآية: ﴿والنجمُ والشجرُ يسجدانِ﴾؛ هل نستطيع رد القرآن الذي قال قولاً غير متفق مع الحس؟ أم نقول: إن السجود هو خضوع وتنفيذ لسنة الله

في الحركة؟ إن الشمس خاضعة لمشيئة الله، وقد سجدت بأمره، وبأمره تغرب. وهو القائل: ﴿يسبِّحُ له ما في السماواتِ والأرضِ﴾.

إن جميع الموجودات تلهج بذكر الله، وحيث إن جميع الأحاديث التي أوردها الكاتب هدفها غير معروف، فإنه لا يمكننا أن نقول بشأنها شيئاً.

يبقى بعد ذلك هذا السؤال، وهو: لماذا جاؤوا بهذه الأحاديث في الوقت التي يبدو هدفها غير معروف؟ وعلى فرض أننا قلنا بأنها أحاديث صحيحة؛ فإنها لن تكون أفضل مما ورد في القرآن، حيث إن هناك آيات تبدأ برموز لا يعرف أحد معناها ومرماها مثل: ﴿الم﴾ و ﴿المص﴾ و ﴿حم﴾ و ﴿حم عسق﴾ و ﴿ق﴾ و ﴿ن﴾.

□ نقطة أساسية أخرى:

يجب أن نذكر القراء بأننا قلنا بأن الأحاديث على نوعين: أحدهما ذو جانب عملي، يتمثل في قوانين الحياة في هذه الدنيا أو الآخرة. والثاني ذو جانب علمي؛ مثل قوانين البلاد، والقوانين العسكرية.

وقد ورد في القرآن أيضاً نوعان من الآيات:

الأول ينبغي على الناس التمسك به، وأن ينفذ في البلاد.

والآخر علمي وغير إلزامي.

وحيث إن الأحاديث والآيات من النوع الأول عامة؛ فإنه من أجل التطبيق العملي ينبغي أن تكون في متناول فهم الجميع، وأن لا يكون فيها مجال للتأويل. فقانون البلاد ينبغي أن لا يوضع بشكل غير مفهوم، وقد يكون بحاجة إلى شرح وتوضيح، لكن هذا غير التأويل.

أما الآيات والأحاديث العلمية؛ فليس من الضروري أن تصب بشكل مفهوم، بل إن تبيان مثل هذه الأمور لا يمكن أن يتم بشكل منسجم مع فهم العامة وإدراكهم.

فالطبيب الذي يريد أن يعطي للناس توجيهات لحفظ الصحة ينبغي أن يكتب ذلك بشكل مفهوم، لكنه لا يستطيع أن يؤلف كتاباً علميًّا بشكل يفهمه الجميع، فالكتاب العلمي المتضمن أموراً علمية دقيقة يكتب لفئة من العلماء، ولا يحق للآخرين التدخل فيه.

والقرآن والحديث أوردا القوانين العملية بشكل يفهمه الناس، لكن جميع الناس لا يستطيعون فهم علوم القرآن والحديث؛ بل إن تلك العلوم لم تأت لتكون للجميع.

وكما للدولة رموز تستعملها في الاتصالات اللاسلكية، وليس من مصلحة البلاد الكشف عنها، ففي القرآن أيضاً مثل هذه الرموز التي تقول الروايات بأن جبرائيل الذي جاء بالقرآن لم يكن يعرفها. ورسول الله من علمائها الذين يستطيعون حلها.

مثال ذلك الحروف في بدايات بعض سور القرآن، وقد أشار القرآن إلى ذلك في الآية [٥] من سورة آل عمران.

﴿هو الذي أنزَل عليكَ الكِتابَ منهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أمُّ الكتابِ وأُخَرُ مُتَشابهاتٌ فأما الذينَ في قُلوبِهم زَيْغٌ فيَتَّبِعونَ ما تَشابَهَ منهُ ابتِغاءَ الفِتْنَةِ وابتغاءَ تأويلِهِ وما يعلَمُ تأويلَهُ إلا الله والرَّاسِخونَ في العلمِ يقولونَ آمَنَّا بِهِ . . .﴾.

وقد أشارت هذه الآية إلى أن الآيات نوعان: الأول آيات محكمات لا تقبل التأويل والجميع يفهمونها. والثاني: آيات متشابهة بحاجة إلى تأويل، وشبيهة بالرمز، وتأويلها لا يقدر عليه غير الله والراسخين في العلم.

لكن هذا الأحمق يقول: «ليس للتأويل معنى، وإنه عمل ليس في محله، لأنه واضح، فالعاقل إذ يقول شيئاً، فإن المقصود منه هو ما يفهمه العرف، وإن كان الأمر غير ذلك، فإن نظام الحياة عند ذاك يضطرب».

إن جهل هذا الكاتب يشبه جهل من يقول بأن علوم الرياضيات أو قوانين أبي علي بن سينا إن لم تكتب بلغة شعبية فإن نظام الحياة يضطرب. لكن عليه أن يعلم بأن هذه

العلوم ليست للعامة، ولا علاقة لها بالحياة العامة، بل إنها لا يمكن أن تكتب بالشكل الذي يفهمه الجميع.

القرآن والحديث جاءا للفئات المختلفة من الناس، وتضمنا علوماً يتفهمها الخاصون بالوحي، ويستفيد الناس من ذلك. إنهما يتضمنان علوماً وردت للفئات العليا من العلماء، ولكن الآخرين يستفيدون من ذلك أيضاً.

مثال ذلك: البراهين على التجرد والواجب والإحاطة؛ فلو قلبتم القرآن لما استطعتم أن تفهموا من ذلك شيئاً، لكن الفيلسوف الكبير صدر المتألهين، وتلميذه القدير فيض الكاشاني؛ يستخرجان من تلك الأخبار والآيات علوماً عقلية عُليا.

إن من يتدخل في علوم القرآن والحديث فإنه يكون جاهلاً؛ إذ إن هناك مصطلحات ورموزاً ليس في وسع الناس فهمها، مثل أخبار جبل قاف، وأخبار البقرة والسمكة، وأخبار الرعد، والبرق، والزلزلة، والصاعقة. وعلى فرض أننا اعتبرنا جميع هذه الأحاديث باطلة، لكننا ـ بحكم العقل ـ لا نستطيع أن نغض الطرف عن الأحاديث الأخرى. إذ إن رفض حديث معين لا يعني رفض أحاديث ذات جانب عملي، وتقبلها العلماء، ولا تتنافى مع العلم والعقل والحس.

لكن هذا الجاهل يقول: «وحيث إن هذه الأحاديث المعدودة غير صحيحة، فعلينا أن نشطب جميع الأحاديث».

هذا الكلام يشبه القول بأنه إذا كانت أدوية إحدى الصيدليات فاسدة؛ فإن علينا أن نشطب على جميع الصيدليات. وحيث إن بعض ما قاله التاريخ كذب، فإن علينا أن نعرض عن جميع كتب التاريخ.

وأي عاقل ـ بالطبع ـ لا يقبل هذا الأمر، ولا يؤيده، وإلا فينبغي أن نشطب على القرآن، لأنكم لم تفهموا بعض آياته، ولا تتقبله عقولكم القاصرة، مثل ما جاء حول تكلم جميع الموجودات، ونطق النمل، والهدهد، وإحياء الموتى بيد إبراهيم وعيسى؛

ولذلك ينبغي أن نشطب على القرآن، أو أن نعترف بأن علم البشر ناقص ومحدود، وأنه لا علم لهم بنواميس الكائنات وأسرار الموجودات.

فالإنسان العاقل لا ينبغي أن ينكر شيئاً لا يدركه بعقله الناقص، ويطالب برفضه ورفض جميع الأخبار؛ مع أن آلاف الأحاديث قد وردت عن النبي، وعن زعماء الدين، تهدي الإنسان إلى أسرار التوحيد وتحل له مشاكل حياته.

٣ ـ معظمها لا ينسجم مع الحياة؛ «انظر حديثي الحكومة والقانون»، وقد أجبنا على ذلك في الحديثين المذكورين. وهذه الاعتراضات الثلاثة أوردها الكاتب عبر السؤال الثاني عشر.

٤ ـ معظمها لا ينسجم مع بعضه بعضاً، وهذا النوع يكثر في كتب الحديث».

إن عدم القدرة على استخلاص أحكام الإله والتمييز بين الحديث العملي وغير العملي، والوقوع في حيرة فيما يخص ذلك، إنما يعود إلى عدم وجود قاعدة فنية لديهم ... ولهذا يصبح من اليسير عليهم أن يتبعوا سبيل الإنكار.

يجدر بكم ـ بما لديكم من معلومات ـ أن تعودوا إلى العلوم، حيث ستجدون فيها أموراً لا تفهمونها، فتعتبرونها أموراً متنافرة، وآنذاك لا يبقى أمامكم إلا أن العلوم جميعها باطلة.

وتلك الروايات التي تعتبر في أنظاركم متنافرة مع بعضها البعض، عندما يوردها أهل الفن وفق قواعدها، فإنهم يخرجونها بصورة أكبر من هذا التنافر، أما تلك التي تبقى على تنافرها، فإن علم الأصول هو الذي يتكفل بها، فيستطيع أهل الفن عند ذاك فهم كون بعض منها ذا صفة عملية.

أجل؛ حيث إن العلوم النظرية تعتمد على الاجتهاد، فإن ذلك يؤدي إلى إحداث خلافات في الرأي بين أهل الفن ... لا في القوانين الأساسية بل بشأن التفاصيل الثانوية.

٥ ـ إننا على علم بأن معظم تلك الأحاديث منتحلة، «ولتراجع كتب الدراية، الجزء الخاص بهذا النوع من الأحاديث».

أما أنتم فلا تستطيعون التمييز بين الحديث المنتحل وغير المنتحل، فإنكم ترمون حجارة في الظلام، وتشيرون بالرجوع إلى كتب الدراية، مع أنها لا تتطرق إلى هذا النوع من الأحاديث.

وفي كتب الأصول ثمة موازين لتمييز هذا الشيء، وأهل الفن هم الذين يقدرون على التمييز، ومن هنا فإنهم يعتبرون الأحاديث المنتحلة غير عملية، ويتمسكون بغير المنتحل منها.

٦ ـ هذه الأخبار تعتمد على الظن، وبحكم العقل والقرآن فإن اتباع الظن غير جائز، ﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْني من الحقِّ شيئاً﴾.

إن هذا الاعتراض وارد في السؤال الحادي عشر أيضاً. حيث يقول: «إن الأحاديث المتوفرة لدينا اليوم قائمة على الظن. والعقل لا يصدق بأن الله القادر والعادل يأمر أشرف مخلوقاته بعمل شيء ثم يسد في وجهه أبواب العلم».

■ الإجابة على السؤال الحادي عشر:

وردًا على السؤال نقول: إن الله في إبلاغ أوامره وإيصالها إلى الناس لم يأت بأمر جديد مخالف لسيرة العقلاء وطريقتهم، فالعقلاء في جميع أنحاء العالم يعملون وفق الأخبار التي يوردها الأشخاص الذين يؤمنون بها، ولو تم منع نقل الأخبار إلى الأشخاص، فإن حياة الأفراد والبلدان تضطرب.

وبالإضافة إلى القوانين السماوية وأحكام القرآن والأحكام الثابتة من الروايات المتواترة، فإن العقلاء سلكوا أيضاً هذا النهج، ورروجوا قوانينهم بذلك الشكل المتعارف بين أبناء العالم، ولكن هذا الكاتب مع أنه اعترف بأن نهج العقلاء هو تقبل الأخبار، إلا أنه يعود فيعتبر العمل بما ورد في الأخبار على أنه عمل بالظن.

وحاصل كلامه أن نهج العقلاء في هذا المجال هو أمر لا يتقبله العقل، ولكن ألا يبدو بعيداً عن الحكمة أن تعد أعمال العقلاء أمراً منافياً للعقل؟ إذا لبات علينا أن نقول بأن العقلاء لا يؤمنون بالعمل بالأخبار عن طريق الظن، بل عن طريق التأكد، لأن القرآن نهى عن الظن، لكنه لم ينه عن العمل بالظن الوارد من أشخاص هم موضع الثقة، والله نفسه لم يمنع مثل هذا الظن، لأن منعه مخل بالنظام في العالم، وبنظام الحياة، والله لن يخل بالنظام في العالم ولا بنظام الحياة أبداً.

□ كلام جدير بالاهتمام:

هنا نلفت أنظار القراء إلى نقطة مهمة، وهي أن الأخبار وصلت إلينا عن طريق أشخاص وردت سيرهم في كتب علم الرجال. وواضح بأن هؤلاء الأشخاص يتفاوتون في الصفات والأخلاق والأمزجة، ومن هنا فإن التفاوت يظهر في الأخبار المنقولة إلينا عن طريق هؤلاء الذين تحدثت الكتب عن صفاتهم وسماتهم وأخلاقهم، وهذا التفاوت يبرز في التواريخ وفي الأخبار الخاصة بالأحاديث، وليس في الكتب الخاصة بالظن، أو بالتأكد، لأننا لا نعرف كثيراً عن أحوال أولئك الأشخاص وعن الوسائل التي نقلت إلينا الأخبار بواسطتها.

لكن الأمر بالنسبة لأخبارنا ليس كذلك؛ فعلماؤنا ومحدثونا عندما ينقلون الأحاديث يثبتون صحتها وعدم صحتها وعدم العمل بها، والذي لا يريد أن يتقبل أخبار التاريخ بحجة أنه لا يعرف شيئاً عن ناقليها؛ لا يحق له رفض أخبار كتب الحديث.

□ نظرة إلى الكتيب:

بعد ذلك يقول الكاتب: «وإنكم تقولون: إننا نملك بالمقابل أحاديث صحيحة، ولكن، وعلى فرض صحة ما تقولون، فإن كلامكم هذا أشبه بمن يريد الإفادة من إناء كسر نصفه على أساس أن نصفه الثاني بقي سالماً».

يا لهذا الدليل المنطقي الذي جاء به ذكاؤكم الحاد. إنكم تريدون بهذا المثال غير المناسب تمويه مسألة واضحة؛ فلو وردت ـ مثلاً ـ في كتاب «بحار الأنوار» ثمة أحاديث يشك في صحتها، فهل يعني ذلك أن نعرض عن كتاب «الوسائل» الذي يتضمن أحاديث عملية ونعد العمل بذلك مثل العمل بنصف الإناء الذي بقي سالماً؟ مع أن هذا المثال لا ينطبق على هذه الحالة، والوضع الصحيح هو أن يكون هناك إناءين؛ أحدهما مكسور والآخر سالم، وأن لا يلقي الإنسان جريرة الإناء المكسور على عاتق الإناء السالم.

إن كلامكم هذا يذكرنا بإنسان يقع على دواء فاسد، فيعرض عن استعمال جميع الأدوية، أو يعرض عن جميع الخبازين لأن خبز أحدهم غير جيد . . . سواء أكان خبز هؤلاء الخبازين جيداً أم سيئاً.

إن هذا الأحمق لا يعلم أن آلاف رواة الحديث مذكورون في كتب علم الرجال، وأن هذه الأحاديث نقلت عن عدد منهم، وأن الخلل في تلك الأحاديث أو عدم صحتها ليس معناه أن لا نصدق الأحاديث التي نقلها آلاف الأشخاص، أليس هذا هراء أجوف؟

□ مسألة جديرة بالمعرفة:

هنا ينبغي الالتفات إلى نقطة أخرى، وهي أننا لو سمعنا خبراً غير حقيقي، وتبين

لنا أن ناقله كاذب في نقله، لجاز لنا أن لا نصدق أخباره الأخرى.

ولكن إذا ما عرفنا الصدق والأمانة فيه، ثم سمعنا منه حديثاً غير صحيح، فإن ذلك لا يعني أن لا نصدق أقواله الأخرى.

وما يقوله الكاتب من «أنكم لو سمعتم كلاماً غير صحيح من شخص فإنكم لا تصدقون أقواله الأخرى»، لا نصيب له من الصحة.

إنكم لو رأيتم شخصاً موضعاً للثقة، ينقل خبراً غير صحيح، لن تعرضوا عن أقواله الأخرى. فلو أعرض الناس عن ناقل أخبار لمجرد كونه قد نقل خبراً واحداً غير صحيح ... لاختل نظام الحياة، لأن أحداً غير منزه عن الخطإ، ومن المحتم أن يكون بين ما ينقله خبر أو خبران بعيدان عن الصحة، والعالم قائم على أساس ما ينقل من الأخبار والأحاديث، فلو حدث خلل في حالة أو حالتين؛ فإن ذلك لا يسمح لنا بأن نعرض عن بقية الحالات. أما من يكثر في نقل الأخبار والأحاديث غير الصحيحة فهو الجدير بأن لا يصدق.

وعلى القراء أن يرجعوا إلى الأخبار التي لا يؤمن بها ذلك الكاتب، ليجدوا أن شخصاً نقل ألف حديث وحديث، وجميعها صحيحة، فيما عدا واحداً أو اثنين ... لربما للزمن دخل فيما حصل فيه من خطإ، أو لربما وقع ناقله في خطإ غير مقصود ... فهل يستطيعون في مثل هذه الحالة أن يعرضوا عن ألف رواية أخرى نقلها هذا الشخص؟

إن كاتباً عرف بالأمانة والصدق عبر مئات من الحوادث والأخبار التي نقلها ... لو وقع في خطإ طباعي أو كتابي، فهل يقضي ذلك بأن تتركوا جميع كتاباته جانباً؟

لو كان الأمر كذلك فينبغي تقبل مغالطات هؤلاء الحمقى، الذين يحاولون عن طريق استغلال أحاديث تعسر على فهمهم، أو لربما حدثت فيها بعض الأخطاء، أن يشوهوا سمعة آلاف الأحاديث التي تتفق مع العقل والمنطق، والمنقولة عن أشخاص

موثوق بهم، وأن يلقوا بالجريرة الوهمية للكتاب الرابع عشر من «بحار الأنوار» على جميع كتب الحديث التي لا تتضمن حديثاً واحداً من هذا القبيل، هذا في الوقت الذي يتقبل فيه هؤلاء ما تروجه صحف اليوم، رغم أن محرريها ليسوا موضع ثقة، ويقولون ما لا يتفق والواقع.

■ السؤال السادس عشر والرد عليه:

ما هو في نظركم السبب في إعراض الناس عن الدين . . . اليوم؟

إن العلل الأصلية والفرعية كثيرة، لكننا نتناول واحدة منها . . . تنشأ منها العلل الأخرى.

منذ سنوات فطن الأوروبيون إلى أن نفوذ الروحانيين، وتمسك المتدينين بالدين، لا يتيح لهم أن يستعمروا البلاد الإسلامية، وأن ينهبوا ثرواتها، وأن ينفذوا مخططاتهم الاستعمارية، فأخذوا يسعون بكل قواهم لاتخاذ تدابير عملية ـ عن طريق الإيرانيين أنفسهم ـ للقضاء على قوة رجال الدين، أو على الأقل لتقليص نفوذهم، وبتقليص هذه القوة التي كانت الحامية لمصالح البلاد، والحائلة دون تغلغل نفوذ الأجنبي، وهنت علاقة الناس بالدين، وراحوا يعملون منذ العهد الدكتاتوري بتنفيذ مخططاتهم بهدوء تام، وبدؤوا ذلك عن طريق الصحافة الوافدة من القفقاس وكلكلته ومصر وسواها.

وكانوا في خلال العشرين سنة التي سبقت الحرب العالمية قد تنبؤوا بوقوعها، ووجدوا أنفسهم بحاجة إلى ثروات هذه البلدان، ثم إنهم رأوا أن تنفيذ الخطة بهدوء سيضيع عليهم الفرصة، وأنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً عن طريق أحمد شاه[1]، وأن من يستطيع أن يحقق لهم مقاصدهم هو الدكتاتور رضا خان.

وقد قام هذا بترويج الدعاية والكاريكاتير، وبالضغط على الروحانيين، وخنق أصواتهم، وإشاعة التهتك والفسق؛ خادعاً الجميع بأن هذه الأمور هي من أسباب تقدم البلاد في السلم الحضاري، وأوهمهم بأن المتدينين هم عقبة تعترض سبيل تقدم البلاد وتطورها، وبهذه الأحابيل استطاع أن يبعد الناس عن رجال الدين، بل جعلهم يسيؤون بهم الظن.

---

(١) هو آخر ملوك القاجار، عرف بالضعف، وقد استطاع الضابط رضا خان أن يزيحه عن العرش، وأن ينزع منه السلطة، وينصب نفسه بعد ذلك شاهاً على إيران. (المترجم).

كما أن الموظفين قد تعاونوا مع الأجانب ضد مصلحة البلاد، فانخدع الكثيرون، وظنوا أن تقدم البلاد يتم عن طريق مثل هذه الألاعيب والأحابيل فتقبلوا ـ بدون تمحيص ـ كل ما يسمى بالتجدد.

وقد حمل هذا الوضع عدداً قليلاً من غير الخونة، على اعتزال العمل، لأنهم لقلة عددهم لم يكونوا قادرين على أن يفعلوا شيئاً.

وقد رأى الجميع أن الصحف كانت تكرس صفحاتها للترويج ضد الدين، الذي أصبح أمراً شائعاً، ويلقّن للناس بشتى الطرق.

والآن؛ يأتي عدد من الحمقى من أمثالكم ليؤلفوا كتيباً مخزياً يندد بالدين ويسيء إلى البلاد وإلى استقلالها؛ حيث رحتم من خلاله تلصقون التهم والأكاذيب بالروحانيين والمتدينين، وترددون بكل وقاحة اسم الدين، مع أن سوابق هذا الكاتب الأبله معروفة في تبريز وطهران، والذين يعرفونه يعرفون فيه عدم النزاهة والبعد عن الخلق القويم.

مثل هذا العنصر غير النظيف يريد أن يدعو الناس إلى مذهب زرادشت الوهمي، وأن يصرفهم عن التعاليم السماوية المتدفقة كالسيل من عالم الغيب على القلب الطاهر لنبي الإسلام.

هذه هي الدعايات التي تروج عن طريق بعض الصحف، وبواسطة أفراد مثلكم لإبعاد الناس عن الدين.

وهكـذا؛ وخـلال العشرين سنة الماضية تم غلق المدارس العلمية التي كانت المصدر للدعايات الدينية، أو حُوِّلت إلى مراكز للفساد الذي يمارسه عدد من الشباب الـطائش؛ فمدرسة (مروى) في طهران التي تخرج منها آلاف العلماء والروحانيين، أصبحت مركزاً لحفنة من الأرمن، واختاروا ثلة من الوعاظ والخطباء، الذين راحوا ـ بدلاً من الترويج للدين ـ يروجوه لمقاصد رضا خان النابعة من مقاصد الأجنبي.

وفي خلال ذلك كان عدد من المحسوبين على الملالي، والمجردين من أي علم

أو تقوى، يعمل باسم الدين، وراح آخرون يصدرون كتباً باسم الإصلاح . . . توافق على إصدارها دائرة رقابة المطبوعات، فيما كانت هذه الدائرة تمنع إصدار كتب ترد على هذه الكتب.

فعندما صدر كتاب «الإسلام والرجعة»، قام أحد رجال الدين في قم بتأليف كتاب في الرد على الكتاب المذكور، تحت عنوان: «الإيمان والرجعة»، كشف فيه ما تضمنه ذلك الكتاب من افتراء . . . لكن دائرة الرقابة لم تسمح بطبعه، وما زال الكتاب موجوداً بصيغته الخطية.

وفي خلال هذه المعمعة ابتعد المتدينون عن الروحانيين، وأصبحوا لا يسايرونهم في أهدافهم، وهكذا أخذت تصدر كتب تعادي المبادىء الإسلامية، فيما تركت الكتب الدينية جانباً، ولم يكن أحد يجرؤ على طبعها.

هذه هي بعض علل ابتعاد الناس عن الدين، وما لم يستيقظ حكامنا وموظفونا وكبار أعضاء الدولة من نومهم، وما لم يدركوا جيداً الأهداف المسمومة للأجنبي، فإنه من غير المتوقع أن تصلح أمور البلاد.

وفي ختام هذا الحديث نطلب من الكتاب والصحفيين أن يلتفتوا إلى ما في هذا الكتاب من محتويات، وهي قليل من كثير، وأن يلمسوا من خلالها أوضاع البلاد المؤسفة، وأن ينظروا إلى أوضاع البلاد خلال عشرين سنة من الدكتاتورية، وأن يدرسوا أحوال رضا خان، والأسباب التي آلت إلى تسلم الحكم في إيران، وما قام به من أعمال ضد مصلحة البلاد وخدمة للأجنبي، وأن يقوموا بجرأة وشجاعة بتوعية الناس، وإحياء الحس الديني فيهم؛ بعد أن آل إلى الخفوت في خلال الأعوام الأخيرة.

وفيما يلي نورد ثلاث آيات من القرآن لنختتم الكتاب بأقوال من لدن رب العالمين.

الآية [١٣٧] من سورة النساء:

﴿بشِّرِ المنافقينَ بأنَّ لهم عذاباً أليماً الذيَن يتَّخذون الكافرينَ أولياءَ من دونِ المؤمنينَ أيبْتَغونَ عندَهُم العزَّةَ فإنَّ العزَّةَ لله جميعاً﴾.

الآية [٥٠] من سورة المائدة:

﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تتَّخِذوا اليهودَ والنَّصارى أولياءَ بعضُهم أولياءُ بعضٍ ومَن يتولَّهُم منكُم فإنَّه منهُم، إنَّ الله لا يَهْدي القومَ الظالمينَ﴾.

الآية [٥٩] من سورة الأنفال:

﴿وأعِدُّوا لهُم ما استَطَعْتُم من قوةٍ ومِن رِباطِ الخيلِ تُرْهِبونَ بهِ عدوَّ الله وعَدُوَّكُم وآخرينَ مِن دونِهم لا تعلمونَهم الله يعلَمُهم وما تُنْفِقوا من شيءٍ في سبيلِ الله يوفَّ إليكُم وأنتُم لا تُظْلَمونَ﴾.

أيُّها المواطنون الأعزَّاء! أيها القراء الكرام! أيها الإخوة في الإيمان! أيها الشباب المحب لوطنه! أيها الإيرانيون الساعون وراء العظمة! أيها المسلمون الذين تنشدون العزة! أيها المتدينون الراغبون في الاستقلال! . . .

هذه هي التعاليم السماوية، هذه هي أوامر الله، هذه هي نداءات الغيب وقد أنزلها الله عليكم أنتم يا أمة القرآن والسائرين في ركابه، وذلك من أجل الحفاظ على استقلال البلد الإسلامي، وصيانة مظاهر العظمة وأسباب العزة والفخار. فاتلوها، وكرروا تلاوتها، وامضوا التفكير فيها، واتبعوا ما فيها، حتى يعود إليكم استقلالكم، وتعود إليكم عظمتكم، وتعودوا من جديد إلى مفاخركم وعزتكم؛ وإلا فإنكم ستجدون أنفسكم سائرين على طريق الذل والتعاسة والمسكنة، وتصبحوا طعماً لجميع من في العالم.

والسلام على من اتبع الهدى.

الملحقـــــات

ملحق (١)

نص فتوى العلامة الشيخ ناصر الدين الألباني في أقوال الخميني

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الفاضل الدكتور بشار عواد معروف، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي؛ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته.

أما بعد؛ فقد وقفت على الأقوال الخمسة التي نقلتموها عن كتب المسمى بـ «روح الله الخميني»؛ راغبين مني بيان حكمي فيها، وفي قائلها، فأقول وبالله تعالى وحده أستعين:

إن كل قول من تلك الأقوال الخمسة كفر بواح، وشرك صراح؛ لمخالفته للقرآن الكريم، والسنة المطهرة، وإجماع الأمة، وما هو معلوم من الدين بالضرورة.

ولذلك فكل من قال بها، معتقداً؛ ولو ببعض ما فيها، فهو مشرك كافر، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم. والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه المحفوظ عن كل زيادة ونقص: ﴿ومَن يُشاقق الرسولَ مِن بعدِ ما تبيَّنَ لهُ الهُدى ويتَّبِعْ غيرَ سبيلِ المُؤمنينَ نوَلِّهِ ما تولَّى ونُصْلِهِ جهنمَ وساءتْ مصيراً﴾.

وبهذه المناسبة أقول:

إن عجبي لا يكاد ينتهي من أناس يدَّعون أنهم من أهل السنة والجماعة، يتعاونون مع (الخمينيين) في الدعوة إلى إقامة دولتهم، والتمكين لها في أرض المسلمين؛ جاهلين أو متجاهلين عما فيها من الكفر، والضلال، والفساد في الأرض، ﴿والله لا يحبُّ الفسادَ﴾.

فإن كان عذرهم جهلهم بعقائدهم، وزعمهم أن الخلاف بيننا وبينهم إنما هو خلاف في الفروع وليس في الأصول، فما هو عذرهم بعد أن نشروا كتيبهم «الحكومة الإسلامية»، وطبعوه عدة طبعات، ونشروه في العالم الإسلامي، وفيه من الكفريات ما جاء نقل بعضها عنه في السؤال الأول، مما يكفي أن يتعلم الجاهل ويستيقظ الغافل؟! هذا مع كون الكتيب كتاب دعاية وسياسة، والمفروض في مثله أن لا يذكر فيه من العقائد ما هو كفر جلي عند المدعوِّين، ومع كون الشيعة يتدينون بالتقية التي تجيز لهم أن يقولوا ويكتبوا ما لا يعتقدونه، كما قال عز وجل في بعض أسلافهم: ﴿يقولونَ بألسنَتِهم ما ليسَ في قُلوبِهم﴾، حتى قرأت لبعض المعاصرين منهم قوله وهو يسرد المحرمات في الصلاة:

«والقبض فيها إلا تقية»! يعني وضع اليمين على الشمال في الصلاة!

ومع ذلك كله، فقد ﴿قالوا كلمةَ الكُفْرِ﴾ في كتيبهم، مصداق قوله تعالى في أمثالهم: ﴿والله مخْرِجٌ ما كُنتُم تكْتُمونَ﴾، ﴿وما تُخْفي صدورُهُم أكْبَرُ﴾.

وختاماً أقول محذراً جميع المسلمين بقول رب العالمين:

﴿يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تتَّخِذوا بِطانةً مِن دونِكم لا يأْلونَكُم خَبالاً ودُّوا ما عنِتُّم قد بَدَتِ البغضاءُ من أفواهِهِم وما تُخفي صدورُهم أكبرُ قد بيَّنَّا لكمُ الآياتِ إنْ كُنْتُم تعْقِلونَ﴾.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

عمان ٢٦ / ١٢ / ١٤٠٧هـ

وكتب

محمد ناصر الدين الألباني أبو عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الزميل الدكتور بشار عواد معروف [illegible] لمنظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي، [illegible] السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته.

أما بعد، فقد وقفت على الأقوال [illegible] التي [illegible] كتب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] كل [illegible] الأقوال [illegible] [illegible] صريح [illegible] القرآن الكريم، والسنة المطهرة، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والله سبحانه وتعالى تعهد في كتابه بحفظه من كل زيادة ونقص: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا).

وبعد هذا التمهيد أقول:

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (الخمينيين) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المسلمين [illegible] [illegible] [illegible] الكفر والضلال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلامية [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (قالوا كلمة الكفر) [illegible] [illegible] [illegible] (والله مخرج ما كنتم تكتمون)، (وما تخفي صدورهم أكبر).

وهذا ما أقول [illegible] جميع المسلمين [illegible]:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون). [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

عمان ٢٦/١٢/١٤٠٧هـ

وكتب

محمد ناصر الدين الألباني أبو عبد الرحمن

٥١١٠٥

وعباسی است تعلیق میکنند

اینک ما از عقل خداداده داوری میخواهیم خدای جهان پیغمبر اسلام را فرستاد با هزاران احکام آسمانی و پایهٔ حکومت خودرا براصل توحید و عدالت بنانهاد و مردم را بچیزهائی امر کرد و از چیزهائی نهی کرد و پس از کوششهای فراوان وتعلیم کردن و اجرا کردن دستورات خدائی همین که پایهٔ عدلرا درجهان با فداکاری های مسلمانان استوار نمود و از ستمکاریها و بی عفتیها آنطور جلوگیری کرده بمردم امر کند که باید همه اطاعت کنید از اتاترك که میگوید دین در مملکت رسمیت ندارد وهمه میدانند که با دینداران چکارها کرد و با مردم چه ستمکاریها نمود چه بی عفتیها در ترکیه بجریان انداخت و چه مخالفتها با دین خدا کرد یا بگوید باید از پهلوی اطاعت کنید که همه دیدید چه کرد و برای ریشه کن نمودن دین اسلام چه کوششها کرد که اگر کسی بخواهد مخالفتهای صریح اورا با قرآن خدا بشمارد نیازمند بیك کتاب شاید گردد چنین خدائی را که خود اساس دین وعدل را بپاکرده وخود بدست خود بخراب آن امر نموده دانشمندان اورا بخدائی وعدل وداد نمیپذیرند ومقام خدای عالم از چنین بیهوده کاری منزه است میگوئید از طرز حکومت این ستمکاران بیخبر بود و گمان میکرد اینها همه با گفته های او موافقند این از حکم خرد بیرون است خدائیکه بندگان خودرا نشناسد ما اورا بخدائی نمیشناسیم یا میگوئید خدا از گفته های خود پشیمان شد چند روزی توحید وتقوی وعدالت میخواست بین مردم پس از آن خود مردم را بشرك وستمكاری وخلاف عفت دعوت کرده این نیز از حکم خرد بیرونست وچنین خدائیرا ما بخدائی نمیشناسیم پس ناچار باید بگوئید اولوا الامر پادشاهان و امرا نیستند ویا یکنظر بحال خلفاء ومراجعه بکتب حدیث وتاریخ خود سنیان معلوم شود تکلیف آنها نیز اکنون ما باشیخین کار نداریم ومخالفتهای آنها (١) باقرآن و بازیچه قرار دادن احکام خدا وحلال وحرام کردن از پیش خود وستمهائیکه بفاطمه

١ـ درکتب کلامیه از طرق عامه همه ثابت شده رجوع بفصول المهمه و شرح تجرید شود

صورة عن الأصل الفارسي للكتاب، ويُشير الخط إلى كلام خميني في اتهام الشيخين؛ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بمخالفة القرآن، وحرمان فاطمة رضي الله عنها من إرث الرسول ﷺ

«۱۱۴»

مسلمانها واقع نمیشد آنهائیکه سالها در طمع ریاست خود را بدین • پیغمبر چسبانده بودند ودسته بندیها میکردند ممکن نبود بگفتهٔ قرآن از کار خود دست بردارند با هر حیلهٔ بود کار خود را انجام میدادند بلکه شاید در اینصورت خلاف بین مسلمانها طوری میشد که بانهدام اصل اساس اسلام منتهی میشد زیرا ممکن بود آنها که در صدد ریاست بودند چون دیدند بااسم اسلام نمیشود بمقصود خود برسند یکسره حزبی بر ضد اسلام تشکیل میدادند ودر اینصورت مسلمانها هم قیام میکردند وناچار علی بن ابیطالب ودیگر دینداران سکوت را روا نمیداشتند وبا آن نورس بودن نهال اسلام یك چنین خلاف بزرگی بین مسلمانها ریشهٔ اسلام را برای همیشه ازبین میکند وآن نیمهٔ اسلام را هم بباد فنا میداد پس نام بردن از علی بن ابیطالب برخلاف صلاح اصل امامت که هیچ برخلاف صلاح دین هم تمام میشد

٤ـ آنکه ممکن بود درصورتیکه امام را درقرآن ثبت میکردند آنهائیکه جز برای دنیا وریاست بااسلام وقرآن سر وکار نداشتند وقرآنرا وسیلهٔ اجراء نیات فاسدهٔ خود کرده بودند آن آیات را ازقرآن بردارند وکتاب آسمانیرا تحریف کنند وبرای همیشه قرآنرا ازنظر جهانیان بیندازند وتا روز قیامت این ننگ برای مسلمانها وقرآن آنها بماند وهمان عیبیرا که مسلمانان بکتاب یهود ونصاری میگرفتند عیناً برای خود اینها ثابت شود

ه‍ـ فرضاً که هیچیك ازاین امور نمیشد باز خلاف ازبین مسلمانها برنمیخواست زیرا ممکن بود آن حزب ریاست خواه که ازکار خود ممکن نبود دست بردارند فوراً یك حدیث بپیغمبر اسلام نسبت دهند که نزدیك رحلت گفت امر شما باشوری باشد علی بن ابیطالبرا خدا ازاین منصب خلع کرد

مخالفتهای ابو بکر با نص قرآن

شاید بگوئید اگر درقرآن امامت تصریح میشد شیخین مخالفت نمیکردند وفرضاً آنها مخالفت میخواستند بکنند مسلمانها ازآنها نمیپذیرفتند ناچار ما دراین مختصر چند ماده ازمخالفتهای آنها باصریح قرآن

صورة أخرى عن الأصل الفارسي للكتاب ، ويشير الخط إلى كلام خميني في اتهام أبي بكر رضي الله عنه بمخالفة نص القرآن الكريم

وازمشهورترین کتابهای آنها است وسنیان بآن تبرك میجویند درصفحهٔ (۱٦٤) از جزءاولش گفته است که بعدازپیغمبر المؤلفة قلوبهم آمدنه پیش ابربکر تابعادت همیشه برای آنها کاغذ بنویسد اونوشت بردند پیش عمر که اوهم امضاء کند عمر کاغذرا پاره کرد آمدند پیش ابوبکر گفتند توخلیفه هستی یاعمر وحکمی که او کرده بود امضاء نمود والمؤلفة قلوبهم را ازسهم زکوة اسقاط کرد واین مخالف صریح قرآنست

سورهٔ توبه (آیه ٦۰) اِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلفُقَرَاءِ والمَسَاكِينِ والعاملينَ عَلَيْهَا و المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُم وفي الرِّقَابِ و الغارِمِينَ وفي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ - یعنی همانا صدقات که زکوة . ـت ازفقراء ومسکینها وکارکنان زکوة و (المؤلفة قلوبهم) یعنی آنانکه جلب قلو. ئانرامیکنید و درراه آزاد نمودن بندگان وکسانیکه غرامت بردند ودرراه خداوابن سبیل است خدا هشت طایفه را ذکر کرده که سهم ازز کوة میبرند ابوبکر بحکم عمر یکطایفه را اسقاط کرد ومسلمانان چیزی نگفتند موارد بسیاردیگر است خوانندگان بکتاب فصول المهمه رجوع کنند

مخالفت عمر باقرآن خدا

اینجا بعضی ازمخالفتهای عمررا باقرآن ذکر میکنیم تامعلوم شود مخالفت باقرآن پیش آنها چیزمهمی نبوده واگرفرضاً درقرآن تصریح باسم امام هم شده بود مخالفت میکردند این اشکال بیخردانه بر خدای عالم نیست

۱ـ متعهٔ زنانست که باجماع تمام مسلمانان درزمان پیغمبر اسلام تشریع شد وتارحلت آن جناب ناسخی ازبرای آن نیامد بحکم اخبارمتواتره ازاهلبیت واخبار صحاح(۱) خود سنیان از جابربن عبدالله درصحیح مسلم بچند طریق نقل میکند که مادرعهد رسول خداوابوبکروعمر متعه میکردیم تاآنگاه که عمرنهی ازآن کرد واینکلام بطورتسلم واستفاضه ازعمر نقل شده که رفت منبر و گفت (متعتان کانتا علی عهد رسول الله وانا انهی عنهما واعاقب علیهما متعة الحج ومتعة النساء) یعنی دومتعه

۱ـ فصول المهمه رجوع شود ص ۸۸

صورة أخرى عن الأصل الفارسي للكتاب، ويُشير الخط إلى كلام خميني في اتهام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بمخالفة نص القرآن الكريم

«۱۱۸»

درزمان پیغمبر خدا بود و من از آن دو نهی میکنم و کسی که مرتکب شود عقاب میکنم اورا یکی متعهٔ حج ویکی متعهٔ زنها است اینحکم مخالف بقرآنست

سورهٔ نساء (آیهٔ ۲۸) فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن طبری(۱)

ازابی بن کعب وابن عباس وسعید بن جبیر وسدی وبسیاری ازمفسرین ازاین جماعت وابن مسعود نقل کرده‌اند که این آیه درمتعه زنها است علاوه آنکه عمر خود اقرار کرد درمنبر که این حکم درزمان پیغمبر بود ومن خود از آن نهی میکنم وعقوبت میکنم کسیرا که مرتکب آن شود

۲ـ متعهٔ حج است که بضرورت بین مسلمین واخبار متواتره ازفریقین درزمان پیغمبر تشریع شد وباقی بود تازمان عمر واو از آن نهی کرد چنانچه معلوم شد حتی اجماع (۲) سنیان دراین حکم پس ازعمر منعقد شد برباقی بودن حکم اصلی اسلام واین حکم قاچاقی را برداشتند وحکم عمر مخالف قرآنست

سورهٔ بقره (آیه ۱۹۲) فمن تمتع بالعمرة الى الحج تا آخر اجماع تمام مسلمانانست باینکه این آیه درمتعهٔ حج است علاوه خود اقرار عمر کفایت میکند

۳ـ درباب طلاق ثلث که درزمان پیغمبر وابوبکر متفرق ازهم بوده وعمر آنرا تغییر داد درصحیح مسلم که ازکتب صحیحهٔ آنها است درصفحه ۱۷۴ ازجزء اول بطریقهای مختلف ازابن عباس نقل میکند که درعهد پیغمبر وابوبکر ودو سال ازخلافت عمر طلاق ثلث یکی بود عمر گفت مردم استعجال دارند خوبست سه طلاق را همان سه قرار دهیم پس انت طالق ثلثا را سه طلاق قرار داد واین مخالف قرآنست

سورهٔ بقره (آیه ۲۲۹) الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان تا آنجا که گوید فان طلقها فلاتحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ومعلومست که مفاد این آیه آنست که طلاقها باید متفرق ازهم باشد واما

۱ـ فصول المهمه ص ۵۵ ۲ـ فصول المهمه ص ۷۰

تتمة ما سبق في اتهام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمخالفة نص القرآن الكريم

«۱۴۰»

حق کشیهائی دراین باب شده ناچاریم از تعقیب این مطلب تادرست بودن گفتار ما واضح وروشن شود وجای شبهه برای کسی نماند این بیخرد میگوید (میگویند پیغمبر میترسید ازاینکه راجع بامامت چیزی بگوید و مردم نپذیرند وحال آنکه خود قرآن وتاریخ پیغمبر گواه است که هیچ محافظه کاری درکار او نبوده)

ما دراوایل این گفتار ثابت کردیم که پیغمبر ازاینکه امامرا باسم ورسم در قرآن ذکر کند می‌ترسید که مبادا پس ازخود ن قرآنرا دست بزنند یا اختلاف بین مسلمانها شدید شود ویکسره کار اسلام تمام شود واینجا گواهی ازقرآن میآوریم که دراظهار امامت باسم ورسم محافظه کاری میکرده وازمنافقان ترس داشته

گواه ازقرآن خدا سورهٔ مائده (آیه ۷۱) یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النّاسِ - این آیه باعتراف اهل سنت ونقل آنها بطرق معتبره از ابی‌سعید وابی رافع وابی هریره واتفاق شیعه روز غدیرخم در بارهٔ تبلیغ امامت علی‌بن ابیطالب نازل شده وسورهٔ مائده آخرین سوره‌ایست که نازل شده این آیه وآیه شریفه الیوم اکملت لکم دینکم درحجة‌الوداع که آخرین حج پیغمبر بود نازل شده وبین نزول این آیه ووفات پیغمبر دوماه ودهروز فاصله بیش نبوده ومعلوم است پیغمبر تاآنوقت تبلیغ همهٔ احکامرا فرموده وده چنانچه ... د آنحضرت درخطبهٔ روز غدیرخم می گوید پس معلوم می‌شود این تبلیغ راجع بامامت است . وعده کردن اینکه خدا ترا نگهداری میکند دلیل برآنست که یك همچو چیزیرا میخواهد تبلیغ کند وگرنه درسایر احکام ترسی ومحافظه کاری درکار نبود جملهٔ کلام آنکه ازاین آیه بواسطه این قرائن ونقل احادیث کثیره معلوم‌شود که پیغمبر درتبلیغ ... ت خوف ازمردم داشته واگر کسی رجوع بتواریخ واخبار کند میفهمد که ترس پیغمبر بجا بوده ولی خداوند اورا امر کرد که باید تبلیغ کنی ووعده کرد که اورا حفظ کند

صورة أخرى عن الأصل الفارسي للكتاب، ويُشير الخط إلى كلام خميني في اتهام الرسول ﷺ بعدم تبليغ ما أنزل إليه

«۱۳۱»

او نیز تبلیغ کرد و در بارهٔ آن کوششها کرد تاآخرین ... ولی حزب مخالف نگذاشت کار انجام گیرد

باز جواب تراشی / پیش خود

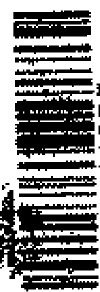
خوب بود این بیخردان می گفتند که باکی دراین گفتار ... و این جوابهای بیخردانه ازطرف چه اشخاصی نقل میکنند تامعلوم شود چنین شخصی وجود خارجی ندارد وایشان برای اینکه دینداران را کوچك کنند ... توده پاسخهائی از خود میتراشند و بدینداران نسبت میدهند ، دراینجا باز جواب بیهودهٔ ازقول دینداران اختراع کرده میگوید (ونیز می گویند امامت درقرآن بسیار تصریح شده ولی آنهارا انداخته‌اند)

شما باکی دراین باره سخن گفتید وجواب شنیدید شایدپیش خودی رجوع کردید ببعضی کتابها یابعضی اخبار که دراول نظر وبانظر ... چنین می‌نماید که ازقرآن چیزی افتاده واین خود یکی ازعیبهائی است که شماها دارید که بااین خرد ودانش رجوع باخبار می کنید ومطالعه کتابهای علمی می‌نمائید فهم اخبار وکتب دانشمندان زحمتهای طاقت‌فرسا دارد آنها کتاب ... ورمان نیست که سر خود ... رجوع کرد و ازآنها چیزی فهمید عیناً رجوع شما بآن کتابها مثل رجوع کشاورزاست بفلسفه‌عالیه یامطالعهٔ حمامی‌است درریاضیات‌عالیه فهمیدن کتب علمی تخصص میخواهد چون کور کورانه وارد اخبار وکتب شدی نتیجه این میدهد که می گویند درقرآن امامت بوده وانداخته‌اند آن اخبار راجع بتفسیر وتاویل‌است ما می گوئیم اولوالامر درقرآن واهل‌الذکر درآیات بسیار واهل‌البیت درآیهٔ تطهیر وصادقین درآیهٔ کونوا مع‌الصادقین وحبل ... درآیهٔ اعتصام‌بحبل‌الله وصراط‌الله ... مستقیم و ... درآیه انما ولیکم‌الله وامانت درآیهٔ انا عرضنا ... وصدها غیر این آیات دربارهٔ امامت وامام‌است نه‌آنکه اسم امام به خصوص درقرآن ... آنچه ما می گوئیم فقط ازاخبار شیعه نمیگوئیم

۱- بیراهیهات صفحه ۲۹ وشاهنامه صفحه ۳۷و۳۸ ... خود

تتمة ما سبق في اتهام الرسول ﷺ بعدم تبليغ ما أنزل إليه من القرآن الكريم

الفهـــــرس


Bibliotheca Alexandrina
0210336